



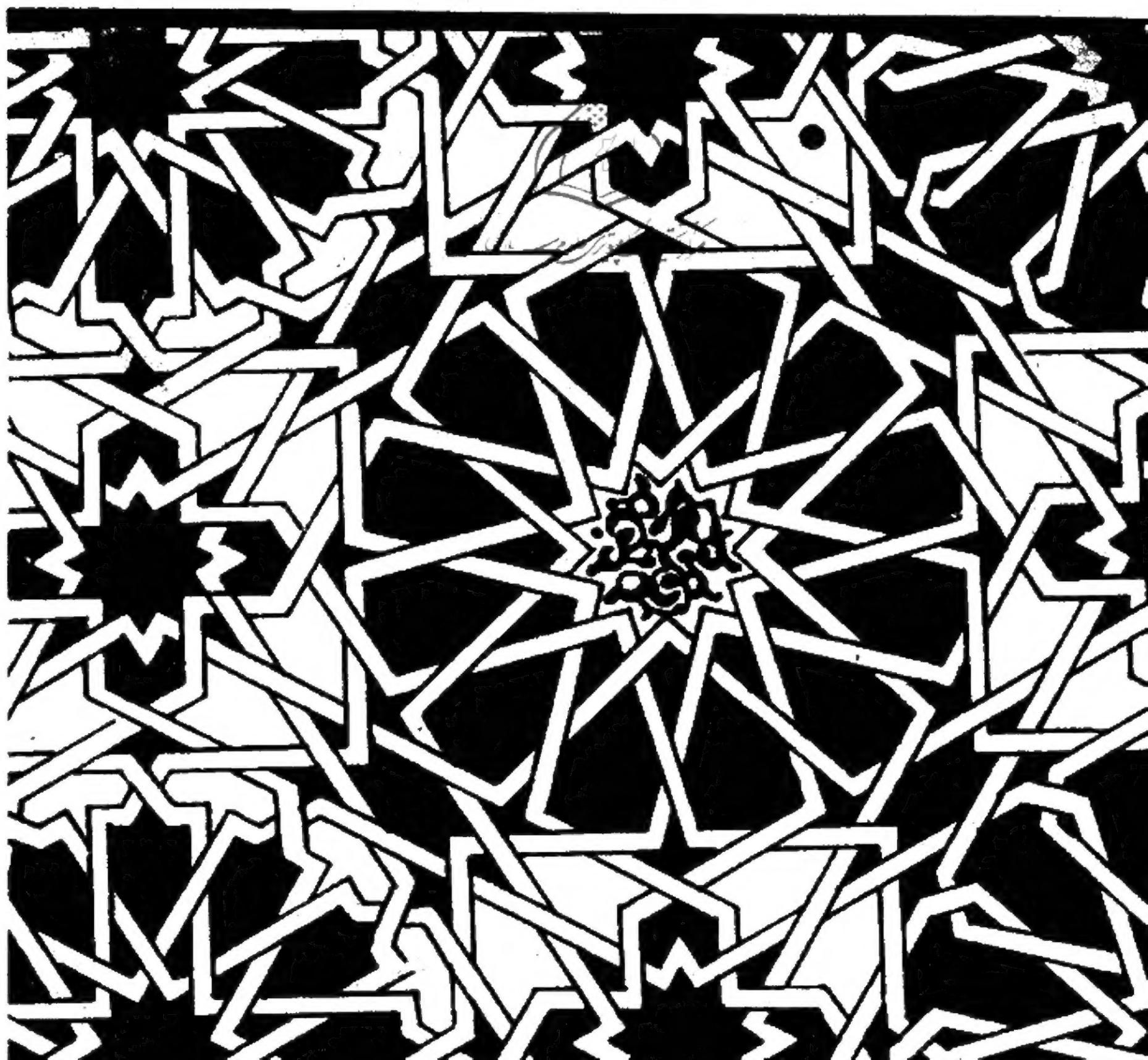
جامعة بغداد
التعليم العالي والبحث العلمي

مجلة ٢٧

كلية الدراسات الإنسانية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

العدد السابع والثلاثون



مجلة



١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

العدد السابع والثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هيئة التحرير

الدكتور نوري حمودي القيسي - عميد كلية الاداب - رئيس هيئة التحرير
الدكتور حاتم صالح الفضامن - رئيس قسم اللغة العربية - امين سر هيئة
التحرير

الدكتور طاهر مظفر العميد - رئيس قسم الآثار - عضوا

الدكتور فلاح شاكر أسود - رئيس قسم الجغرافية - عضوا

الدكتور ابراهيم خلف العبيدي - رئيس قسم التاريخ - عضوا

الدكتور عبدالستار جواد - رئيس قسم الاعلام - عضوا



مركز بحوث ودراسات

دلالة السلاح في أدب الحرب

محاولة في دراسة شعر الفرزدق

الدكتور نوري حمودي القيسي

عميد كلية الآداب - جامعة بغداد

للحرب في الشعر العربي حديث طويل توزعت مفرداتها في معظم أغراضه وتناثرت دلالاتها في كثير من القصائد التي تبتعد أحيانا في أغراضها عن الحرب ولكنها تعطي هذا الجانب من خلال التأكيد عليها جانبا قد يفوق في مفرداته ما تمنحه الأغراض الأخرى بعد أن أصبحت الحياة العربية ميدانا فسيحا لاداء مهمة صعبة ومواجهة حاسمة لتأكيد الرسالة التي حملتها الأمة باخلاص والتزمت بأدائها امانة ووفاء . حتى توزعت مفردات الحرب على الشعر بشكل يثير الدهشة وخاصة عند الشعراء الذين كانوا قريبين عصرا من حركة التحرير التي وجلت في هذه المفردات صورة جليلة لدورها في التعبير وتعبيرا حيا عن ترسيخ روح التواصل التي تمنح الابناء قدرة التجديد وتثير فيهم نوازع التوثيب وتهيء لهم المناخ الملائم لبقاء روح المقاومة والجهاد وسيلة من وسائل التحفيز ومن الطبيعي ان تكون دراسة المفردات التي تلتصق بالحرب وتحليل بعض مضامينها ودراسة الصور البلاغية التي تقدمها واحصاء النماذج التي تحيط بها هذه المفردات والدلالات المترتبة على المعاني التي تؤديها بداية لمحاولة أخرى في هذا الجانب الذي لا يقف عند الحدود المرسومة ولا يقتصر على القصائد الشعرية التي تناولتها قصائد الحرب لأن الأغراض الشعرية الأخرى كانت تستمد

من هذه المفردات صيغ المديح التي تضيفي على المدوح صفة التقدير وتبعث في نفسه روح الاعتزاز وتحمله على ان يكون في منزلة لا تقل عن أية منزلة يتمتع بها قائد متميز أو أمير من امراء الجند أو فارس من فرسان المعارك .

واذا كانت صيغ المديح قد سلكت هذا المسلك فان قصائد الرثاء والهجاء قد سارت في هذا التوجه لانها كانت تستمد معانيها من الصور ذاتها التي يمكن ان تؤدي المهمة نفسها في حدود الأغراض التي ترد فيها وقد اعطت هذه الخصائص لمفردات الحرب امتدادا واسعا في الاستعمال وتركت لها حرية العطاء في كل موقع من مواقع الشعر العربي بعد ان ارتبطت بروح الجهاد وصفة الشجاعة وقدرة المقاومة واتصلت بالقيم البطولية التي أصبحت لوحة كبيرة من لوحات الحياة المألوفة في الشعر العام لحياة العرب وهي تتوارث القيم الخيرة وتحيي خصائص التضحية والمروءة والخير . ولابد ان ترافق هذه الرحلة واجهة شعرية تتحرك فيها هذه القيم على وفق المقاييس التي يمكن أن تؤديها في كل باب من أبواب الاحياء .

وان هذا التوجه في دراسة الشعر الأموي ترسم الخط الموازي لحركة التحرير وفي نطاق الحياة الداخلية للدولة وهي تجد في هذه المفردات التي لا تفارق الأغراض الشعرية تأكيداً للروح التي تستمد منها جيوش التحرير مادتها الأساسية وتتمكن من الحفاظ عليها في كل جانب من جوانب المواجهة . وتؤكد بدايات هذه المحاولات أن الصورة الشعرية التي عاشت في الذاكرة العربية كانت تحمل من هذه المفردات ما يوازي أو يفوق ما تحمله قصائد الحماسة أحيانا وفي محاولة أولية لدراسة شعر الفرزدق وجدت ان انتشار هذه المفردات قد غير الصورة التي علقت في ذهن الكثيرين ممن درسوا شعر الحرب بعد أن وجدت أعدادا هائلة من مفردات الحرب قد تناثرت في قصائده ولوننت شعره وزينت أغراضه .

السلّاح في شعر الفرزدق

لم يكن الحديث عن السلّاح جديدا في الشعر العربي بعد أن شهدت مجاميع شعر الحماسة أحاديث طويلة عن مواقف الفرسان وبطولاتهم وهم يسجلون روائع التضحية ويخوضون أعنف المعارك وانساحت مواكب المحرّرين من الجزيرة ليمسحوا عن وجوه الناس قتامة البؤس وذل العبودية وإذا كانت قصائد الحماسة قد أخذت هذا البعد لأنها تعد حديث الحرب جزءاً من غرضها وأوصاف السلّاح جانباً من اهتمامها فإن هناك دواوين الشعراء التي بقيت بعيدة عن هذا الاهتمام خارجة عن دائرة الاعتناء لأنها لم تقع في إطار هذا الاختصاص . وإن الشعراء لم يتحدثوا عن السلّاح بمعزل عن الأغراض التي كانوا يققون فيها على خصائص الأغراض المطلوبة وانهم لم يكونوا من رجال الحرب الذين خاضوا غمراتها أو أسهموا فيها وقد وجدت وأنا أتابع دواوين الشعراء أن أحاديث طويلة عن السلّاح قد توزعت في دواوين هؤلاء الشعراء حتى أخذت مساحة لا بأس بها وهي تظهر حالة من التوثب وتضخ صوراً من البطولات التي تبقي جذوة الحماسة متقدة وعناصر الدفاع حية وصلة الشعر الحربي متواصلة في الحياة . ولا بد لمثل هذه الاتجاهات أن تبرز في دراسة أو تجمع في تحليل أو توحيد في إطار كتاب يعطي لهذا الجانب أهميته .

والفرزدق الذي عرف بمواقفه ومنزلته الشعرية باعتباره من الطبقة الأولى من شعراء العصر الأموي واحد من أولئك الذين أثرت أن تحدث عنهم لا ترك للآخرين هذا الباب مفتوحاً لمن يريد ولوجه ويحاول تحقيقه . فمفردة السيف تأتي في ديوان الفرزدق أكثر من مائة وتسعين مرة ولا يقتصر ذكرها على غرض وإنما تتوزع في أغراض شعره وأكثر المواقع وروداً تأتي في حديث المديح والفخر وتختلف دلالات الاستشهاد بها بحسب

المعاني التي يروم اليها الشاعر ولكنها تؤكد صفة [القطع] في حالة الانتخاء في الحرب وتستخدم (الذكور القواطع) (١) ، أو (السيوف الصوارم) فالمدوحون يعادون بالسيوف الصوارم أيام المحن (٢) . والصبر محكوم بها (٣) وصدورها لا تنبو (٤) والظهور تكون اتراساً عندها (٥) يلاذ بها (٦) وتفك القيود بعزمها (٧) ولا يدفع الجور الا بقدرتها (٨) وتشق جفون الهندي اعناقها (٩) ويكون الرد بها (١٠) وتجلى حمم الوجوه بشدتها (١١) ويظل الحساب بانضائها (١٢) والصوارم لها اثارها (١٣) وفي أيدي الرجال لها اقتدارها (١٤) وتقترن مفردة السيف بالفعل [سل] ومشتقاته .

فالسيوف تسل يوم المنية والحمام (١٥) وبوجه الظالمين وقت

(١) الفرزدق - الديوان ٤٢٠/١ ، ٣٣٢/٢ ، ٢١/٢ ، ١٩٦/٢ ،

٢١٨/١ ، ٢٢٣ ، ٤٠٧/١ ، ٤١٧ .

(٢) الفرزدق - الديوان ٢١٧/٢ .

(٣) الفرزدق - الديوان ٢٢٥/٢

(٤) ن ٢٣٣/٢ م .

(٥) ن ٢٤٥/٢ م .

(٦) ن ٢٧٣/٢ م .

(٧) ن ٢٨٢/٢ م .

(٨) ن ٣٠٠/٢ م .

(٩) ن ٣٠٢/٢ م .

(١٠) ن ٢١١/٢ م .

(١١) ن ٣١٢/٢ م .

(١٢) ن ٣١١/٢ م .

(١٣) ن ٣٣٩ / م .

(١٤) ن ٣٦٨ / م .

(١٥) ن ٢٨٩/٢ م .

الحرب (١٦) وأيام الفتح (١٧) وهي حالة يجد فيها الشعراء مناقب فخر لهم (١٨) . لأنها لا تجد من واق (١٩) وحين تستل يكون بشيرها المدوح (٢٠) الذي يمر سيفه المسلول (٢١) وتأتي المفردة مضافة اعتزازا ببطولة المضاف اليه واعترافا بشهرته في المعارك الحاسمة فسيف غالب (٢٢) وسيف ابن ظالم (٢٣) وسيف بلال (٢٤) وسيف بني عبس (٢٥) واسيف مازن (٢٦) وسيف ابن احور (٢٧) وسيف بني المهلب (٢٨) وسيف بني تميم (٢٩) وسيف مسلمة (٣٠) وسيف أبي بكر وطلحة (٣١) لها ايامها في الوقائع التي يستشهد بها الشاعر لأنها تحز كل معصم ويفرج الله بها كرب كل مظلمة وتذل لها القصور والقلاع والرقاب وتقتحم المدن وتضاف مفردة السيف عند الشاعر الى لفظ الجلالة تعظيما للموصوف وايمانا

-
- (١٦) ن.م. ٣٠١/٢ .
 (١٨) ن.م. ٣٣٦/٢ ، ٢٢٦ في ٢٠٦/٢ .
 (١٧) ن.م. ٣٣١/٢ .
 (١٩) ن.م. ٥/٢ .
 (٢٠) ن.م. ٢٥٤ / .
 (٢١) ن.م. ٢٣٧/٢ وتنظر الصفحات / ١٢ ، ٢١ ، ٥٨ ، ٢٣٢/٢ .
 (٢٢) ن.م. ٢٨/١ .
 (٢٣) ن.م. ٤٤/١ .
 (٢٤) ن.م. ٦٩/١ .
 (٢٥) ن.م. ١٥٧/١ .
 (٢٦) ن.م. ١٨١/١ .
 (٢٧) ن.م. ١٥٨/١ .
 (٢٨) ن.م. ٣٠٧/١ .
 (٢٩) ن.م. ٣١٤/١ ، ٤٧/٢ .
 (٣٠) ن.م. ٢٥٢/٢ .
 (٣١) ن.م. ٢٥٤/٢ .

يقدرته على المنازلة وتوثيقا لدوره في المعركة وتحقيق النصر المؤزر (٣٢) وتضاف المفردة أحيانا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى الخلفاء (٣٣) وممدوح الشاعر يجرّد لخصومه سيف الجهاد (٣٤) . ويستلهم الشاعر من الوقائع التاريخية بعض استشهاداته مدلا على اعتزازه بممدوحه فسياف آل مروان لاقى الرسول صلوات الله عليه به بنى النصر في بدر وهو أبيض مصقول (٣٥) ويقتصر الشاعر أحيانا على صفة (البيض) دون ذكر الموصوف لشهرتها ووضوحها ، وممدوحوه شدوا أمرهم بأبيض ثاقب (٣٦) أو صارم البازقات البيض تلمع في كتائب قومه (٣٧) والشاعر ينزل حيث التفت في الذرى البيض المناجيب (٣٨) ولا تنجى اصحاب الخنادق ما يستترون به اذا تسل البيض من اغمادها (٣٩) والبيض بأيمان المغيرة تجرح (٤٠) ويهد الأيام الأبيض ذو الاثر (٤١) والشاعر ابيض صارم يبيد الصقال وقعه (٤٢) والحكم للأبيض الصارم (٤٣) وشيخان تقاتل بكل أبيض مخنم (٤٤) ويجدع انف الخطوم

-
- (٣٢) ن م . تنظر الصفحات ٢٤/١ ، ٧١ ، ٢١٣ ، ٢٣١ ، ٤٢/٢ ، ١٢٢/٢ ، ١٣٧/٢ ، ٣٥٣/٢ .
- (٣٣) ن م . ١٢٣/٢ .
- (٣٤) ن م . ١٣٨/٢ .
- (٣٥) ن م . ٣٥٣/٢ ، ٩٢/٢ ، ١٨٩/١ .
- (٣٦) ن م . ٥٦/٢ ، ٢٨/١ .
- (٣٧) ن م . ٤٠/١ .
- (٣٨) ن م . ٧٠/١ .
- (٣٩) ن م . ١١٢/١ .
- (٤٠) ن م . ١٢٦/١ .
- (٤١) ن م . ٢٠٢/١ .
- (٤٢) ن م . ٢١٥/٢ .
- (٤٣) ن م . ٢٢٢/٢ .
- (٤٤) ن م . ٢٢٨/٢ .

بالراشنيات البيض (٤٥).

وتأخذ مفردة الهندي حالة الافراد والاضافة الى السيف في حديث الشاعر لما يثيره دفع المفردة من احساس بالقوة والشدة والقطع في نفوس المقاتلين. ولهذا كان يضرب المثل بوقعها (٤٦). والهندوانيات يفري حديدتها (٤٧). وسيف الهند تقطع نياط القلائد (٤٨). وتعض الرقاب بالمصلحات الهندية (٤٩). وصفيح الهند لا تبالي المغامر (٥٠). ويصرع الكمي المقنع بهندية بيض (٥١). والهندوانيات لا تترك غير الشراذم (٥٢). وتقطع الصفيح (٥٣). وقد تنبؤ طباتها ولكنها أحيانا تقطع مناط التمام (٥٤). والفرسان يتقلدون السيوف الهندية (٥٥). وبالهندوانيات يبلى البلاء الحسن (٥٦).

وتأخذ المشرفية صفة الحدة والمضاء في حديث الشاعر ويبدو ان كل مفردة من مفردات السيف كانت لها دلالة تقترون بحالة الاداء المطلوب وتتوافق مع الغرض الذي يرمي اليه الشاعر عند الاستخدام. فالاجتلاء

(٤٥) ن.م. ٣١٥/٢

(٤٦) ن.م. ٢٠/١

(٤٧) ن.م. ١٥١/١

(٤٨) ن.م. ١٥٧/١

(٤٩) ن.م. ١٧٧/١

(٥٠) ن.م. ٣١٤/٢

(٥١) ن.م. ٣٩٩/١

(٥٢) ن.م. ٢٤٦/٢

(٥٣) ن.م. ٢٧٠/٢

(٥٤) ن.م. ٣١٤/٢

(٥٥) ن.م. ٣٠٦/١

(٥٦) ن.م. ٣١٣/١

بالمشرفة فيه الموت والحرب في اللقاء (٥٧) وبها تذل الصعاب (٥٨) .
 ويعرف حقها اذا اشتدت الحرب (٥٩) وتستفيد للمدوح رقاب الخصوم
 بها (٦٠) والحجاج مشرفي يرمي العدو به (٦١) .

وتتوزع مفردة السيف في ثنايا الديوان وهي توحى بمواقع القوة
 وحالات الجلد والمقارعة فالحجاج سيف تجذ به الجماجم والرقابا (٦٢)
 وخالد بن الوليد سيف على المرتدين (٦٣) والمدوح والسيف اسلام لمن
 كفر (٦٤) وحنيفة افنت بالسيوف اعداءها (٦٥) والطوال الشم يضربون
 بالسيف رأس المتوج (٦٦) وبالسيوف تصدع هام الجماجم (٦٧) والمدوح
 خلى بالسيف هامة خصومه (٦٨) وبالسيوف ترتقى الاسوار (٦٩) والمحاربون
 سيوف تشظى جمجمات المفارق (٧٠) والصيد من الابناء يبنون بالسيوف
 امجادهم (٧١) وتحمل المكارم بسيوف الابناء اذا علا صوت الطيات (٧٢)

-
- (٥٧) ن م ٠ ٩٢/١
 - (٥٨) ن م ٠ ١٧١/١
 - (٥٩) ن م ٠ ٢٢٤/١
 - (٦٠) ن م ٠ ٢٣١/١
 - (٦١) ن م ٠ ٣٤٩/١
 - (٦٢) ن م ٠ ٨٢/١
 - (٦٣) ن م ٠ ٣٥٠/١
 - (٦٤) ن م ٠ ٣٤٣/١
 - (٦٥) ن م ٠ ١١٩/١
 - (٦٦) ن م ٠ ١٢٠/١
 - (٦٧) ن م ٠ ٣١٠/٢
 - (٦٨) ن م ٠ ٣٨/١
 - (٦٩) ن م ٠ ٣٨/١
 - (٧٠) ن م ٠ ٤٢/٢
 - (٧١) ن م ٠ ٣٠٦/١
 - (٧٢) ن م ٠ ٣٠٦/١

وكتائب الموت تحجب بالسيوف (٧٣) والسيوف تمد بأيديها لتضرب المهزمين اذا لم تجد فرصة للطعن (٧٤) وتفسح عن بني مروان ضيق المقام (٧٥) وتعرف وقعها الابطال (٧٦) وهي معاقل (٧٧) وهي تقد ما بين الانف الى تحت الشراسيف (٧٨) ومجدها تحمي الظهور (٧٩) وبه يقتل كبش القوم (٨٠) وبه يتم الفتح اذا التقت الخيل دروبها (٨١) ويصدع به جبين ذي التاج ذلا (٨٢) ولا يصلح الثغر الا الفصاحة الذكر (٨٣) وبشر بن مروان سيف يصول به أمير المؤمنين (٨٤) وعمر بن عبدالله كانت يده يدا سيفاً يعاذ به من العدو (٨٥) وظلت سيوف الرغل بن عردة الجرمي عمائم هامات الملوك من البطارقة (٨٦) وبنو دارم يحمون النساء اذا اخترطت السيوف (٨٧) واذا عاد حامل السيف منعوه تحت لوائهم (٨٨) ويعتز الفارس اذا احتفظ بحسامي سيفه وحمائله (٨٩) وتجرد السيوف لآخذ

-
- ٧١/١ ن م (٧٣)
 - ٧٣/١ ن م (٧٤)
 - ٧٩/١ ن م (٧٥)
 - ٧٩/١ ن م (٧٦)
 - ٧٧/١ ن م (٧٧)
 - ١٥٧/١ ن م (٧٨)
 - ٣٦٨/١ ن م (٧٩)
 - ٢٣٦/١ ن م (٨٠)
 - ٢٥٨/١ ن م (٨١)
 - ١٧٦/٢ ن م (٨٢)
 - ٢٩١ ، ٢٧٧/٣ ن م (٨٣)
 - ٢٣١/١ ن م (٨٤)
 - ٢٣٦/٢ ن م (٨٥)
 - ٥١/٢ ن م (٨٦)
 - ٢٨٩ ، ١٥٥/٢ ن م (٨٧)
 - ١٧١/٢ ن م (٨٨)
 - ١٧٣/٢ ن م (٨٩)

الثأر(٩٠) وتكون المنازلة بالسيف(٩١) .

ولمفردة السيف عند الهجاء صور أخرى للاستعمال تتمثل في اغماد
السيوف(٩٢) وعدم اشهارها أو استلالها(٩٣) . أما الرثاء فله صور أخرى
فالشاعر يبكي كل سيف قاطع من أبناء قومه(٩٤) وتواري اللحد صدر
المصقول اليماني أو مضاربه(٩٥) ولولا الذي للأرض لم تقلل بالسيوف
حرا بها(٩٦) ويأسف من يموت من أبناء قومه من الذين يضربون بالسيوف
رأس كل مخالف(٩٧) ويمدح المرء بالصبر تحت السيوف(٩٨) والمرثى
سيف ينتقم به من الموالي(٩٩) .

ومملوح الشاعر يشتري وينهي بالسيف افضل ما غلا(١٠٠) وتجلي
السيوف عشا الابصار(١٠١) والغشاوة وأبناء قومه سيوف جلا الاطباع
عنها صقالها(١٠٢) وابن منظور حسام جلا الاصداء عنها صاقله(١٠٣)
واصاب الشاعر سيوف اذا الاغماد القيت عنها كان صقالها لهامات

-
- (٩٠) ن.م. ٣١٥/١ .
(٩١) ن.م. ٢٥٧/٢ .
(٩٢) ن.م. ٢٣٨/١ .
(٩٣) ن.م. ٣١٠/١ ، ١٧٥/٢ .
(٩٤) ن.م. ٣٩٤/١ .
(٩٥) ن.م. ٣٤٢/٢ ، ٣٤٣ .
(٩٦) ن.م. ٣٤٩/٢ .
(٩٧) ن.م. ٦/١٠ .
(٩٨) ن.م. ٣١١/١ .
(٩٩) ن.م. ١٩١/٢ .
(١٠٠) ن.م. ٥١/١ ، ٢٧٦ ، ١١٩/٢ .
(١٠١) ن.م. ٣١٣/١ ، ٣٠٢/٢ .
(١٠٢) ن.م. ٧٥/٢ ، ١٣٤/٢ .
(١٠٣) ن.م. ١٠٥/٢ .

- الرجال (١٠٤) وقوم نصر بن سيار سيوف اذا جردت لكتيبة لمعوا (١٠٥) .
ويجلي المدوح بسيفه وجوها علتها الغبرة وتعلو السيوف كأنها
مصاييح واستلال السيوف نجوم لامعة (١٠٦) .
وتأتي مفردة السيف في بعض صور الشاعر لتؤدي معنى مجازياً
فتميم تستظل بالسيوف (١٠٧) واعناق الأبل تشبه بالسيوف (١٠٧)
في امتدادها اذا تقدمت عنها ستر الليل (١٠٨) والسيف
يفيض دماً (١٠٩) ويستعاد حد الحسام للغراب (١١٠) وبنو أمية سيوف
لم تضعف (١١١) والسيوف تلوي بالخدود اذا انحنت (١١٢) وبنو مروان
اسياف غضاب (١١٣) ويمزق الغمد على نصل السيف (١١٤) والسيوف
مخاريق بأيدي الفرسان (١١٥) وتشبه الناقة بجفن السيف (١١٦) وتقدي
السيوف التي بقي في المعركة (١١٧) والسيوف تلوي الدروع (١١٨) وتأتي
صيغة السيف في الحديث عن الالباء (١١٩) .

-
- (١٠٤) ن ٠م ١٠٦/٢ .
(١٠٥) ن ٠م ٤١٢/١ .
(١٠٦) ن ٠م ١١١/١ ، ٣٦٧ ، وتنظر ٧٥/١ و ١٠٧/٢ .
(١٠٧) ن ٠م / ١١٤ .
(١٠٨) ن ٠م ١٤٣/١ .
(١٠٩) ن ٠م ٢٧٩/٢ .
(١١٠) ن ٠م ١٤٢/٢ .
(١١١) ن ٠م ١٢٤/٢ .
(١١٢) ن ٠م ١٣٠/٢ .
(١١٣) ن ٠م ٢٢/١ .
(١١٤) ن ٠م ١٩٠/٢ .
(١١٥) ن ٠م ٥١/٢ .
(١١٦) ن ٠م ١٦/٢ .
(١١٧) ن ٠م ٣١٠/٢ .
(١١٨) ن ٠م ٣٢١/١ .
(١١٩) ن ٠م ٢٨٩/١ .

ويأتي ذكر الرمح أكثر من مائة مرة موزعة مفرداتها بحسب كثرتها بين (الرمح) و (القنا) و (العوالي) و (الأسنة) ونذكر أحيانا (بالردينيات) أو (الازاني) (١) أو (الوشيخ المقوم) أو (الاسمر الذابل) وفي كل مفردة من هذه المفردات تتجلى بعض الخصائص التي تأتي من خلالها المفردة فالرمح رواعف (٢) وهي مخضبة في حومة الوغى يخوض المصاليات بها المنايا (٣) وتغادر الرؤساء وهي تمج نجيعاً من دم الجوف احمر (٤) ويقترن ذكرها في هذه المواضع بالطعن ايغالا في عمق الضربة (٥) وتأتي اللفظة اشارة الى سعة الجراح ومدى تأثيرها لتؤكد قدرة الفرسان على حسن استخدامها ومعرفة مواضع تأثيرها ومقاتلتها التي لا تتيح فرصة للمهزوم ان يجد طريقه ويكثر ورودها في النحر ولحالات تشبيه الطعن صور كثيرة يمكن الرجوع اليها من خلال الاشارات (٦) والفارس المتمكن هو الطاعن النجلاء التي تهدر حين يتدفق الدم من قوة الضربة ليروى الاسنة (٧) والرمح تسقي عطاش المنايا وهي تتوالى رماحا وراء رماح بدفعات متتالية (٨) واهتزاز الرماح يعني اشتداد أوار المعركة (٩) والمنايا تحوم فوق الرماح (١٠) وتروى بالاكف اذا ارعشت أيدي الآخرين (١١)

-
- (١) نسبة الى سيف بن ذي يزن .
 - (٢) ديوان الفرزدق ٢١/٢ .
 - (٣) ن ٧٤/١ م ٠
 - (٤) ن ١٩٥/١ م ٠
 - (٥) ن ١٥/٢ م ٠
 - (٦) ن ٤٧/٢ م ٠ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ٣٤١ .
 - (٧) ن ١٠٦/١ م ٠ ، ٣٣٩/٢ .
 - (٨) ن ٧٥/٢ م ٠
 - (٩) ن ٥٥/١ م ٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ .
 - (١٠) ن ٣٩٩/١ م ٠
 - (١١) ن ٥٤/٢ م ٠

وهي تصيب الخصوم (١٢). والحكم لها (١٣) وحين تشتد الوقائع تصبح
الرياح مثل حبال البئر (١٤) وتوصف الرياح بالطول لتكون اقدر على
اصابة المهزوم (١٥) وتنفي عنها صفة القصر والرياح الشوارع تبقى
مشهورة لتدل على التهيؤ والانقضاء (١٦) وبالرياح تحمي الارض ويحمي
الحمى (١٧) ويشقى بها كل مبتدع دينا يحيد عن الفرقان والسنن (١٨)
وبها تبني الامجاد (١٩) وتأتي لفظة الريح في معان أخرى (٢٠) وتركيز
الريح يشير الى الترقب والتهيؤ والحراسة (٢١) وتذكر عبارة صدور
الرياح في بعض المواقف لتشير الى الهيبة والفداء (٢٢) .

ويستخدم الشاعر (القنا) ليدفع بها شر الأعداء ويفنيهم (٢٣)
ويترك الخصوم شراذما (٢٤) وينزل الضرب والطعن بهم (٢٥) وترادف
مفردة القنا الخيل ففي اشتداد المعارك تختلط وقع القنا بحممة الخيل
العتاق (٢٦) والخيل والقنا تكون حصونا يلاذ بها (٢٧) وتكون الحرب

-
- (١٢) ن ٠م ٠ ٤٢٦/١
(١٣) ن ٠م ٠ ٤٢٠/١
(١٤) ن ٠م ٠ ٤٢٠/١
(١٥) ن ٠م ٠ ١٠٤/١ ، ٢٢/٢
(١٦) ن ٠م ٠ ٢٧١/٢
(١٧) ن ٠م ٠ ٢١٩/٢ و ٣٣٦/٢
(١٨) ن ٠م ٠ ٣٤٠/٢
(١٩) ن ٠م ٠ ٣٤٥/٢
(٢٠) ن ٠م ٠ ١٤٩/١ ، ٢٠٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٥ ، ٢٧٦ ، ٣٢١
(٢١) ن ٠م ٠ ٢٤/٢ ، ٣٤٩
(٢٢) ن ٠م ٠ ٣٧٠/١ ، ٣٧٤
(٢٣) ن ٠م ٠ ١١٩/١ ، ٣٧٤
(٢٤) ن ٠م ٠ ١٥١/١ ، ٢٤٦/٢
(٢٥) ن ٠م ٠ ١٢٦/١
(٢٦) ن ٠م ٠ ٢٥٤/٢
(٢٧) ن ٠م ٠ ٢٧٣/٢

ضروسا اذا تلاقت الخيل بالقنا (٢٨) وتقاتل الخيل بالقنا اذا لم ينته
الخصوم من خصومتهم (٢٩) واهتزاز القنا يكون عند دعوة الداعي باعتباره
علامة من علامات التهيؤ والمنازلة والاشهار (٣٠) واذا شرعت القنا تحتم
المعارك (٣١) ويكون الكر بالقنا يوم النزال (٣٢) وفوارس قومه يحامون
عن الحريم اذا اشتجرت القنا (٣٣) وتنشب الرماح النواحر في الوقائع
الحماسة (٣٤) وتحل البنود بالقنا (٣٥) وتجريد الحرب يكون بالقنا (٣٦)
وفي الرثاء يشار الى القنا رمزا الى شجاعة المراثي واعترافا بقدرته على
الطعان (٣٧) والممدوح يروي شعب المنايا بالقنا الهندي (٣٨) والمضاء للقنا
الهندي وشدة طعانه (٣٩) والمساعير في الوغى لهم بالقنا الهندي ايد طوال
الاشاجع (٤٠) وفي الفخر يأتي ذكر القنا والسيوف (٤١) .

اما الاسنة فالطعان بها وتروى حين تكون الطعنة نجلاء وهي تخضب
بالدم (٤٢) ويقترون الموت بذكر الاسنة (٤٣) وللأسنة لمعان النجوم حين يعلو

-
- (٢٨) ن ٢٥٨/١ م٠
(٢٩) ن ١٦٣/٢ ، ٣٢٣/١ م٠
(٣٠) ن ٣٠١/٢ ، ٤٠٠/١ م٠
(٣١) ن ٢٤٠/١ م٠
(٣٢) ن ١٣٠ م٠
(٣٣) ن ٢٦٠/١ م٠
(٣٤) ن ٣٢٣ ، ٣١٦/١ م٠
(٣٥) ن ١١١/١٠ م٠
(٣٦) ن ١٢٠/٢ م٠
(٣٧) ن ٢٩٥ ، ١٢٢/١ م٠
(٣٨) ن ٣٠٣/١ م٠
(٣٩) ن ٣٢١/١ م٠
(٤٠) ن ٤١٢/١ م٠
(٤١) ن ٣١٦ ، ٣١٥ ، ٣١٠/٢ م٠
(٤٢) ن ٢٠٢/٢ ، ١٠٦/٢ ، ٢٣٨/١ م٠
(٤٣) ن ٣٩٩ ، ٣٩٧/١ م٠

غبار المعارك ويتكاثف غبارها وتحجب الشمس إذا اشتدت أيام المعارك
استعرت كحد السنان (٤٤) وللأسنة وقعها في المعارك (٤٥) وأسنة الإبطال
تحسم أيام اللقاء (٤٦) وأطراف العوالي تخضب بالدم (٤٧) وإذا هزت
انهلت (٤٨) وهز العوالي إشارة إلى استشارة العزائم (٤٩) وبها يفرق
انصار الخصوم (٥٠) وتجلي الغشاوة (٥١) وحين تلتقي الأيادي تهتز
العوالي لتلتقي بالعوالي (٥٢) وتستعار العوالي للثافي وإيقاد نار
الحرب (٥٣) ويستظل بالعوالي كما يستظل بالرمح والسيوف (٥٤)
وصدور العوالي تحول دون الاستجابة لنداء الداعي وتقع في ظهور
المهزومين (٥٥) .

وتصير الردينيات برودا على قتلى قومه وتوصف الأذاني بأنها
تقطع العروق وتسيل الدماء وإذا هز الوشيح المقوم تخشى صولته (٥٦) .

- (٤٤) ن-م-٠ ٣٥٠/١ ، ١٢٨/٢ .
(٤٥) ن-م-٠ ٢٥٤/١ .
(٤٦) ن-م-٠ ١٦٧/٢ وتنظر الصفحات ٢٤٠/١ في ٣١٣ ، ٣٢٢ ، ٤١٧ ،
١٢٩/٢ ، ١٦٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ .
(٤٧) ن-م-٠ ٢٢٠/٢ .
(٤٨) ن-م-٠ ٣٢٧/٢ .
(٤٩) ن-م-٠ ٣٤٢/١ .
(٥٠) ن-م-٠ ٣٧/١ .
(٥١) ن-م-٠ ٣١٣/١ .
(٥٢) ن-م-٠ ٣٥٣/٢ .
(٥٣) ن-م-٠ ٣٠/٢ .
(٥٤) ن-م-٠ ٣٥٥/٢ .
(٥٥) ن-م-٠ ٣٦٩/١ في ٤٢٠ .
(٥٦) ن-م-٠ ٣٩٤/١ ، ٢٩/٢ ، ١٣٠ ، ١٨٩ .

وتأخذ الدروع حصتها في حديث الفرزدق وتتوزع اوصافه على قصائده في اغراض الفخر المديح والرثاء لما تقدمه من فوائد وهي تقي الفارس من الضربات حين البأس وتحميه من سيوف الخصوم وقد وجد في الدروع السابغة (الطويلة) التي تغطي الاظفار صورة للحديث لما تتميز به من أسباب الوقاية وتوفره من حالات المحافظة وتتركه من ثقة في نفوس المقاتلين وهم يتدفعون بها ويدفعون عن أنفسهم سيوف الخصوم ورماحهم (١) .

ومن الطبيعي ان تصبح الادراع اصنافا تتوافق واداءها وتناسب الدور الذي تؤديه وهي تحافظ على الدارعين والخصائص التي تتميز بها (فالماضي) تعرف بليونتها وقدرتها على المقاومة لانها تصنع من الجلود ولكن هذا لا يحول دون آثار الصدا الذي تتركه فوق جلود المقاتلين لتواصل لبسهم لها وهي خصيصة من خصائص الفرسان (٢) ومن مفاخر الفرسان أن سيوفهم تجز حلق الماضي عن كل معصم (٤) ولم تكن الدروع الماذية وحدها تصنع من الجلود وانما الدروع اليمانية كذلك (٥) وتبقى قوة الفارس ملازمة لقدرته على فصم حلق الدروع لان ذلك يعني وصول الضربة الى الجسد وتعسرية الفارس من سلاح يقي به جسده وانكشافه امام خصمه (٦) وللدلاص المتماسكة الحلقات المتظاهرة في السك صورة عند المقاتلين (٧) وقد وجد الشعراء في هذه الاجساد الصلبة ميدانا للحديث عن

(١) ن.م. ٢٠٢/١ ، ٣٠٧ ، ٣٢١ ، ٣٩٥ ، ٤١٢ ، ١٥٧/٢ ، ٣٢٧/٢ .

(٢) ن.م. ٢٠١/٢ ، ٨٢ ، ٢٥٤/٢ .

(٣) ن.م. ١٥٩/١ ، ١٧١ .

(٤) ن.م. ٢٥٤/٢ .

(٥) ن.م. ٤٠/١ .

(٦) ن.م. ٣٠٦/١ ، ٣٢١ .

(٧) ن.م. ٢٠٦/١ .

الفرسان وهم يميّسون في دروعهم متعجبين بها ، مفاخرين الآخرين ببأسهم معتدّين بما يمتلكونه من اعتزاز بقدراتهم في المنازلة ومصاولتهم في المواجهة(٨) واصبح الاقرار بالماضي والتسربل به دلالة من دلالات الشجاعة التي لا تقاوم(٩) .

واذا كثرت الدروع في كتيبة لمعت حلقاتها فغشيت الابصار(١٠) وتأتي مقارنة الشاعر بين الدارع - اذا كان عليه درع - ، والحاسر (الذي لم يكن عليه درع) ، مجالاً للحديث عن المعارك(١١) والضربة الشديدة تفلق هام الدارعين(١٢) .

ومن رموز استخدام الدرع الاشارة الى دروع سليمان عليه السلام لما عرفت به من قوة وامتدت اليه من شهرة(١٣) . وكثرة الدروع في الكتابيب تحمل الشعراء على تشبيهها بالجراد في الكثرة والانتشار والحركة(١٤) وتعرف بعض الدروع بتسبيتها لمن يعملها مثل الحطيمة(١٥) أو التي تتكسر عليها السيوف لصلابتها أو الثقيلة العريضة التي ترد عن دارعها سيوف الخصوم اما الفلعية فهي التي تنسب الى معدن ينسب اليه الرصاص الجيد الذي تتخذ منه حلق الدروع(١٦) وتذكر المفردة في حالات الحديث عن الفرسان والمقاتلين وهم يتحركون الوفا الوفا وهم يرتدون

(٨) ن.م. ١٥٠/١ .

(٩) ن.م. ٢٣١/١ ، ٣٢٨/٢ .

(١٠) ن.م. ٢٥٨/١ .

(١١) ن.م. ١٩٥/١ .

(١٢) ن.م. ٢٢٧/١ .

(١٣) ن.م. ٢٨١/١ .

(١٤) ن.م. ٢٤٣/١ .

(١٥) ن.م. ١٧٣/٢ .

(١٦) ن.م. ٨٢/١ .

الدروع أو يلبسونها(١٧) ويقف على الدروع القصيرة التي تسمى
الابدان(١٨) .

وللكتائب في حديث الشاعر مساحة كبيرة لانها تدل على الكثرة
وتوحي بمفاخر الافذاذ لما تثيره في نفوس الخصوم وتبثه من الرعب وهي
تتحرك بجندبها ومقاتليها وقد حاول الشاعر أن يضيف على هذه الكتائب
الصفات العظيمة التي يطغى عليها بياض الحديد وصفاءه فكانت الكتيبة
الشهباء اوسع المفردات انتشارا بعد النفع منها أكثر من خمس وعشرين
مرة في ديوانه وهو في كل صورة من صور الشهباء يحدد صفة من صفات
هذه الكتائب ففيها للمنايا مناكب(١٩) وتغشى الناظرين(٢٠) وبيرق
بيضها(٢١) قادتها صناديد(٢٢) راسخة كركن شهلان(٢٣) وتأتي مفردة
الكتائب مجردة ولكنها كالليل(٢٤) واذا تحركت خرت لها الجن سجدا(٢٥)
وتدوس الخصوم(٢٦) وتطاعن(٢٧) ومن شدة غيظها تبدو اضراسها(٢٨)
وتجلى ظلمة الفتن(٢٩) ويعبر عنها باللمة أو الملمومة وهي اشارة الى

(١٧) ن ٠م ٠ ٢١/١ ، ٣٢/٢ ، ١٧٣/٢ .

(١٨) ن ٠م ٠ ٣٢٨/٢ .

(١٩) ن ٠م ٠ ٥٦/١ .

(٢٠) ن ٠م ٠ ٥٨/١ ، ٢٥٨ .

(٢١) ن ٠م ٠ ٦٤/١ .

(٢٢) ن ٠م ٠ ٣٦/٢ .

(٢٣) ن ٠م ٠ ٣٤٠/٢ وتنظر الصفحات/ ٢٣٣ ، ٢٤٣ ، ٤٢/٢ ، ٢٥٣/٢ .

(٢٤) ن ٠م ٠ / ٤٠ .

(٢٥) ن ٠م ٠ / ١٤٥ .

(٢٦) ن ٠م ٠ / ١٥٨ .

(٢٧) ن ٠م ٠ / ٣٢٣ .

(٢٨) ن ٠م ٠ / ٢٥٨ .

(٢٩) ن ٠م ٠ ٣٤٠/٢ .

كشافة حديدها واجتماع رجالها ويؤكد الشاعر هذه المعاني وهو يشير اليها ويوفر الى ثقلها (٣٠) ويكنى عنها احيانا بلبس الحديد على الحديد (٣١) ويصفها احيانا بالخضر ولعله يشير الى ما اجتمع عليها من صداً وسواد (٣٢) ولا ينسى بطولة أبناء قومه الذين يكثرون الضرب اذا الكتائب احجمت (٣٣) وتأتي اشارة الى كتائب الشباب وهي دلالة واضحة الى قوة رجالها وشدتهم (٣٤) .

ويشير الشاعر الى البيض (الخوذ) لأنها مما كان يتخذه المقاتل وقاية له وحماية من وقع المشرفي على الرأس مباشرة ولكن ذكرها يأتي قليلا ويغلب عليها ان تذكر من باب الحديث عن الفخر ولهذا فالاشارة اليها من باب لبسها وتأكيد جودتها وتحديد موقعها فهي فوق الرأس (٣٥) أو تحت العمام (٣٦) ويقترن ذكرها ببقية انواع الاسلحة فتذكر مع القنا (٣٧) أو يكنى عنها بذات الحيائك وتذكر مع الدرع السابعة (٣٨) ومن خصائص مديح الانسان انهم يضربون القوانس (٣٩) أو الضاربون الكبش يبرق بيضه (٤٠) . اما يوم البأس فتقيهم اذا ركبوا (٤١) ويشار اليها بقوانس

(٣٠) ن م٠ ١٠ ٧٣ / ١ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٣٠ ، ١٠٤ / ٢ .

(٣١) ن م٠ ١٠ ٢٢٨ / ٢ .

(٣٢) ن م٠ ١٠ ٢٥٤ / ١ .

(٣٣) ن م٠ ١٠ ١٦١ / ٢ .

(٣٤) ن م٠ ١٠ ٤٨ / ١ .

(٣٥) ن م٠ ١٠ ٢٠٦ / ١ .

(٣٦) ن م٠ ١٠ ٣١٢ / ٢ .

(٣٧) ن م٠ ١٠ ٣٤٠ / ١ .

(٣٨) ن م٠ ١٠ ٢٨١ / ١ ، ٣٠٧ / ١ .

(٣٩) ن م٠ ١٠ ٧١ / ٢ .

(٤٠) ن م٠ ١٠ ٢٨٩ / ٢ .

(٤١) ن م٠ ١٠ ٣٢٨ / ٢ .

الابدان احيانا(٤٢) وينعتها الشاعر بصفح الهند فوق رؤوسهم وهي تشبه مصابيح الليل ولا تبالي بالمغفر(٤٣) ويأتي ذكر بيضة الدارع من باب الاستعارة لمن صلع ولم يبق الا القليل من شعره(٤٤) .

ومن مستلزمات الحديث عن السلاح والجيش والكتائب ان يأتي الحديث عن اللواء والراية لانها شعار المقاتلين ودليل القوة التي تتحرك وصورة الكثرة التي تجد في هذه الرموز عتيا وهي تخفق فوق الرؤوس وكرامتها وهي تظلل حماتها . وتشبيه الراية بالطير صورة قديمة وقعت عليها في حديث مستقل ولأن خفقانها واضطرابها وهي مرتفعة تشبه أجنحة الطير وهي تخفق وتصطفق . ويبدو ان هذه الحركة هي التي حملت الذين وجدوا صورة هذا التشبيه بالعقاب ان يفسروا ذلك بانها كانت تحمل صورة العقاب ، وان اللواء كانت ترسم صورة العقاب . . لقد سميت الراية بذلك لما فسرنا به حركتها وفي أبيات الاعشى وهو يصف يوم ذي قار فيقول(١) :

كفوا اذ اتى الهامز تخفق فوقه

كظل العقاب اذ هوت فتدلت

ويقول عبيد بن الابرص يصف الجيش(٢) :

بمعضل لجب كأن عقابه

في رأس خرص طائر يتقلب

(١) الاعشى ، الديوان .

(٤٢) ن . م . ٣٤٤ / ٢ .

(٤٣) ن . م . ٢٤٢ / ١ .

(٤٤) ن . م . ٣٥٢ / ٢ .

(٢) عبيد بن الابرص . الديوان / ١٥ .

والطفيل الغنوي يقدم الصورة نفسها فيقول (٣) :

فما برحوا حتى رأوا في ديارهم
لواء كظل الطائر المتقلب

ويأتي عنتره على الصورة فيقول (٤) :

كتائب تزجي فوق كل كتيبة
لواء كظل الطائر المتقلب

ويكررها في موقف آخر فيقول (٥) :

كتائب شهباء فوق كل كتيبة
لواء كظل الطائر المتصرف

ان هذه الاشارات تؤكد ما ذهبنا اليه في تفسيرنا لما ذهبنا اليه بعض التأويلات في تسمية الراية أو اللواء بالعقاب وقد أصبح العقاب اسما للراية واللواء وهو ما بدأنا نراه واضحا في نماذج في الشعر التي اعقبت فترة الادب بعد الاسلام . والفرزدق يذهب هذا المذهب في أوصافه وتشبيهاته حتى يعتبر الرايات طيورا فوق رؤوس المقاتلين (٦) ويتسع في أجزاء الصورة فيجعل الرايات حول الألوية طيورا حوائم في السماء تدور (٧) واذا بدت الرايات فوق الخميس كانت كأنها كواسر العقبان (٨) ويلازم الفعل خفق هذه الصورة في كثير من التشبيهات فاذا خفقت العقاب (الراية) ترى الناس يسعون اليهم هربا من نار الحرب (٩) وجنود الشام

(٣) الطفيل الغنوي . الديوان / ١٣ .

(٤) عنتره . الديوان .

(٥) عنتره .

(٦) الفرزدق . الديوان ١ / ٢٥ ، ٥٨ .

(٧) ن . م . ١ / ٢٩٨ .

(٨) ن . م . ٢ / ٣٤٤ .

(٩) ن . م . ١ / ٦٤ .

تتقدم وفوقها تخفق الرايات كالطير حين ترتفع (١٠) وكان بني مجاشع تحت الخوافق اسد هواصر (١١) ويمدح آل المهلب بانهم يدنون خوافق من خوافق لتلتقي في كل يوم تثار فيه الحرب (١٢) ولقومه يومان منها يوم في ظلال الخوافق (١٣) ويكنى عن الرايات بخرق الملوك ولكنها تقترون بالفعل يخفق تأكيداً لما ذهب اليه في أوصافه المتقدمة (١٤) ويؤشر لون الراية باللون الأحمر وربما جاءت الصورة لتظهر بطش المدوح بخصومه (١٥) وأمواج المقاتلين ترتفع فوقهم الرايات (١٦) .

وللواء صورة تقارب الراية وتختلط بها أحياناً فارتفاعه يستعار للرفعة والسمو بحيث تقصر عنه العيون (١٧) وتحت اللواء يستعذب الاستشهاد اكراما له وابقاء لرفعته (١٨) وللواء دلالات كثيرة لانه يرفع في مناسبات ويبقى أصحابه لهم الفضل في رفعه لقوم الشاعر كان لهم لواء المربد ويجد الشاعر في هذه الحقيقة كرامة واعتزازا حتى يفخر بها (١٩) واللواء يرفع على رمح يقاتل به صاحبه اذا وجد نفسه مضطرا للقتال (٢٠) ومن هنا كانت (حمال الوية) صفة من الصفات التي يمدح بها المرء (٢١)

-
- (١٠) ن م ١١٢/١
 - (١١) ن م ٢١٦/١
 - (١٢) ن م ٣٠٥/١
 - (١٣) ن م ٥٤/٢
 - (١٤) ن م ١٥٥/٢
 - (١٥) ن م ٢٥/١
 - (١٦) ن م ٢٣٤/١
 - (١٧) ن م ٢٩٧/١
 - (١٨) ن م ١٧١/٢ ، ٢٧/٢ ، ٤٧/١
 - (١٩) ن م ١٧٣/١
 - (٢٠) ن م ١٠/١
 - (٢١) ن م ٤١٣ ، ٣١١/١

ولواء المؤمنين منصور(٢٢) واذا فزع القوم هزوا لواءهم اعرابا عن الخطر
واشارة الى بداية المنازلة(٢٣) .

اما مفردة الحرب في الديوان فيقف عندها الشاعر أكثر من خمسين
مرة وتقترن بعض هذه الألفاظ بالنار فنسار الحرب لا يخبو شهابها(١)
واذا الحرب العوان تضرمت(٢) واذا ما الحرب شب ضرامها(٣) ويصطلي
في الحرب نارا(٤) واثافي الحرب تغلي قدورها(٥) ونار الحرب ونيرانها(٦)
هي التي تصطخب اواراً وتلتهب اشتعالا وهي صور تؤكد شدتها وتثير
سعارها وتقترن بما تحمله وتبعثه اذا جاشت ولفح هجيرها(٧) واذا كانت
النار قد اخذت هذه الصورة في التأثير فان الشقاء والخيانة والمنايا اخذت
جوانب أخرى وهي تمتد الى كل مسلك من مسالكها وتتسرب الى كل لون
من ألوانها فواجهها(٨) اذا تكشفت(٩) أو قل نابها(١٠) أو بدا قتامها(١١)
أو شممت عن ساقها(١٢) فالحرب لا تؤمن(١٣) لأن الانسان يصبح شلواً

-
- (٢٢) ن ٢٩٨/١ م٠
(٢٣) ن ١٦٩/٢ م٠
(١) ن ٣٤٩/٢ م٠
(٢) ن ٢٤١/٢ م٠ ، ٣٤٢
(٣) ن ٢٤١/٢ م٠
(٤) ن ٧٥/١ م٠
(٥) ن ٢٥٨/١ م٠
(٦) ن ١٢٠/٢ م٠ ، ٤٥٩/٢ ، ٩٢/١ ، ٥١/١ تنظر الصفحات
(٧) ن ٢٣٥ م٠ ، ٧٣/١ ، ٥٦/١ م٠
(٨) ن ٢٩٤ م٠ ، ١٣٠/٢ ، ٢٢٤ ، ٧٥/١ م٠
(٩) ن ٢٢٤ م٠
(١٠) ن ٥٨/١ م٠
(١١) ن ٢٤١/٢ م٠
(١٢) ن ٣٠١/٢ م٠
(١٣) ن ٣٣٣/٢ م٠

عنها(١٤) اذا شهرت سيوفها وعضت نيا بها(١٥) ولم تمنع من حماة يدفعون بلاءها ويطفئون نارها . ويبقى أخو الحرب وبنو الحرب اوجها من وجوهها عند الشاعر(١٦) فيها تصبح وجوه الأبطال كالحة(١٧) حتى تقطع القلوب والافئدة(١٨) .

اما رحي الحرب فهي صورة متوارثة تعاود عليها الشعراء لما تلمسوه فيها من طحن وسحق وقد وجد فيها الشاعر صورة موروثة أضاف اليها من قدرته ما جعلها تأتي متوافقة والاحداث التي شبهها بها(١٩) . ومن باب الاحاطة الشاملة بجوانب السلاح والاستقصاء الشامل لصورتها كانت أحاديث الشاعر تمتد من خلالها الى الحديث عن الأبطال والصناديد والقتلى وذكر الملحمة التي تعني الصورة بالمفردات وتلونها بالمعطيات التي تجعلها أكثر تدفقا واعمق اثارة .

(١٤) ن.م. ٣٢٢/٢ .

(١٥) ن.م. ٣٠١/٢ ، ٣٥٠ .

(١٦) ن.م. ١٥/٢ ، ٣٣ ، ٣٢٧ ، ٥٦/١ ، ١٥٤ .

(١٧) ن.م. ٣١١/١ .

(١٨) ن.م. ١٨١/٢ وتنظر الصفحات ٢٣٤/١ ، ٧٠ ، ٣٣ ، ٩٢ ، ٨٢ ،

١٣٤ ، ١٥٩ ، ١٧٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ .

١٢٢/٢ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ، ٢٢٥ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ .

(١٩) ن.م. ٢٢٣/١ ، ٣١٣ ، ٧٣/٢ .

فالابطال يعرف وقع سيوفهم (١) وجوههم في الحرب كالحلة (٢) ورحى
الابطال تدور في حومة الوغى (٣) واذا شمרת الحرب كانوا مصاليات
أبطالاً (٤) وكيف تصنع أيدي الفرسان بالابطال (٥) واذا التقت الابطال
أبصرت وجهه وكيع مضيئاً واعناق الكماة خاضعة (٦) وتظهر المكارم يوم
تنازل الابطال (٧) ومن الخصائص التي يمدح بها اقتحام الابطال (٨)
والضرب فوق جماجمهم (٩) .

وحدق الابطال تبدو مصبوغة بالزعفران والعندم حين تشتد المعارك
لهول ما يقع فيها (١٠) .

ويأتي الشاعر على ذكر الملحمة في خمسة مواضع يؤكد فيها شدتها
ويوم يؤسها التي تزيد المرء اقتراباً من اجله (١١) ويشير الى الوقائع التي
تكسرت فيها القنا حتى ترك فيها عند اللقاء ملاحماً دارت على خصومه
رحى المنايا (١٢) وبنو حنيقة ينتمون الى أبيهم في يوم الملحمة والصبر (١٣)
وبلال بن أبي بردة معدوح الشاعر اذا استل سيفه للمحمة فاز فيها واخذ

-
- (١) ن.م. ٧٩ .
(٢) ن.م. ٣١١/١ ، ٢١١/٢ .
(٣) ن.م. ٣١٣/١ .
(٤) ن.م. ٣٢٣/١ .
(٥) ن.م. ٣٤٢/١ .
(٦) ن.م. ٤٠٩/١ .
(٧) ن.م. ١٦٨/٢ .
(٨) ن.م. ٢١٠/٢ .
(٩) ن.م. ٢٣٨/٢ .
(١٠) ن.م. ٢٧٩/٢ .
(١١) ن.م. ٨٢/١ .
(١٢) ن.م. ١١٥/١ وتنظر ٢٣٥/١ .
(١٣) ن.م. ٣٥٠/١ .

حق (١٤) وتتوالى مفردات يوم الروع (١٥) والغمرات (١٦) وأخو غمرات (١٧)
ويوم الكريهة (١٨) والوغي (١٩) وحومة الوغي (٢٠) والقتال (٢١)
والمعلمين (٢٢) والجيش الجرار (٢٣) .

ان هذه المحاولة التي جردت المفردات وحاولت ان تدرسها من خلال
المواقع التي استخدمت فيها استطاعت ان تقدم صورة لطريقة استخدام
الافعال والفروق التي يمكن ان تتضح من خلال كل موقع للمفردة والفعل
الذي تسبق فيه . ولا بد ان يخرج الدارس منها بتصوّر عام يعطي الأدب
العربي جودة فيها ألوان جديدة وتقدير يختلف عن الصورة التي لازمته
وهو ينحصر في إطار ودائرة ضيقة ويدور في حلقات بقي يعاني من ضيقها
مدة من الزمن وان هذه لمحاولة تفتح الطريق أمام الدراسات الأدبية لتأخذ
هذا المنحى وصولاً الى الصيغة التي تضع الأدب العربي في الموضع المناسب
وسأحاول متابعة امثال هذه الدراسة في دواوين أخرى لتكتمل الصورة
أمام الدارسين ليعيدوا النظر في المقولات التي ظلت تنحت في البناء الشعري
العربي .

-
- (١٤) ن م ٠ ١٠٦/٢ .
(١٥) ن م ٠ ١٢/١ ، ١٨ ، ٦٩ ، ٣٣٥/٢ ، ٣٣٦ .
(١٦) ن م ٠ ١٠٢/١ ، ١٧٨ ، ٣١٥ ، ٤٢٠ ، ٦٠/٢٠ ، ١٢٨ ، ٢٥٤/٢ .
(١٧) ن م ٠ ٥٦/١ ، ٢٣٩ .
(١٨) ن م ٠ ١٢٣/٢ .
(١٩) ن م ٠ ٢١/٢ ، ١٣٠ .
(٢٠) ن م ٠ ٧٤/١ ، ٣١٣ .
(٢١) ن م ٠ ٧٩/١ ، ١١١ ، ١١٥ ، ٢٣٥ ، ٢٧٨ .
(٢٢) ن م ٠ ١٠٦/١ ، ١٠٧ ، ٢٢٨/٢ ، ٢٥٤ ، ٣٢٠ .
(٢٣) ن م ٠ ١٤٥/١ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٣٠٥ ، ٣٤٢ .
١٧٦/٢ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ .

ظاهرة « القطع » في العربية

الدكتور فاضل صالح السامرائي

استاذ بكلية الآداب - جامعة بغداد

في العربية ظاهرة جديدة بالالتفات اليها وهي ظاهرة (القطع) ونعني بها مغايرة النعت للمنعوت في الاعراب وذلك بأن يكون المنعوت مرفوعاً ونعته منصوباً وقد يكون المنعوت منصوباً ونعته مرفوعاً وقد يكون مجروراً فيقع نعته مرفوعاً أو منصوباً نحو : (مرت بمحمد الكريم أو الكريم) . ويقع القطع في النعت كثيراً وقد يقع أيضاً في العطف نحو قوله تعالى « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء - البقرة ١٧٧ » فعطف بالنصب على المرفوع ومثله قوله تعالى « والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيميين الصلاة والمؤتتون الزكاة - النساء ١٦٢ » فعطف بالنصب على المرفوع .

وقد اختفت هذه الظاهرة من التعبير منذ زمن بعيد . ويستعمل القطع لأداء معنى لا يتم بالاتباع فهو يلفت نظر السامع الى النعت المقطوع ويثير انتباهه وليس كذلك الاتباع وذلك ان الاصل في النعت أن يتبع المنعوت فإذا خالفت بينهما نبهت الذهن وحركته الى شيء غير معتاد فهو كاللافتة أو المصباح الأحمر في الطريق يثير انتباهك ويدعوك الى التعرف على سبب وضعه .

فهذا التعبير يراد به لفت النظر واثارة الانتباه على الصفة المقطوعة وهو يدل على ان اتصاف الموصوف بهذه الصفة بلغ حداً يثير الانتباه . جاء في (حاشية يس على التصريح) : « قال السعد في حواشي

الكشاف : فان قلت : ما وجه دلالة مثل هذا النصب أو الرفع على ما يقصد به من مدح أو ذم أو ترحم ؟

قلت : ان في الافتنان لمخالفة الاعراب وغير المؤلف زيادة تنبيهه وإيقاظ السامع وتحريك من رغبته في الاستماع سيما مع التزام حذف الفعل أو المبتدأ فانه أدل دليل على الاهتمام « (١) » .

وجاء في (إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) في قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) : « قال أبو علي : اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان . . . الموجب لإيقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تعبير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سنن السلوك ينبىء عن اهتمام جديد شأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب » (٢) .

وجاء في (معترك الاقران) : « قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من اجرائها . قال الفارسي : اذا تكررت صفات في معرض المدح أو الذم فالأحسن ان يخالف في اعرابها لأن المقام يقتضي الاطناب ، فاذا خولف في الاعراب كان المقصود أكمل لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن وعند الاتحاد تكون نوعا واحدا » (٣) .

وذكر الفراء أن العرب تقصد بمخالفة الصفة للموصوف في الحركة أن تجدد له وصفا جديدا غير متبع لأوله . جاء في (معاني القرآن) : « والعرب تعترض من صفات الواحد اذا تناولت بالمدح أو الذم فيرفعون

(١) حاشية يس على التصريح ١١٧/٢ .

(٢) إرشاد العقل السليم .

(٣) معترك الاقران ٣٥٤/١ وانظر التفسير الكبير للرازي ٤٩/٥ ، البرهان ٤٤٦/٢ .

إذا كان الاسم رفعا وينصبون بعض المدح فكأنهم ينوون اخراج المنسوب
بمدح مجدد غير متبع لأول الكلام . . .

وقال بعض الشعراء :

الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم

وذا الرأي حين تغم الامور
بذات الصليل وذات اللجم

فنصب (ليث الكتيبة) و (ذا الرأي) على المدح والاسم قبلهما
مخفوض « (٤) » .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى انك اذا قطعت فانك تعني أن
المخاطب يعلم من اتصاف الموصوف بهذه الصفة ما يعلمه المتكلم فان القطع
يدل على أن الموصوف مشتهر بهذه الصفة معلوم بها عند السامع كما عند
المتكلم ولست تريد أن تعلمه بها . فاذا قلت (مررت بمحمد الكريم)
كان المعنى : مررت بمحمد المعروف بالكرم المشتهر به بخلاف قولك
(مررت بمحمد الكريم) فانك قد تريد بذلك ان تميزه عن غيره وتبينه
به . فالقطع لا يكون الا اذا كان الموصوف مشتهرا بالصفة معلوما بها
حقيقة أو ادعاء أي تدعي أنه مشهور بهذه الصفة فاذا مدحته بالقطع ادّعت
انه معروف بهذه الصفة مشتهر بها فيكون أمدح له . واذا ذمته كنت
ادّعت انه مشهور بهذه الخصلة الذميمة معلوم بها ، فانك اذا قلت
(مررت بخالد الدنيء) لم ترد أن تعلم المخاطب بأن خالدا دنيء لأن
المخاطب لا يجهل ذلك وانما اردت ذكره بأمر يعلمه كل أحد فيكون أهجى

(٤) معاني القرآن ١٠٥/١ .

له واذم ، قال تعالى « وامراته حمالة الحطب - المسد ٤ » فنصيب لأنه لم يرد أن يخبر بأمر مجهول وانما ذكرها بأمر مشهور يعرفه كل أحد اضافة الى الذم بصيغة المبالغة فهو ذمها بصيغة المبالغة أولا ثم بالقطع بأن جعل هذا أمراً معلوما لا يخفى على أحد .

ولهذا اذا كانت الصفة لقصد التوضيح والتبيين وتمييز الموصوف من غيره لا يصح قطعها « اذ لا قطع مع الحاجة » فالموصوف اذا احتاج الى مائة صفة ليتميز من غيره لم يصح قطع واحدة منها . قال ابن مالك :

وان نعوت كثرت وقد تلت
مفتقراً لذكرهن أتبع

وذلك كأن تقول (مررت بمحمد التاجر الشاعر الكاتب) فانك اذا أردت أن تميزه من ثلاثة آخرين كل واحد اسمه محمد أحدهم تاجر شاعر والثاني تاجر كاتب والثالث شاعر كاتب كان عليك أن تميز الآخر منهم بقولك (مررت بمحمد التاجر الشاعر الكاتب) فانك اذا حذفته اية صفة التبس بمحمد آخر ، ففي نحو هذا لا يجوز القطع لأن هذه الصفات لقصد تمييزه من غيره . فان كانت له صفة أخرى مشهورة بها معلومة للمخاطبين كأن يكون فقيها جاز لك القطع على قصد أنه معلوم بها فتقول (مررت بمحمد التاجر الشاعر الكاتب الفقيه) فتتبع النعوت الاولى وجوبا ويجوز في النعت الآخر القطع . جاء في (التصريح) : « وان لم يعرف مسمى المنعوت الا بمجموعها وجب اتباعها كلها للمنعوت لتنزيلها منزلة الشيء الواحد واليه اشار الناظم بقوله :

وان نعوت كثرت وقد تلت
مفتقراً لذكرهن أتبع

وذلك كقولهم (مررت بزيد التاجر الفقيه الكاتب) اذا كان زيد هذا

الموصوف بهذه الصفات يشاركه في اسمه ثلاثة من الناس اسم كل واحد منهم زيد وأحدهم تاجر كاتب والآخر تاجر فقيه والآخر فقيه كاتب فلا يتعين زيد الأول من الآخرين الا بالنعوت الثلاثة فيجب اتباعها كلها .
وان تعين ببعضها جاز فيما عدا ذلك البعض الذي تعين به الأوجه الثلاثة الاتباع والقطع الى الرفع أو الى النصب أو الجمع بينهما بشرط تقديم المتبع على الأصح .

واذا كان المنعوت نكرة تعين في الأول من نعوته الاتباع لأجل التخصيص بخلاف ما اذا كان معرفة فانه غني عن التخصيص وجاز في الباقي من نعوته القطع عن المتبوع « (٥) » .

فالقطع انما يكون للدلالة على ان الموصوف مشهور بالصفة المقطوعة جاء في (شرح الرضي على الكافية) : « اعلم ان جواز القطع مشروط بأن لا يكون النعت للتأكيد نحو امس الدابر ... »

والشرط الآخر ان يعلم السامع من اتصاف المنعوت بذلك النعت ما يعلمه المتكلم لأنه ان لم يعلم فالمنعوت محتاج الى ذلك النعت لبيّنه ويميزه ولا قطع مع الحاجة وكذا اذا وصفت الموصوف بوصف لا يعرفه المخاطب لكن ذلك الوصف يستلزم وصفاً آخر فلك القطع في ذلك الثاني اللازم نحو (مررت بالرجل العالم المبجل) فان العلم في الأغلب مستلزم للتبجيل « (٦) » .

وجاء في (التصريح) : « اذا لم تتكرر النعوت وكان المنعوت معلوما بدون النعت حقيقة أو ادعاء جاز اتباعه وقطعه ما لم يكن لمجرد التوكيد نحو (نفخة واحدة) أو ملتزم الذكر نحو جاؤا الجماء الغفير أو جارياً على

(٥) التصريح ١١٧/٢ وانظر الاشموني ٦٨/٣ ، الهمع ١١٩/٢ .

(٦) الرضي ٣٤٦/١ .

مشار إليه نحو بهذا الرجل « (٧) » .

وجاء في (شرح قطر الندي) : « ويجوز قطع الصفة المعلوم موصوفها حقيقة أو ادعاء رفعا بتقدير هو ونصبا بتقدير أعني أو أمدح أو أذم أو أرحم » (٨) .

وجاء في (الكامل) : « اذا قال (جاءني عبدالله الفاسق الخبيث) فليس يقول الا وقد عرفه بالخبيث والفسق فنصبه بأعني وما اشبهه من الافعال نحو (اذكر) وهذا أبلغ في الذم أن يقيم الصفة مقام الاسم وكذلك المدح » (٩) .

وجاء في (الكتاب) : « (هذا باب ما ينتصب في التعظيم والمدح) وان شئت جعلته صفة فجري على الأول وان شئت قطعت فابتدأته وذلك قولك (الحمد لله الحميد) هو والحمد لله اهل الحمد والملك له اهل الملك ولو ابتدأته فرفعته حسنا كما قال الاخطل :

نفسي فداء امير المؤمنين اذا

ابدى النواجد يوم باسل ذكر

الخائض الغمر والميمون طائره

خليفة الله يستسقى به المطر

زعم الخليل ان نصب هذا على انك لم ترد أن تحدث الناس ولا من تخاطبه بأمر جهلوه ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعلته ثناء وتعظيما ، ونصبه على الفعل كأنه قال : اذكر اهل ذاك واذكر المقيمين ولكنه

(٧) التصريح ١١٦/٢ .

(٨) شرح قطر الندي ٢٨٨ وانظر الكليات لأبي البقاء ٢٢٠ .

(٩) الكامل ٧٤٨/٢ .

فعل لا يستعمل اظهاره وهذا شبيهه بقوله (انا بني فلان نفعل كذا) لأنه لا يريد أن يخبر من لا يدري انه من بني فلان ولكنه ذكر ذلك افتخارا وابتهاء « (١٠) » .

وجاء فيه أيضا : « (هذا باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما اشبهه) وذلك قولك اتاني زيد الفاسق الخبيث لم يرد أن يكرره ولا يعرفك شيئا تنكره ولكنه شتمه بذلك ... وقال عروة الصعاليك :

سقوني الخمر ثم قكنفوني
عداة الله من كذب وزور

انما شتمهم بشيء قد استقر عند المخاطبين ... وقد يجوز مررت بقومك الكرام اذا جعلت المخاطب كأنه قد عرفهم « (١١) » .
وجاء في (شرح السيرافي) بهامش الكتاب : « قال ابو سعيد : يحتاج التعظيم الى اجتماع معنيين في المعظم :

احدهما ان يكون الذي عظم به فيه مدح وثناء ورفعة .

والآخر أن يكون المعظم قد عرفه المخاطب وشهره عنده بما عظم أو يتقدم من كلام المتكلم ما يتقرر به المخاطب حال مدح وتشريف في المذكور يصح ان يورد بعدها التعظيم « (١٢) » .

فهذه حقيقة القطع وغرضه .

ثم انه يقطع مع المرفوع الى النصب ومع المنسوب الى الرفع ومع المجرور الى الرفع أو النصب فتقول (مررت بخالد العظيم أو العظيم)

(١٠) سيبويه ٢٤٨/١ - ٢٥٠ .

(١١) سيبويه ٢٥٢/١ .

(١٢) شرح السيرافي ٢٥٢/١ .

ويبدو أن القطع الى الرفع أثبت وأشهر وذلك لأنه في النصب بتقدير جملة فعلية نحو (أعني العظيم أو أمدح) وفي الرفع بتقدير اسم أي هو العظيم .
والاسم أثبت وأقوى وأدوم من الفعل كما هو معلوم فقولك (هو متعلم) أثبت وأقوى من (هو يتعلم) و (هو مطلع) أثبت وأقوى من (هو يطلع) ومنه قوله تعالى « هل أتاك حديث ضيق إبراهيم المكرمين . اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام - الذاريات ٢٣ ، ٢٤ » فهم حيوه بالنصب وحياتهم بالرفع فرد التحية عليهم بخير منها ذلك لأن الفعل يدل على الحدوث والتجدد والاسم يدل على الثبات كما ذكرنا وهم حيّوه بالجملة الفعلية ذلك لان النصب على تقدير فعل وهو حياتهم بالجملة الاسمية (١٣) .
فقولك (مرت بمحمد العظيم) بالاتباع قد يراد منه تمييزه من غيره الذي هو حقير أو يراد مدحه بهذه الصفة .

وقولك (مرت بمحمد العظيم) بالنصب تريد تنبيه السامع على هذه الصفة كما تعني أن محمداً مشهور بهذه الصفة معلوم بها للمخاطب يعلمه كل أحد .

وقولك (مرت بمحمد العظيم) بالرفع يدل على أن محمداً معلوم اتصافه بهذه الصفة مشهور بها غير أن اتصافه بهذه الصفة واستقرارها ورسوخها فيه وتمكنها منه أكثر وأشد مما قبلها .

وورد القطع في العطف أيضاً للدلالة على أهمية المقطوع من بين المعطوفات جاء في (الكشف) في قوله تعالى : « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء - البقرة ١٧٧ » : « وأخرج الصابرين منصوباً على الاختصاص والمدح اظهاراً لفضل الصبر في الشدائد ومواطن

(١٣) ينظر تفسير الرازي ٢٨/٢١٢ ، الكشف ١/٣٨ - ٣٩ ، ٣/١٦٩ .

القتال على سائر الاعمال» (١٤) .

وجاء في (شرح شنور الذهب) في قوله تعالى : « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمون الصلاة - النساء ١٦٢ » : « ان المقيمين نصب على المدح وتقديره : وأمدح المقيمين . وهو قول سيبويه والمحققين وانما قطعت هذه الصفة عن بقية الصفات لبيان فضل الصلاة على غيرها » (١٥) .



(١٤) الكشف ٢٥٢/١ .

(١٥) شرح شنور الذهب ٥٤ وانظر الكشف ٤٣٨/١ .

مراجع البحث

- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد العمادي - مخطوطة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٢١٠٣ .
- البرهان في علوم القرآن - لبدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ط ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م دار احياء الكتب العربية .
- التفسير الكبير لفخرالدين الرازي - المطبعة البهية - مصر .
- حاشية على شرح التصريح للشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي طبعت مع شرح التصريح .
- شرح الاشمونى على الفية ابن مالك - دار احياء الكتب العربية .
- شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبدالله الازهري - دار احياء الكتب العربية .
- شرح رضي الدين الاسترآبادي على الكافية لابن الحاجب .
- شرح السيرافي على كتاب سيبويه مطبوع بهامش الكتاب .
- شرح شذور الذهب لابن هشام الانصاري تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .
- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الانصاري - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط ٩ سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
- الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق الدكتور زكي مبارك ط ١٣٥٥/١هـ - ١٩٣٦م مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
- كتاب سيبويه مصور على طبعة بولاق - نشر مكتبة المثنى ببغداد .
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل - لجارالله الزمخشري مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .

- الكليات لأبي البقاء الحسيني الكفوي طبعة بولاق ط ٢ .
- معاني القرآن لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفراء - مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
- معترك الاقران في اعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي تحقيق محمد علي البجاوي . دار الثقافة العربية للطباعة .
- همع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي ط ١ سنة ١٣٢٧هـ مطبعة السعادة بمصر .



الغيث الفاظه ومعانيه في الشعر العربي

الدكتورة سهام الفريح

قسم اللغة العربية - جامعة الكويت

للمطر وقع خاص في نفوس العرب ، فهو بدء الخصب ، حيث تتوقف الصحراء على المطر لذا نراهم يستبشرون بقدومه ، وكان من الطبيعي أن يلتفت العربي في شعره لهذه الظاهرة .

اما ما يعنينا في هذا البحث فهو متابعة هذه اللفظة - المطر - وغيرها من الألفاظ المتصلة بها في لغة العرب ، وبيان دلالاتها ووجوه استخدامها في الشعر العربي .

وقد عمدنا الى استخدام لفظة (الغيث) بدلا من المطر وجعلناها عنوان هذا البحث لانها اكثر فصاحة وبيانا ، ولعذوبة نطقها ولين حروفها مما لا يتوافر في غيرها من الألفاظ في هذا المعنى ، وكما أشار الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين ١ : ٢٠) (وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، الا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الكريم الجوع الا في موضع العقاب أو موضع الفقر المدقع ، والعجز الظاهر والناس لا يذكرون السغب والجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر ، لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا في موضع الانتقام ، والعامّة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث) ، وكذلك ما رواه الاصمعي عن ذي الرمة يدور حول هذه اللفظة ويميل الى استخدامها بدلا من لفظة (المطر) لفصاحتها . حيث قال :- (قاتل الله أمة بنى فلان ما

أفصحها قلت لها : كيف كان المطر عندكم ؟ غشنا ما شئنا) . (لسان العرب : مادة غيث) .

وحتى لا يأخذنا الجاحظ بطبعه ونسترسل كاسترساله في كتبه ورسائله ، علينا أن نقف أولا عند المعنى اللغوي لهذه اللفظة ، فاشارة الجاحظ تؤكدنا الآيات القرآنية الكريمة التي وردت فيها لفظة (المطر) وهي جميعها تعني العذاب والانتقام ومنها قوله تعالى : (وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) (٨٤ ك الاعراف ٧) ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى : (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطرا سوءا) (٤٠ ك الفرقان ٢٥) ، وكذلك قوله تعالى : (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) (١٠٢ م سورة النساء ٤) وقوله تعالى : (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) (الآية ٧٤ ك الحجر ١٥) ، فلفظة المطر لم ترد في القرآن الكريم الا بهذا المعنى .

أما لفظة (الغيث) فقد وردت في القرآن الكريم وهي تعني المطر ، ومن معانيها الاغاثة : أي الاعانة - كما اشرنا سابقا - وذلك كقوله تعالى : (الشورى ٤٢) فقد اتصل معناها بالرحمة أيضا في هذه الآية . أما عن (وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته) (الآية ٢٨ ك ورود لفظة (المطر) في الحديث الشريف ، فقد جاءت وهي تعني المعنيين فقد ترد وهي تعني الاغاثة والخير ، وجاءت أيضا وهي تعني العذاب والغضب ، ففي معنى الخير قوله صلى الله عليه وسلم : (فاستهلت السماء في تلك الليلة فأمرت) ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ويقال وفي الحديث : (فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي) ، وقد تعنى المطر الغزير الذي يحدث بسببه الدمار كما في قوله صلى الله عليه وسلم ويقال وفي الحديث : (وانه يمطر المطر ولا ينبت الشجر) وقوله أيضا صلى الله عليه وسلم ويقال وفي الحديث : (وان كشفه الله عز وجل

ولم يمطر حمد الله على ذلك) ، وقوله صلى الله عليه وسلم ويقال وفي الحديث : (وهاجت السماء فمطرنا) (انظر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ج ٦ ص ٢٣٩) .

أما لفظة (الغيث) فلا خلاف في معناها فهي تعني - دائما - الاغاثة والخير ، وقد جاءت بهذا المعنى في الحديث النبوي الشريف ، وذلك في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ويقال وفي الحديث (يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء) وقوله أيضا صلى الله عليه وسلم ويقال وفي الحديث : (اذا رأى الغيث قال اللهم طيبا هنيئا) ، وقوله صلى الله عليه وسلم الذي شبه فيه العلم بالغيث الكثير الذي يصيب الارض (والعلم كمثل غيث ، الغيث الكثير الذي اصاب الارض فكان منها نقيّة) (انظر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ج ٥ ص ٣١) (صحيح البخاري ج ١ ص ٣) .

أما بالنسبة لكتب المعاجم غير (لسان العرب) ففي اشارة صاحب كتاب (الافصاح في فقه اللغة) (وقيل : مطرت السماء وامطرت في الرحمة ، وامطرت بالألف لا غير العذاب) (ج ٢ ص ٩٥٠) .

وأما ما جاء في كتاب (النهاية في غريب الحديث والاثار لابن الاثير) فهو (خير نسائكم العطرة المطرة ، وهي التي تتنظف بالماء اخذ من لفظ المطر ، كأنها مطرت فهي مطرة : أي صارت ممطرة مغسولة) (ج ٣٤ ص ٢٣٩) .

أما بالنسبة لوردها في الشعر العربي القديم فهي تأتي بلفظة (المطر) وهي تعني (الغيث) والخير ، وهي كثيرة في الشعر ، وفي مقدمة الشعراء الذين اهتموا بالمطر بصفته ظاهرة امرؤ القيس ، فقد أطال الحديث عن المطر وما اتصل به من الفاظ كالبرق والسحب والسييل ، ولنتأمل قوله : الديوان ٢٤ - ٢٦ :

أحار ترى برقاً كان وميضه
كلمع اليدين في حبي مكلل

يضيء سناه أو مضاييح راهب
أهان السليط بالذبال المقتل

قعدت له وصحبتني بين حامر
وبين أكام بعدما متأمل

وأضحى يسح الماء عن كل فيقة
يكب على الاذقان دوح الكنهيل

كان أبانا في أفانين ودقه
كبير / أناس في بجاد مزمل

والقى بصحراء الغبيط بعاعه
منزول اليحاني ذي العياب المحمل

كان سباعا فيه غرقى غدية
بارجائه القصوى انابيش عنصل

والقى ببسيان مع الليل بركه
فانزل منه العصم من كل منزل

والملاحظة العامة ان امرأ القيس متأثر في وصف الطبيعة بالشاعر
أبي دؤاد ، وخاصة حين يرى امرؤ القيس ان جبل (ثبير) أو (أبان)
حين اكتسى بالنبت بعد المطر ، يشبه شيخا كبيرا يكتسى كساء مخططا
معلما .

ونحن نقف أمام هذا المقطع لا لنسجل وضوح اللفظة (المطر)

واستخداماتها عند امرئ القيس وذلك ليس بسبب عدم ورودها لفظا في هذا المقطع وانما وقفنا عند الجانب الفني وموقف الشاعر من الطبيعة ، لكي يتهيأ لنا التوغل في ذهنية الشاعر لتعرف هذه الجوانب الفنية المتميزة عنده والتي من خلالها نتوصل الى غايته في استخدام هذه اللفظة .

فقد وصف في هذا المقطع البرق والغيث والسحب ونجده وان لم يرد ذكر لفظتي (الغيث والمطر) نصا الا اننا نجد رؤية بعيدة تجمع بين مختلفات ومتباعدات في ظاهر معناها تعمق الصورة لهذه الظاهرة الكونية وكيف انها تجمع بين الدمار والنماء في آن واحد وهي تظهر في البيت الذي يقول فيه :

وألقى ببسيان مع الليل بركة

فانزل منه العصم من كل منزل

ففي هذا البيت يصور المطر - دون ان يذكر لفظه - الذي يقتلع النباتات من اصولها ، ويهدم المنازل ويقتلع الشجر ، ويدفع الحيوان الى الفرار من موقعه هذا لموقع آمن يطلب فيه النجاة . فالشاعر هنا لم تدفعه نفس تتلذذ بمشاهدة الدمار الذي قد يؤدي الى العذاب وانما هو يصور مظهرا حقيقيا لهذه الظاهرة في بعض جوانبها ، وهي في بعض حالاتها تؤدي الى الدمار ، اما النماء فيظهر في الابيات التالية (الديوان ٢٤ - ٢٦) :

أحار ترى برقاً كأن وميضه

كلمع اليدين في حبي مكلل

يضئ سناه أو مصابيح راهب

أهان السليط بالذبال المقتل

واضحى يسح الماء عن كل فيقة

يكب على الاذقان دوح الكنهيل

كان سباعا فيه غرقى غدية
بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

الشاعر في هذه الأبيات أراد ان يصف هذه الظواهر الكونية بفنية خاصة به أولا ، ومن ثم يحدد معاني النماء والرخاء والإغاثة لهذه الظاهرة أو لعله أراد ان يحدد هذه المعاني من خلال هذا الوصف المتميز .

يخاطب صاحبها له ويقول ان هذا البرق الذي يلمع بين السحب المتراكمة كلمع اليدين تتحركان بسرعة أو كمصباح راهب آمال الزيت على فتيلة ، فهناك ربط خفي بين تقليب اليدين ومصباح الراهب ، حيث ادتا هاتان الحركتان الى ولادة المطر ، وقد تتضح صور الخير والنماء الذي يبعثه الغيث في الأبيات الاخرى ، فلم يعد هذا المطر قوة مدمرة فقط افزعت الحيوان واقتلعت أشجار الكنهيل ولم يترك في تيماء جذع نخلة ، وانما سالت هذه الامطار على الجبل فغطته بالماء والغناء حتى أصبح كشيوخ ملتف برداء مخطط هو بهيئة سيد القوم ، فالتفت الى الصحراء المجاورة فوجدها بعد سكون المطر كأنها لبست حلة مزدهرة حتى أصبحت كبضاعة التاجر اليماني التي عرضها بألوانها الزاهية ، وان كان هذا تأثير الغيث على الارض فله تأثير آخر على الطير ، فقد بعث فيها حياة حتى اخذت تشدو بانتشاء وكأنها شربت من أجود الخمور واعتقها ، فالغيث أو المطر الذي وصفه امرؤ القيس (كما ذكر مصطفى ناصف بعيد عن صورة الدمار ، بل كان في الوقت نفسه اشبه ببحث وجداني صعب قاس يحتاج الى تضحيات وفداء وعذاب ، ولكنه يستاهل كل ما يبذل فيه من خوف وولاء معا) (قراءة ثانية ١٢٩) ويقول عنه الدكتور سيد نوفل : (وفي هذا الوصف تبدو فتنة الشاعر بالغيث ، فقد تتبع رحلته من بدايتها الى نهايتها ، وأحاط بجميع أحواله ، وصور كلا منها ، والغيث عنده عظيم كريم قوي ، ينصر الضعفاء ، ويداعب الأقوياء ، ويبطش بالفاتكين ، كأنه

دوة العالم المدبرة ، اضعف من شأن الجبال ، وكر على الوحوش السباع
فاغرقها وجعلها تافهة ، فاذا بلغ الصحراء الفقيرة الواطئة اغناها وجادها
وجعلها في طرب وحبور (شعر الطبيعة ص ٤٨) .

وهو - أي الغيث - كما ذكر الدكتور العشماوي (من الشدة والعنف
بحيث استطاع ان يكتسح لتدفقه وقوته كل ما في طريقه ، وان يقتلع
أشجار الكنهبل اقتلاعا . ثم انظر بعد ذلك الى صفحة الصحراء بعد سكوت
المطر عنها كيف لبست ثيابا أخرى جديدة ، فازدهرت وربت وعلا فيها
النبات من كل لون) ثم يعود ثانية ليؤكد قائلا (ولكن للغيث الى جانب
هذه الآثار الجميلة التي تركها اثارا أخرى أليمة فقد غرقت السباع في
سيول هذا المطر وتلطخت بالطين والكدر فبدت وهي على هذه الحال اشبه
باصول البصل البري حيث تنتزعه من الارض ملطخا بالطين والماء الكدر)
(قضايا النقد ص ١٩٨ - ١٩٩) .

ونجد امرأ القيس يذكر لفظة (المطر) في أحد أشعاره ويريد بها
معنى الحياة والخلود فقد جعل من لحظات الحب السعيدة التي امضاها
مع محبوبته تنهال عليه كالمطر المنهمر فأعطته الخلود ، فنراه في هذه
الحالة استخدم لفظة المطر - كما ذكرنا - واراد بها السعادة الغامرة التي
عاشها ، وهو قوله (الديوان ص ٢٣١) :

فأبيت أنعم ناعم مطر الصبا
لو نال حيا نالني الخلد

وامرؤ القيس مع كثرة وقوفه عند هذه الظاهرة قد ورد لفظ
(الغيث) في شعره على نحو ما نعرف من قوله (الديوان ص ٢٦٦) .

وغيث مرته الريح فاعتم نبتة
بهي تناصيه الوحوش قد اثمرا

إذا رجفت فيه رجا مرجحة
تبعج بالرعد الحبى مسيرا
كان الولايا نشرت في تلاعه
واعلاق تجار اذا اليوم اظهرا

قصد بالغيث هنا العشب والكلاء الذي اعتلى الارض حتى غطى نواصي
الوحوش ، وصاحب هذا الغيث صوت الرعد الذي شبهه بصوت الرحي
الذي أخذ يشق السحاب المتداني . وفي البيت الاخير نجد تشبيه الارض
الزاهية بالوان الازهار والعشب التي شبهها باعلاق التجار ذات الالوان
الزاهية ، وهذا التشبيه يلح على امرىء القيس فقد ورد أيضا في الأبيات
السابقة . وعلى نحو ما نعرف من قوله (الديوان ص ٨٧) :

وغيث من الوسمى ، خو / تلاعه
تبطنته بشليظم الصلطان

وقوله (الديوان ص ٩١) :

وغيث كالوان الفنا قد هبطته
تعاور فيه كل اوطف حنّان

وقوله (الديوان ص ٣٦) :

وقد اغتلى والطير في وكناتها
لغيث من الوسمى رائده خال

وقوله (الديوان ص ١٧٤) :

وادركهن ثانيا من عنانه
كغيث العشى الاقهب المتودق

ونجد تتابعا لذكر الغيث في كل العصور ، ذلك لان الشعراء فضلوا

هذه (اللفظة) على غيرها لانهم تفاءلوا بها اولا ولانها مما يسهل ورودها في العديد من التفاعيل المعروفة في العروض . واذا انتقلنا مع هذه اللفظة (المطر) أو مرادفتها (الغيث) عند باقي الشعراء فاننا سنجدهما في دلالاتهما المختلفة ، فالمهلل يصف السحاب والغيث والبرق وصفا جميلا رائعا تظهر فيه مقدرة الشاعر في حسن التشبيه وجمال الصورة ، وهو ما نجده في قوله :

كان كواكب الجوزاء عود^١
معطفة على رُبع كسير
كان الجدى في مئاة ريق
اسير أو بمنزلة الاسير
كان النجم اذ ولى شحيرا
فصال جلن في يوم مطير
كواكبها زواحف لا غيات^٢
كأن سماءها بيدي مدير
كواكب ليلة طالت وغمت
فهذا الصبح راغمة فغوري

فالصورة التي رسمها الشاعر في هذه الابيات لوصف الحيوان والطبيعة تنقل مشاعر حزينة وقد اكمل هذا الوصف للناقة التي تبكي طفلها الكسير ، انها كانت تسير في ليل مطير واستخدم لفظة (المطر) لتكتمل الصورة الحزينة التي اراد رسمها الشاعر ، فالمطر هنا ليس بمعنى الخير أو ان ينقل مشاعر البهجة والسرور وانما جاء في جانب من جوانب المعنى المباشر لهذه اللفظة وهو الألم والحزن قول لبيد (الديوان ص ١١) :

وغيث بدكداك يزين وهاده
نبات كوشى العبقري المخلب

وتبقى هذه اللفظة (المطر) يتناولها الشعراء بمترادفاتها المختلفة تارة تعني الخير والنماء لتعكس مشاعر البهجة والسرور ، وتارة تعني البلاء والغضب والعقاب وقد يوظفها الشاعر لتعبر عما يجيش في نفسه من الألم واحزان واحباطات تعترض حياته فتطغي على النفس حتى تعبر عنها هذه اللفظة أو غيرها ، وقد يستخدمها الشاعر بأي معنى من المعنيين ، وقد تكون الضرورة الشعرية (الوزن والقافية والسياق) قد الزمته باستخدامها في غير معانيها الحقيقية ، والشواهد على ذلك عديدة ومتناثرة في دواوين الشعراء الجاهليين ، ويحضرنا في هذا الموقف بيت الشاعر امية بن أبي الصلت الذي يمدح به (ابا يزيد) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي خطيب قريش وأحد ساداتها في الجاهلية وهو الذي تولى صلح الحديبية (الديوان : ٣٩٣) :

يا أبا يزيد رأيت سيبك واسعا
وسماء جودك تستهل وتمطر

وعندما نتقدم قليلا فأول من يستوقفنا عند هذه اللفظة (ذو الرمة) شاعر الحب والصحراء كما وصفه د. يوسف خليف فقد عشق الصحراء وتعلق بها فأبدع في وصفها ووصف كل ما يتعلق بها من حيوان ونبات وطبيعة متحركة وساكنة والمطر هو احد مظاهر هذه الطبيعة التي خلبت لبه كما خلبت لبه مية ، فربط بين التشبيب بها فوصف مية الاولى وبين وصف الصحراء والغزل بالثانية ربطا شديدا ، لكن الذي يعيننا بالدرجة الاولى هو وضوح الخلاف بين معنيي (المطر ، والغيث) ، ويتضح هذا الامر في بعض الجالات وخاصة في قوله (الديوان ص ٢٩٩ - ٣٠٢) - (خليف ص ١٧٩) :

يلوح اذا اقضى ويخفى بريقه
اذا ما اجنته غيوب المشاعر

فلما كسى الليل الشخوص تحلبت
على ظهره احدى الليالي الماطر

ولعل هذه الابيات تذكرنا بمعلقة لبيد عن البقرة التي افترس السبع
وليدها في تلك الليلة الممطرة فأخذت تسعى لتعثر على شجرة تسترها ،
فهنا يصور لنا معاناة الثور الوحشي عندما كان منفردا في صحراء الدهناء
التي تعتلها الكثبان ، وهو يفتش عن ربوة لعله يجد فيها ما يقتات به
من النبات في ذلك النهار القاطظ ، وما ان اقبل الليل حتى انعكس عليه
برودة شديدة ومطر خفيف زاد من برودة الليل وظلمته ، فالمطر هنا
زاد في معاناة الحيوان وشارك مع باقي مظاهر الطبيعة في قسوته عليها ،
أما لفظة (الغيث) فتكررت كثيرا في شعره وخاصة في قصائد المدح كقوله
في مدح ابان بن الوليد (الديوان ١٥٠ - ١٥٤) :

رأيت الناس ينتجعون غيثا
بسائغة البياض الى الوحيد

وقد استخدم هذا اللفظ وهذا المعنى بصياغة مشابهة في لاميته التي
مدح بها بلالا (الديوان ص ٤٤٢) :

سمعت الناس ينتجعون غيثا
فقلت لصيدح انتجعي بلالا

ونجد ذا الرمة يستخدم لفظة (الغيث) في معنى الغضب الذي
تصوره الطبيعة في بعض أحوالها والعادة هو ان يستخدم لفظة (المطر) في
غير معناها الخاص ، ولا نستطيع القول بأن ذا الرمة هو الوحيد الذي
استخدم لفظة الغيث في معنى الدمار اذ اننا لم نقم بالاستقراء المطلوب لهذا
الجانب الا انه خلال الشواهد التي عرضناها كانت ولا تأتي بمعنى النماء
والاغاثة ونصادف عند ذي الرمة غير ذلك كما سنرصده في قوله هذا

(انديوان ص ٣٢ - ٣٣) :

حتى اذا الهيق امسى شام افرخه
وهن لا مؤيس نأيا ولا كئيب
يرقد في ظل عراض ويطرده
خفيف نافجة عشونها حصب
تبدي له صعلة خرجاء خاضعة
فالخرق دون بنات البيض منتهب
كأنها دلو بئر حد ما يحها
حتى اذا ما رآها خانها الكرب
ويلمها روحة والريح معصفة
والغيث منرجز والليل مقترب

فالشاعر هنا ينقل لنا صور الحنو والعواطف التي عند الحيوان
لصغارها ، واختار في هذه الأبيات النعامة والظليم وحنوهما على صغارهما ،
فعند اقتراب الليل واشتداد البرد ببوارد عاصفة شديدة محملة بالمطر
اخذا ينهبان الأرض عدوا للوصول الى صغارهما لحمايتهما من غضب
الطبيعة وثورتها في تلك الليلة الموحشة ، ونجده استخدم (الغيث) وأراد
به المطر الذي يزرع الخوف والرعب ، وليس الغيث بمعنى النماء والخير
والاغاثة .

ونجد أيضا الشاعر الاخطل التغلبي يستخدم لفظة الغيث والمطر في
خلال القصيدة التي مدح بها يزيد ابن معاوية (الجماهرة ص ٣٢٦ ،
٣٢٧) :

أو مقفر خاضب الاطلاف جاد له
غيث تظاهر في ميثاء مبكاري

قد بات في ظل اوطاة تكفئه
ريح شامية ، هبت بامطار
يجول ليلته والعين تضربه
منها بغيث اجش الرعد تيار

ففي البيت الاول كان لفظ (الغيث) في معنى المطر الذي غذى
الأرض فالانها ، اما البيت الثالث فقد جاء لفظ (الغيث) وقد عنى به
المطر الغاضب وليؤكد غضبه صاحبه رعد اجش الصوت . ووردت لفظة
(المطر) في البيت الثاني وهي تعنى المعنى الخاص بها . وهذا البيت
يذكرنا ببيت للاعشى (جمهرة ص ١٢٧) :

فاذا نحن بالوحوش يتراعى
صوب غيث مجلجل هجال
فهو غيث أيضا صاحبه رعد مجلجل الصوت .

وعندما نتقدم قليلا في عصور متأخرة يقابلنا الشاعر ابو تمام الذي
كان مولعا بوصف الطبيعة ، فلا تكاد تخلو قصائده من الوقوف أمامها
ليصور العديد من مظاهرها ويلونها بألوانه اللفظية والمعنوية التي تميز
بها ، والتي لم تقف معه عند هذا الحد وانما مداها بالحركة والحياة لتكتمل
الصورة في أشعاره ، ولما كان الغيث يهب الأرض ربيعا زاهرا فقد صور
هذا الربيع بمظاهره الزاهية في شعره ومنها قوله : (الديوان ج ١
ص ٢٣) :

ومعرس للغيث تخفق فوقه
رايات كل دجنة وطفاء
نشرت حدائقه فصرن مآلفا
لطرائف الانواء والانداء

فسقاه مسك الطل كافور الندى
وانحل فيه خيط كل سماء
غنى الربيع بروضه فكأثما
أهدى اليه الوشى من صنعاء

فالشاعر هنا استخدم لفظة (الغيث) في معناها الخاص والمباشر ،
لكننا نجده في قصيدة أخرى - وان كانت تفوق هذه القصيدة في صياغاتها
وحسن النظم فيها قد خلط بين معنيي الغيث والمطر وذلك في القصيدة
المشهورة التي وصف فيها بركة المتوكل (الديوان ج ٢ ص ١٩١ - ١٩٢) :

رقت حواشي الدهر فهي تعمر
وغدا الثرى في حليه يتكسر
نزلت مقدمة المصيف حميدة
ويد الشتاء جديدة لا تكفر
مطر يذوب الصحو منه وبعده
صحو يكاد من النضارة مضمهر
غيثان : فالاتواء غيث ظاهر
لك وجهه ، والصحو غيث مضمهر

وأبو تمام في هذا المقطع كان قد بلغ مداه في وصف الطبيعة الخلابة
لكنه في الجانب الذي عنيينا به في هذا البحث نجده قد مزج بين لفظتي
(المطر ، والغيث) مزجا كاملا ، وذلك في سبيل تحقيق المعنى الذي قصده
وجعل لفظة المطر كلفظة الغيث في دلالاتها وهي الخير والنماء ، ولم يأت
هذا المزج لقصور فني فهمه للالفاظ ودلالاتها لكن الحاج هذه اللفظة على
ذهنيته ، وانسجامها مع السياق اللفظي والعروضي جعله يستخدمها بمعنى
النماء أيضا ، لكن مقدرة الشاعر الفائقة في استخدام أدواته ووسائله

الفنية التي تجسم الصورة التي أراد رسمها جعلها تبدو متكاملة لتتنقل
لنا ابداعاته في هذه القصيدة المتميزة في وصف الطبيعة .

ولشدة تعلق ابي تمام بالطبيعة والمطر والغيث نجده يردددهما في
اشعاره هذه فجاء ذكرهما أيضا في احدى قصائده المدحية حيث جعل المطر
وانهماره الشديد وان منعه من الوصول الى المدوح فحرمه من عطائه ،
لكنه كان خيرا شمل الارض جميعا وزانها في حلة قشبية جميلة وذلك في
قوله (الديوان ج ٢ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠) :

منع الزيارة والوصال سحائب

قسم القوارب جابه الاكتاف

ظلمت بني الحاج المهم وانصفت

عرض البسيطة ايما انصاف

(فانت بمنفعة الرياض وضرها

اهل المنازل السن الوصاف)

وعلمت ما يلقي المزور اذا همت

من ممطر ذفر وطن خفاف

وابو تمام يطلب من الغيث (ويعني به الخير الكثير) ان يحيى الاهل

بمغداه وعند السرى ، وذلك حيث قال (الديوان ج ١ ص ٢٩٢) :

أيها الغيث حي أهلا بمغدا

ك وعند السرى وحين تؤوب

وابن الرومي وما عرف عنه من اغرامه بوصف الطبيعة كان مجيدا

في وصفها وقد جاءت اجادته هذه نتيجة مقدرته الفائقة في الوصف عامة

وذلك بما يمتلكه من أدوات فنية خاصة بهذا الفن ، وذلك لما تهيأ له من

قدرات في رصد جوانب الصورة كاملة حتى بدأت كاملة التشخيص

والتجسيم موفاة باللون والحركة والصوت . لكن مع اغرام ابن الرومي

بالطبيعة فهو أيضا كغيره من الشعراء لا يقف عند ظاهرة (المطر) وقفة مباشرة فقد يستغل مدلولات هذه اللفظة لمعان أخرى والتي منها قوله (الديوان ج ١ ص ١١٢٤) :

اظلم ليلى وانت لي قمر
فنور الليل ، أيها القمر
اجذب سرحي وانت لي مطر
فزحزح الجذب ، أيها المطر

فمطر ابن الرومي هنا هو الخير والجود وليس الغضب والدمار الذي اراد من ممدوحه ان يجود به وان يزيل عن أرضه - أي نفسه - الجذب وان يكون له قمر يضيء ليل المظلم ، واستغل هذه اللفظة أيضا لتوضيح هذه المعاني وهي في الحقيقة على غير استخدامها الخاص وذلك في قوله (الديوان ج ٣ ص ١١١٣) :

متى استبطل العافون رفدك ام متى
تقاضاك اثمان المحامد شاعر
ليهنى رجالا لا تزال تجودهم
سحائب من كلتا يديك مواطر

ويصف الطبيعة ويذكر لفظة (المطر) بمعناها المباشر أحد مظاهر هذه الطبيعة ، لكنها ترد كما ترد عند العامة وذلك في قوله (الديوان ج ٣ ص ٩٨٣) :

وحلس من الكتان اخضر ناعم
توسنه داني الرباب مطير
اذا درجت فيه الشمال تتابعت
دوائبه حتى تقول : غدير

أما لفظة (الغيث) فتأتي بمعناها الخاص في أرجوزة له يصف فيها الطبيعة وهي قوله (الديوان ج ٣ ص ١١٧٦) :

لهوت عن وصف الطلول الدارسة
بروضة غذراء غير عانسه

جادت لها كل سماء راجسه
رائحة بالغيث أو مغالسه

فاصبحت من كل وشي لابسه
خضراء ما فيها خلاه يابسه

والمتنبي يستخدم لفظة (المطر) ويعني بها الشر والعقاب وذلك حين قال في مدح علي بن ابراهيم التنوخي (الديوان ج ٢ ص ٢٥٦) :

غمام ربما مطر انتقاما
فاقحط ودقه البلد المريعا

فقد جعل المدوح غماما يمطر انتقاما على الأعداء ، وفي الأبيات التي تلت جعله سيلا وخيرا على أهله وبني قومه ، وذلك واضح في قوله :
(الديوان ج ٢ ص ٢٥٦) :

فصير سيله بلدي غديرا
وصير خيره سنتي ربيعيا

واستخدم لفظة (المطر) في المعنى السابق نفسه أيضا لكن كلماتها جاءت ذات وقع شديد ، وهي قوله (الديوان ج ٣ ص ١٠١) :

سحائب يمطرن الحديد عليهم
فكل مكان بالسيوف غسيل

فخاضت نجيع الجمع خوضا كأنه

بكل نجيع لم تخضه كفيل

فقد استخدم هذه اللفظة في وصف المعركة فشبه الخيل بالسحب
التي تمطر الحديد من (سيوف ورماح وقنا) التي تغسل موقع المعركة
بدماء الأعداء حتى تصبح بركا دموية .

وقد يستخدم المتنبي لفظه (المطر) كاستخدام العامة ويعني بها
الخير الذي يجلب السرور ، وذلك في قوله (الديوان ج ٣ ص ٢٤٧) :

والذي ينبت البلاد سرور

والذي تمطر السحاب مدام

فهو يستخدم لفظه (تمطر) في هذا البيت لتنقل مشاعر السرور ، فالممدوح
في أي مكان يحل فيه تحل السعادة والسرور ، كما ان السحاب تمطر المدام
لشدة الفرح والسرور أيضا . وكذلك قوله (الديوان ج ٣ ص ٢٥٤) :

مطورة طرقي اليها دونها

من جوده في كل فج وابل

يقول بان طرقي الى الممدوح مطورة أي يملؤها الاحسان ، فالمتجه
اليه يصل الى احسانه أو يقابله احسانه قبل الوصول اليه وقبل الوصول
الى شخصه .

اما لفظه (الغيث) فقد وردت كثيرا في شعر المتنبي كغيره من
الشعراء ، وهي الخير النماء في مثل قوله (ديوان ج ٣ ص ٢٧٨ - ٢٧٩) :

فكنت منبت روض الحزن باكره

غيث مغير سناخ الارض هطال

غيث يبين للنظار موقعه
ان الغيوث بما تأتيه جهال

فقد اعتبر الغيث الحقيقي يهطل في أحيان كثيرة بجهالة على الارض
السبخة والطيبة على السواء ، اما غيث الممدوح فانه يهطل لمن هو بحاجة
اليه ومن يستحقه ، وكذلك يرد ذكر (الغيث) في قصيدة مدح بها
سيف الدولة ، وكان يسير معه وقد اشتد ذلك الغيث ، فقال (الديوان
ج ١ ص ٤٦ ، ٤٧) :

تجف الارض من هذا الرباب
وتخلق ما كساها من ثياب
وما ينفك منك الدهر رطباً
ولا ينفك غيثك في انسكاب
تسايرك السوازي والغوازي
مستأجرة الاحياء الطراب
تفيد الجود منك فتحتذيه
وتعجز عن خلائك العذاب

المتنبى في هذه الابيات يقابل بين غيث السماء وغيث سيف الدولة ،
وان غيث السماء تجف الارض منه وتصير حلتها القشبية بالية بعد فترة
قصيرة ، وغيث سيف الدولة - أي عطاؤه - لا ينضب ، وذلك لان ماء الغيث
ينقطع ، وعطاء سيف الدولة باق لا ينقطع ، ويجعل المتنبى السحب تساير
سيف الدولة كما يساير الحبيب حبيبه لتتعلم السحب من جوده ، لكنها
تعجز ان تأتي بمثل ما يأتي به من خير .

وما ان نتقدم قليلا حتى يلاقينا شاعر اثار الكثير حوله وحول نتاجه
الفكري وهو كما قال عن نفسه (سقط الزند : ١٩٣) : ب

وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم

باخفاء شمس ضؤوها متكامل

ان ابا العلاء المعري من الشعراء الذين اطلعوا على اللغة وشواردها وفصيحتها وكان كغيره أيضا من المبرزين يحفظ الكثير من شعر الجاهليين وغيرهم ، حتى احاط من مفردات اللغة وشواردها ونوادرها بما لم يحط به العرب الاقحاح واطلع على أساليب البلغاء واسرار البلاغة بما لم يطلع عليه غيره فكان اهتمامه باللغة كاهتمامه بالشعر ، حتى غدت لغته الشعرية تعبيراً عن حياته الفكرية والوجدانية ، وتصور مشاعره وأحاسيسه ، وتكشف عن ثقافته ، وترصد مراحل التطور الى مر بها منذ أول انتاج فني له وهو سقط الزند ، الهدف من هذه الاشارة السريعة الى لغة الشاعر ونبوغه في استخدام هذا اللغة في فنه هو الوقوف عند استخدامات الشاعر اللفظي (المطر ، والغيث) في شعره ، لكن ما يتوصل اليه قارئ شعره هو قلة وصفه للطبيعة كوقفة غيره من الشعراء السابقين سواء كانوا في العصر الجاهلي أو العصور القريبة من عصر ابي العلاء ، ولعل سيطرة الجوانب الفلسفية والفكرية على ذهنية الشاعر طغت على غيرها من الفنون الشعرية الاخرى ، وقد نلاحظ انه حتى في استخدامهما لهاتين اللفظتين أو غيرهما من الفاظ في صفات الطبيعة ، فهو لا يستخدمهما لابرار المعنى المباشر لها وإنما ليدلل على معان أخرى أراد توضيحها أو الحديث عنها ، ومن استخداماته لهاتين اللفظتين قوله (سقط الزند : ٥٣) :

إذا ما الغيم لم يطر بلادا

فإن له على يدك اتكالا

فهو يخاطب المدحوق بقوله هذا ويجعل نائله وعطاءه يكفي البلاد إذا ما مسك السحاب القطر لانه واثق بفيض يدي المدحوق . وقد استخدم الفعل (يطر) وقصد به الجود والخير ، وكان ابو عبيدة يقول في الرحمة مطروا وامطروا في العذاب ، ويحتج بقوله تعالى : (أطر علينا حجارة من

(السماء) (٤٢ ك الانفال ٨) وحكى غيره انه يقال : امطر في الرحمة وهو الصحيح بدليل قوله تعالى : (هذا عارض ممطرا) (٢٤ ك الاحقاف ٤٦) .
فان اجاز بعض اللغويين صحة استخدام هذه اللفظة في الجود واحتجوا بالآية الكريمة المذكورة نجد ان الشاعر يستخدم اللفظة نفسها (تمطر) في بيت آخر ويقصد بها العذاب وهو قوله (اللزوميات ص ١٣٨) :

اتت جامع يوم العروبة جامعا
تقص على الشهاد بالمصر أمرها
فلو لم يقوموا ناصرين لصوتها
لخلت سماء الله تمطر حجرها

فعند انتقالنا الى أمثلة أخرى من شعر ابي العلاء يتبين لنا ان الشاعر استخدم هذه اللفظة (المطر) استخدام العامة لها فنجد مثلا في قوله (سقط الزند ٦٢) :

والمرء ما لم تفقد نفعاً إقامته
غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يسر

قصد بالمطر هنا الغيث ، وكذلك في قوله (سقط الزند : ٥٦) :

وان بخلت عن الاحياء كلهم
فاسق المواطن حيا من بني مطر

وقوله أيضا (اللزوميات ص ٤٨) :

وان وصلت فشكري شكر بروقة
ترضى ببرق من الامطار خلاب

أنا لفظ (الغيث) فتد في شعره ولا خلاف حولها كما هي الحال عند غيره من الشعراء ومن أمثلها قوله (سقط الزند : ٨٥) :

وقاسم الجود في عال ومنخفض

كقسمة الغيث بين النجم والشجر

وهو يخاطب ممدوحه بأنه يقسم نائله بين الفقير والغني كقسمة

الغيث بين النجم والشجر (النجم من الشجر ما لم يكن له ساق) .

واستخدم لفظة (الغيث) أيضا بمعناها المباشر واراد منها التدليل

على ان الغيث امره من عند الله سبحانه وتعالى ولا علاقة للانواء بحدوثه

وهو قوله (سقط الزند : ٢٧٢) :

ولست بالناسب غيثاً همي

الى السماكين ولا المرزم

وكذلك قوله (سقط الزند : ٢٤٧) :

فهل فيك من ماء المعرة قطرة

تغيث بها ظمآن ليس يسال

فهو يتشوق الى ماء المعرة الذي يتمناه ، ويتلهف عليه ، وهو عنده

يغيث العطشان .

وكذلك قوله (سقط الزند : ٢١٥) :

بأرض لا يصبوب الغيث فيها

ولا ترعى البداة بها النقادا

يقول في هذا البيت كيف اجريت خيولك بقفار ليس فيها نبت ولا

شارة ولا راع ، وكيف يكون فيها اولئك ولا يصل اليها سحب .

فأبو العلاء في وصف المطر سواء استخدم هذه اللفظة أو لفظة الغيث

لا يخرج بها عن طريقته في الوصف عامة ، فهو يصف الاشياء بما يتناسب

مع رسمها في خياله ولا تظهر اجادته الا في وصف الاشياء المعنوية كاللذة

والالام والحزن والفرح ، وكألوان القول وفنون الكلام ، فهو في وصف الطبيعة وغيرها من المحسوسات كما قال عنه طه حسين (اما ان يكون عيالا على غيره من الوصاف المبصرين ، فيأخذ عنهم ما قالوا ، وينفخ فيه من نظمه روحا خاصا ، وليس هو في هذه الحال واصفا ولا شاعرا ، وانما هو نظام ، واما ان يملكه الغرور ، ويأخذه العجب فيتناول الاشياء المبصرة بالوصف والتفصيل من غير ان يأتى بغيره أو يترسم خطو شاعر آخر ، وهو في هذه الحال عرضة الخطأ والسخف الكثير) ، (تجديد ذكرى ابي العلاء ١٩٣٥) .

وبعد متابعة لعدد من الشعراء في العصور الادبية المتقدمة ومعرفتنا باستخداماتهم لهذه اللفظة في شعرهم نخلص الى اننا لا نجد شاعرا تميز عن غيره باستخدام هذه اللفظة (المطر) بمعناها الخاص بشكل واضح ومحدد ، وانما نجدهم جميعا يستخدمونها سواء في معناها المباشر أو استغلالها لمعاني أخرى وهم يعنون الخير والنماء ويعنون الغضب والعذاب دون تمييز واضح .



ان ابداعات شعراء المغرب والأندلس ، ومظاهر تميزهم ، تتضح في وصف الطبيعة التي شغفوا بها ، فلم يخل منها غرض من أغراضهم الشعرية ، فان مدحوا خصوصا بنصيب وافر من مدحهم وقد تكون سبيلا الى الممدوح ، وان تغزلوا متلهفين الى احبتهم كانت الوسيلة التي تصور لذة اللقاء .

فهذا العشق للطبيعة عند شعراء المغرب والاندلس منحهم خيالا بارعا ، وتشابيهه جميلة منتقاة ، فتميزت أشعارهم بسببها بالركة واللفظ اللذين كانا ظاهرة في أشعارهم ، فأول من يلقانا من شعرائهم ابن هاني

الاندلسي الذي يلقب بمتنبىء المغرب وان عد ابن هاني من شعراء الوصف
الا انه مقل في وصف الطبيعة بخلاف غيره من شعراء الأندلس ، فقد شغلته
السياسة ومدح الأمراء ، وغلوه في مذهبه عن النظر الى جمال الطبيعة ،
ونقل صورها وألوانها الجميلة في قصائده لكن لم يمنعنا هذا من النظر في
ديوانه واستقراء شعره لالتقاط الأبيات التي جاءت فيها لفظتا (المطر
والغيث) وبعد الاستقراء خلصنا الى أن لفظة (المزن) جاء ورودها في شعره
بكثرة غلبت ورود لفظتي (المطر والغيث) .

فمن اشعاره التي جاء فيها ذكر المطر قوله (الديوان ص ١٥٠) :

ورسوا رجحي حتى استخف متالع

وهموا ندى فاستحيت الامطار

وقصد بهذه القصيدة الممدوح يحيى بن علي الأندلسي وقصد بالامطار

الخير والجود .

وكذلك في قوله (الديوان ص ١٦٨) :

شهد الغمام وان سقاك حيا

أن الغمام اليك مفتقر

كم من يد لك غير واحدة

لا الدمع يكفرها ولا المطر

يريد ان انصباب دموع الناس والمطر انما هو شكر لنعمك فجعل

المطر علامة الشكر لهذا الممدوح الجواد الكريم فهي أتت أيضا بمعناها

العام .

أما أشعاره التي جاءت فيها لفظة الغيث فمنها قوله (الديوان

ص ١٠٣) :

ولو طلبت في الغيث منك سجية .

لقد عز موجود وعز وجود

وهو المبالغة في وصف الممدوح بالكرم والجود فكان الغيث يأخذ صفاته في هذا الجانب من الممدوح وكما نرى ان لفظة (الغيث) في كل اشعار الشعراء التي مرت لا تثير الجدل في دراستنا كلفظة المطر فهي تأتي بمعناها الخاص .

وكذلك الحال في قوله (الديوان ص ١١٢) :

لقد اغتدى والمجد فوق سريره

والغيث تحت رواقه الممدود

وفي قوله أيضا : (الديوان ١٥٨) :

كبدر الدجى كالشمس ، كالفجر كالضحى

كصرف الردى ، كالليث كالغيث كالبحر

فجاءت لفظة الغيث لتناسب مع السياق الذي تكلفه الشاعر مراعاة لتحقيق جمال الصياغة في نظمه .

والسرى الرفاء الذي نشأ بالموصل واكتملت شاعريته وحياته الأدبية عامة بالشام ، عاش في بيئة هيات له من جمالها وزينتها أن يصدر بشعر زاد فوق جمال الطبيعة وسحرها جمالا وسحرا بإبداعاته اللفظية والمعنوية ومن خلال هذا الفن الذي هو منه وصف الطبيعة نلتقط من أشعاره بعض الأبيات التي ترد فيها لفظتا (المطر والغيث) وحتى لا نستطرد في الحديث عن الجانب الفني وإبداعاته ونقف عند هاتين اللفظتين وطبيعة استخدامهما عند هذا الشاعر فقط فنرى ان لفظة (المطر) وردت في مثل قوله (اليتيمة ج ٢ ص ١٨٥) :

قسمت قلبي بين الهم والكمد
ومقلتي بين فيض الدمع والسهد
ورحت في الحسن أشكالا مقسمة
بين الهلال وبين الغصن والعقد
أريتني مطرا ينهل ساكنه
من الجفون وبرقا لاح من برد
ووجنة لا يروى مأوها ظمئي
بخلا وقد لذعت نيرانها كبدي
فكيف أبقى على ماء الشئون وما
أبقى الغرام على صبري ولا جلدي

فقد جاءت لفظة (المطر) ضمن هذه المقطوعة الغزلية فاستعار عنصريين
من عناصر الطبيعة وهما المطر والبرق ليصف حاله مع المحبوب حيث شبه
دموعه وشدة انهمارها بالمطر ، فاللفظة هنا لم ترد والقصد منها أي من
المعنيين العام أو الخاص أي معنى الخير والنماء أو معنى الدمار وانما أراد
وصف حالة انسكاب الدمع من عينيه بالمطر المنهمر بشدة .

وقد جاءت لفظة المطر ضمن مقطوعة وصف بها غرفة لصديق له دعاه
تطل شرفتها على روضة غناء (اليتيمة ج ٢ ص ٢٠٩) :

لنا غرفة حسنت منظرا
وطابت لساكنها مخبرا
تري العين من تحتها روضة
ومن فوقها عرضا ممطرا
وينساب من قدامها جدول
كما دعر الآيم أو نفرا

وراح كأن نسيم الصبا
يحمل من نشرها العنبرا

لفظة المطر ترد في السياق لتكمل الصورة الجميلة التي انعكست على ذهنية الشاعر لينقل شعرا منظر الروضة الغناء والجدول المنساب من قدامها ، وكيف ان نسيم الصبا سقط على الازهار فأذكى ريحها الذي جاء كريح العنبر فهذه الصور الجميلة المتتالية نخلص بها الى ان الشاعر لم يستخدم لفظة المطر ويريد بها الدمار وانما اراد بها النماء والحياة .
أما لفظة الغيث وان كان ورودها عند جميع الشعراء لا خلاف حوله كالخلاف الذي حول لفظة (المطر) فعلينا ان نستشهد ببعض الأبيات عند كل شاعر لكي تكتمل الصورة وتتضح في موضوع هذه الدراسة . فهي ترد في شعره في مثل قوله (اليتيمة ج ٢ ص ١٥٠) :

تبسم برق الغيث فاخترت ضاحكا
وحل عقود الغيث فارفض هاملا

فقلت علي منك أعلى صنائعا
اذا ما رجونه ارجى مخايلا

وقوله أيضا (اليتيمة ج ٢ ص ١٥٦) :

الغيث والليل والهلال اذا
أقمر بأسا وبهجة وندى

ناس من الجود ما يجود به
وذاكر منه كل ما وعدا

ففي المقطوعتين قصد الشاعر من لفظة الغيث الخير والنماء .



ويأتي وصف الطبيعة عند ابن قلاقس ضمن فن الوصف عامة ،
الذي برز فيه الشاعر وتفوق ، وقد عرض لهذا الفن في مقطوعات مستقلة
حيناً وفي مقدمات قصائده أحياناً أخرى ، مازجاً بينه وبين الخمرة أو بينه
وبين الغزل ، أو مستقلاً بذاته .

وأكثر ما يلفت الانتباه في وصفه للطبيعة انفعاله وهو يطالع الرياض
وقد تخللتها الغدران ولاعب أشجارها الصبا ، وغردت الاطيوار في أغصانها
وتساقط الندى على الأوراد ففاح أريجها وانتشر ، ويأتي ضمن هذا كله
ذكر لفظتي (المطر والغيث) اللتين وردتا في شعره بكثرة ، وذلك في مثل
قوله (الديوان ق ١٠٧ ص ٢٢٧) :

ما امتطينا أخت السحائب إلا

لتوافي بنا أخوا الأمطار

فلفظة (الأمطار) جاءت في قصيدة المدح هذه وعني بها الجود والنوال
حين وصف المدوح وجعله بسببهما أخوا للأمطار وكذلك قوله (الديوان
ق ٣٢٣ ص ٤٤١) :

لكنني كالروض من عاداته

ان تنتحيه ركائب الأمطار

فأتيت نحوك للسؤال موقفاً

فظفرت في الأوطان والأوطار

وترد هذه اللفظة في قصائد كثيرة للشاعر وفي المعنى نفسه
والاستخدام نفسه كقوله أيضاً (الديوان ق ٣١١ ص ٤٢٢) :

فما بال عارض احسانه

على روض شعرك لا يمطر

وكذلك قوله في مدح القاضي بن الحباب (الديوان ق ٣٠٩
ص ٤٣٠) :

قلت وزهو الزهر مستغرق
بعارض من صبحه ماطر

وكذلك من قصيدة في مدح القاضي السلفي (الديوان ق ٣٠٠
ص ٤٢٤) :

للبشر برق بين ارجائه
وللندی الفاض امطار

وقوله أيضا (الديوان ق ١٧٢ ص ٣١٢) :

أي يوم مضى لنا في رياض
عرست في عراسها الامطار

جاءت لفظة (الأمطار) ضمن مقطع وصف الطبيعة لذاتها وقصد
بالأمطار هنا أمطار الخير والنماء وليست أمطار العذاب والغضب .

أما لفظة الغيث فتزد في شعره كثيرا وهي لا تعني الا الخير والنماء
وقد ترد من خلال مدحه بعض الشخصيات التي اتصل بها ، كمثّل قوله
(الديوان ق ٧ ص ١١٦) :

الحيا من غيوثك البارقات

والجنى من اصولك الباسقات

ومن قصيدة مدح بها السلفي يقول (الديوان ق ١٥٣ ص ٢٧٩) :

كالغيث لكن حيا هذا لهي أبدا

فمن هنا هو حقا فارق المطرا

فقصد بها النبت الذي كان متلهفا الى المطر .

وفي السلفي أيضا قال (الديوان ق ٢١٩ ص ٣٤٢) :

يمينك الغيث الا انه هطل
وخلفك الزهر الا انه خضل



وبعد ابن قلاقيس ننتقل الى أحد الشعراء المتأخرين وهو ابن سناء الملك ، وان كان شعره لا يرقى الى مصاف الشعراء الذين مررنا بهم خلال هذا البحث ، اذ لا يعنينا المكانة الفنية للشاعر ، وليست هي محور البحث بقدر ما يعنينا تتبع لفظة (المطر) وطريقة استخدامها عند الشاعر ، وبعد المتابعة صادفتنا لفظة (الغيث) كثيرا في شعره حتى اعتقدنا معها ان الشاعر قد نحى المنحى الصحيح ، وانه لن يستخدم هذه اللفظة الا في معناها الخاص ، لكن ما ان وصلنا الى قافية الرء حتى وجدنا الشعر تتداعى عليه هذه اللفظة في مثل قوله (الديوان ص ٢٨٠) :

يا مجذب الحال زر ناديه معتفيا
وأسأل نداه ولا تسأل عن المطر

فقافية الرء جعلته يستخدم لفظة (المطر) حيث قصد بها النوال والعطاء في وصف جود الملك العادل بهما .

ولا تزال هذه اللفظة تتواتر في قافية الرء ، فمن الواضح انه يتلقتها بين الحين والآخر حتى تتلائم مع هذه القافية فنجده يقول في مدح الملك العزيز (الديوان ص ٣٢٠) :

أمطرتني بالجود فاسمع لما
أنشئه من خاطري الماطر

ونجده يستخدم لفظة (أمطرتني) بالجود وقد وردت في القرآن

الكريم - كما مر بنا - وهي للعذاب والعقاب وقد استخدمها بصيغة أخرى
(الماطر) عندما أراد ان يرد على جود الممدوح بجوده الخاص وهو انشاؤه
قصائد المدح فيه .

وكذلك ترد في المعنى نفسه وفي صياغة مشابهة (الديوان ص ٣٩٦) :

وأنا الولي وقد عطش
ت الى سحائبك الماطر

فوصف نفسه بأنه العطشان الى سحائب جود الممدوح التي هي
دائما تجود والذي اثبت ديمومتها لفظة الماطر .
وقد جاء ذكر المطر في قصيدة له جمع فيها بين الغزل والخمرة ،
وصف يومه وهو يحب الخمرة مع صحبة له في يوم مطير ترفرف السعادة
عليهم ، حتى تراءى له وكأن الرعد يترنم ، وبأن قطرات المطر أحسنت
الرقص وأجادت حتى صفق لها الرعد (الديوان ص ٤٥٣) :

ويوم مطير قد ترنم رعده
وصفق لما أحسن القطر في الرقص

شربنا على هذا وذاك مدامة
بدت كالعقيق الرطب والذهب الرخص

فقد جاء ذكر المطر لذاته حتى وصفه مع عناصر الطبيعة المكملة لصورة
ذلك اليوم .

وقد وردت لفظة المطر بمعناها (الخاص) في بيت له عند مدحه الملك
العزیز (الديوان ص ٢٨٦) :

وكان للغيث يد عندهم
لأنه منك لهم قد أجار

لو لم يعق سيفك ماسح من

هام مطير سح هام مطار

فقد قصد الغيث لذاته حيث خدم الأعداء في معركته وكان عائقا
للملوح في مواصلة المعركة حيث انهمز أياما وهم مقيمون بمواقعهم ، وقد
استخدم (مطير ومطار) بمعناها الخاص وعنى بها بان هذا اليوم المطير
لم يكن خيرا عليك اذ عطل سيفك ان يجتز رؤوس الأعداء .

وقد وردت لفظة الغيث في شعره كقوله (الديوان ص ٢٢٠) :

يد تسح فقال الغيث وا أسفا

والبحر واكمدا والسييل وا حسدا

فجود يد المملوح جعل الغيث يأسف ، وجعل البحر والمد والسييل
يخسدونه لكثرة ما تجود به [٢٢٠]

وفي المعنى نفسه ترد لفظة الغيث في قصيدة مدح بها الأجل الفاضل
(الديوان ص ٢٢٢) :

كالبحر حين طمى والغيث حين هما

والنجم حين سما والبدر حين بدا

لفظة (الغيث) خلال هذه الأبيات لا ترد بمعناها المباشر عنصرا
من عناصر الطبيعة وانما جاء بها الشاعر ليضفي معنى الجود والكرم على
ممدوحه كقوله أيضا (الديوان ص ٢٧٤) :

كما أنه لم يعرف الجود قبله

وفي الحق ان لا يذكر الغيث بعده

★ ★ ★

وعندما ننتقل الى الشعر في العصر الحديث ونحن نعي ما أصاب

الشعر في هذا العصر من تغير في بنية القصيدة ، وفي ايقاعاتها وفي مدلولات ألفاظها فأننا سنقف عند تعامل الشاعر المعاصر مع عناصر الطبيعة ، لان المطر أو الغيث هما أحد عناصرها فنجد مثلا كما أشار الدكتور عز الدين اسماعيل (ان الشاعر المعاصر ارتفع باللفظة الدالة على العنصر الطبيعي كلفظة المطر من مدلولها المعروف الى مستوى الرمز في بعض استخدامات الشعراء المعاصرين) (الشعر العربي المعاصر ص ٢١٩) .

ونقف في هذا الجانب عند أحد رواد الحركة الشعرية الحديثة وهو بدر شاكر السياب لاكثر من سبب ومنها أن هذه اللفظة (المطر) ألحت على الشاعر حتى طغت على الكثير من ألفاظ قصائده ، ومن مظاهر الحاحها على ذهنيته انه عنون قصائده بهذه اللفظة مثل (انشودة المطر) و (مدينة بلا مطر) .

ولان تعامله مع هذه اللفظة تعامل مختلف فقد أشار عبدالرضا علي في كتابه (الاسطورة في شعر السياب ص ١٥٤) الى انه كان يرى فيه أي المطر الفكرة السائدة قديما من أنه أصل الحياة ، بينما نجده في قصائد أخرى يحمله معنى الثورة على القهر الاجتماعي والسياسي ، في حين نجده مرة تالفة يعده صنوا للدم كذلك لا نعدم أن نجده في قصائد أخرى رمزا للبعث والحياة ، وقد يكون حاملا للنقيضين : الموت والحياة) .

ونستدل بما ذهب اليه عبدالرضا من ان المطر (أي الغيث) أصل الحياة على أن السياب متأثر بالفكرة عند القدماء حيث انهم عندما يصيبهم الجذب يقدمون الأضاحي لاستئزال الغيث أو ما يسمى بصلاة الاستسقاء ، حيث كانوا يجمعون لها بقرا معلقة في أذنابها النبات والشجر يصعدون بها الى جبل وعر ويشعلون فيها النار ويضجون بالدعاء والتضرع ، وكانوا يرونها من الأسباب المتوصل بها الى نزول الغيث ، وفي ذلك قال أمية بن أبي الصلت (نهاية الأرب ج ١ ص ١٠٩ ، ١١٠ . انظر الحيوان ج ٤ ص ٤٦٦ ، ٤٦٧) :

ويسوقون باقر السهل للطو
د مازيل خشية أن تبورا
عاقدين النيران في بكر الاذ
ناب منها لكي تهيج النحورا
سلع ما ومثله عشر ما
عائل ما وعالت البيقور

أما قصيدة السياب التي يرمز بها الى النماء والحياة فهي :

كأن أقواس السحاب تشرب الغيوم
وقطرة فقطرة تذوب في المطر ...
وكركر الأطفال ، عرائش الكروم ،
ودغدغت صمت العصافير على الشجر
أنشودة المطر ...
مطر ...
مطر ...
مطر ...
تثاءب المساء ، والغيوم ما تزال
تسبح ما تسبح من دموعها الثقال
وينثر الغناء حيث يأفل القمر
مطر ...
مطر ...

أتعلمين أي حزن يبعث المطر ؟
وكيف تنشج المزاريب اذا انهمر ؟
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضيق ؟
بلا انتهاء - كالدلم المراق ، كالجياح ؟

كالحب ، كالأطفال ، كالموتى - هو المطر !

.....

ف نجد الشاعر في هذا المقطع من القصيدة ينقل حيرته بصيغة السؤال فهو بعد ان كان المطر هو الحياة وهو البعث في مقطعه السابق نجده الآن يبعث الحزن ، ولكي يكمل صورة الحزن المرتبطة بالمطر جعل المزاريب تنشج بالبكاء اذا انهمر وان الوحيد يشعر فيه بالضيق .

وقد قرنه بالدم في قوله (بلا انتهاء - كالدّم المراق)

ثم يقول (كالحب ، كالأطفال ، كالموتى - هو المطر) !

فقد جمع النقيضين في آن واحد فهو كالحب وكالأطفال يصوره بالحياة والنماء وفي الوقت نفسه كالموتى هو المطر ، وتقابل (الموت والحياة) كان أكثر الأدوات التي تعامل بها بدر السياب .

ثم ينتقل بالمقاطع التالية الى تقديم الصلوات لاستئصال المطر ، فعواصف الخليج ، والرعد تنشد (تصلي) لاستئصال المطر .

ثم يعود ثانية للمعنى الأول وهو الحياة في قوله :

في كل قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنة الزهر
وكل دمة من الجياح والعراة
وكل قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسام في انتظار مبسم جديد
أو حلمة توردت على فم الوليد
في عالم الغد الفتى ، واهب الحياة !
مطر ...

مطر ...

مطر ...

سيعشب العراق بالمطر (.....)

(الديوان ص ٤٧٤ - ٤٨٤)

فكل دمة من الجياح والعراة ، وكل قطرة دم تراق من العبيد هي
قرايين تقدم لاستئزال المطر ليعم الخير العراق .

وفي قصيدته (مدينة بلا مطر) تتوالى هذه المعاني التي يوردها
الشاعر من خلال استخداماته للفظ (المطر) فيقول (الديوان ص ٤٨٦ -
٤٩١) :

سحائب مرعدات مبرقات دون أمطار
قضينا العام ، بعد العام ، بعد العام نرعاه ،
وريح تشبه الأعصار ، لامرت كأعصار
ولا هدأت - ننام ونستفيق ونحن نخشاها
فيا أربابنا المتطلعين بغير ما رحمة ،
عيونكم الحجار نحسها تنداح في العتمة
لترجمنا بلا نغمه ،
تلور كأنهن رحي بطيئات تلوك جفوننا ...
حتى ألفناها ،

فالشاعر هنا ينقل ما ألم به من احباط بعد ثورة تموز التي كان
يحلم بأنها الأمل ، وانها الفرج للعراق بعد الظلم والطغيان ، فالمر هو
الفرج ، وهو النجاة من الظلم لكن اليأس وعدم التفاؤل بوصول الغيث
لينهي فترة الضيم التي سادت العراق كانت تسيطر على نفسية الشاعر
فيقولها بنفس عافها الأمل والاستبشار بقدوم هذا الغيث ولكن مرت
الأعوام ، كثيرا ما حسبنها ،

بلا مطر ولو قطرة
ولا زهر ولو زهرة
بلا ثمر - كان تخيلنا الجرداء انصاب اقمناها
لندبل تحتها ونموت
سيدنا جفانا . آه يا قبره

وفي نهاية مطافنا حول هاتين القصيدتين وتحليلنا للمعاني التي
أرادها الشاعر باستخدام لفظة المطر نجده قد استخدم هذه اللفظة بمعنى
الحياة والنماء والبعث ولم يستخدم لفظة الغيث ، ونجده أيضا استخدمها
في حالات قليلة وقرنها بالدم ، فالسياب لم يخرج عما سار عليه شعراء
العربية الذين مررنا بهم ، في استغلالهم هذه اللفظة في معنى (الخصوبة
والاغاثة والنماء) وفي معنى (الدمار والعقاب والعذاب) أيضا .

وشاعرنا في هذه الوقفة هو أحمد العدوانى ، وقبل الاسترسال في
الحديث عن القضية الأساسية في هذه الدراسة تستوقفنا أمور عديدة
تجدر الإشارة إليها وهي ان الولوج الى ذهنية هذا الشاعر تحتاج الى طقوس
خاصة وتحتاج أيضا الى معاشرة مع الفاظه لاستشفاف معانيه العميقة ،
وهذه خاصة من خصائص الشاعر ، اضافة الى انه شاعر معاصر وككل
الشعراء المعاصرين صاحب شعرهم الكثير من الرمز والغموض وان كان
بدرجات متفاوتة . وقد صادفنا هذه المعاناة - كما مر بنا - عند انتقالنا
من الشعر القديم الى الحديث وكانت البداية مع السياب وبعد أحمد
العدوانى ، فلنرحل مع شعره وعبر بحاره وهدفنا الوقوف على اللفظتين
اللتين عنيانا الاهتمام بهما خلال هذا البحث وهما (المطر ، والغيث) .
وأول ما يصادفنا قول من قصيدة معزتنا العجفاء (الديوان ص ٧٤) :

روح الجراد في ضميرها المسعور
لا تبقى ولا تذر

تلتهم الزرع وتشرب المطر
حتى منازل السمر

فالمطر الذي تشربه هذه المعزة العجفاء يتضح من السياق انه مطر
الخير والنماء والحياة وليس مطر العذاب كالذي جاء في قوله : من قصيدة
(وقفة على طلل ص ٨١) :

... وذات ظهيرة والصيف
تمطر شمسه النيران
ترفقت بدرويش
يهول يسأل الحيطان عن ظل
فجئت به الى اهلي
فثار الاهل والجيران
وقالوا لي
تجنيت على الاعراض والاحساب
اتووى عندنا الاغراب ؟
مكان رفيقك الدرويش ...
- لو تعقل - عند الباب

فالمطر هنا هو العذاب الذي امطرته نيران الشمس المحرقة في ظهيرة
صيف قانظ فالشاعر استخدم الفعل من هذه اللفظة وأراد به المعنى
الخاص الذي امله الكثير من الشعراء . لكن الشاعر بعد خطوات قصيرة
من ديوانه نجده يستخدم فعل هذه اللفظة نفسه ويريد به المعنى العام وهو
الخير أو الجمال الذي انعكس من الخمرة بانوار في قوله من قصيدة
(شطحات في الطريق) ومطلعها (الديوان ص ٨٦ ، ٨٧) :

هات اسقنيها !! لست من سماري
ان لم تكن للكاس رب الدار

هي بنت من ؟؟ الشمس دارة اهلها
ابدا ونحن الاهل للاقمار

حتى قوله :

صليت لما امطرت انوارها
ما اروع الصلوات للانوار

وقد ترد لفظة (المطر) بمعناها المباشر عنصرا من عناصر الطبيعة
كما يصف روضة غناء نزل بها الشاعر (الديوان ص ٩٢) :

واذا نزلت بروضة ممطرة
وألفت طيب الروضة المعطار

وترد لفظتا المطر والغيث في الشطر الواحد في قوله (الديوان
ص ٢٢٢) :

قالت : كريم لا يبارى زفده

جم المروءة والندى سمح القرى

فاجبتها : أيكون أندى نائلا

وأعم من غيث لصوب مطرا

★ ★ ★

بعد استعراضنا خلال هذا البحث لعدد من الشعراء في عصورهم
المختلفة وبيئاتهم المتباينة ، وبعد الوقوف عند تعاملهم مع لفظتي (الغيث
والمطر) سواء جاء تعاملهم لهاتين اللفظتين على انهما عنصران من عناصر
الطبيعة التي تغنى بها الشعراء كثيرا أو انهم أستخدموهما لتشخيص معنى
من المعاني التي عنوا بها في شعرهم ، فاننا بعد هذا كله نخلص الى ان لفظة

الغيث لم تثر الجدل ولم تستدع التحليل في الجانب الذي عنيانا به في هذا البحث ، اذ كانت تأتي دائما بمعناها الخاص سواء استخدمت لذاته أي لوصف هذا العنصر الطبيعي ، أو جاءت لتشخيص معنى من المعاني ، فهي ترد والمراد بها دائما وأبدا الخير والنماء والابانة .

أما لفظة (المطر) فهي التي استغرقت الكثير في تحليلها وتوضيح أساليب الشعراء في استخدامها .

ونخلص أيضا الى أن هذه اللفظة لم تستخدم بمعناها الخاص وهو العذاب والعقاب الا عند عدد قليل من الشعراء هم : المهلهل ، وذو الرمة ، والاخلط التغلبي ، والمتنبي ، وبدر شاكر السياب ، وأحمد العلواني ، وفي أبيات قليلة من أشعارهم ، حين يجدها الشاعر متلائمة مع السياق فيسهل تناوله لها ، وانما في الغالب الاعم كانت تستخدم كاستخدام العامة ويعني بها الخير والنماء وغيرها من المعاني التي لم يستخدمها القرآن الكريم الا في لفظة الغيث .

وقد يحق لنا تأكيد هذا الأمر وان كنا لم نأخذ جميع شعراء العربية في جميع العصور وفي جميع البيئات ليس لصعوبة تحقيق هذا الأمر - فحسب وانما لاننا انتخبنا المتميزين والمبرزين في عصورهم وفي بيئاتهم المختلفة ، فاختيار النخبة في كل عصر يعطي ملمحا واضحا في ابراز هذه الظاهرة التي أخذت بالدراسة خلال هذا البحث .

المراجع :

- ١ - الاسطورة في شعر السياب - عبدالرضا علي - وزارة الثقافة والفنون
بغداد - ١٩٧٨ .
- ٢ - ادباء العرب - بطرس البستاني - دار الجيل - بيروت - د٠ ت .
- ٣ - بدر شاكر السياب - احسان عباس - د٠ ت .
- ٤ - بناء الاسلوب في شعر الحداد - محمد عبدالمطلب - ١٩٨٨ .
- ٥ - البيان والتبيين - الجاحظ - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٧٥ .
- ٦ - ديوان أحمد العدواني - شركة الربيعان للنشر والتوزيع - كويت
١٩٨٠ .
- ٧ - ديوان ابن الرومي تحقيق د٠ حسين نصار الهيئة المصرية العامة
للكتاب ١٩٨١ .
- ٨ - ديوان ابن سناء الملك - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٥ .
- ٩ - ديوان ابن قلاقس - تحقيق د٠ سهام الفريح - مكتبة المعلا -
الكويت ١٩٨٨ .
- ١٠ - ديوان ابن هاني الأندلس دار صادر - دار بيروت - بيروت ١٩٦٤ .
- ١١ - ديوان ابي تمام - دار المعارف ١٩٥٧ .
- ١٢ - ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف
مصر ١٩٦٤ .
- ١٣ - ديوان بدر شاكر السياب - دار العودة - بيروت ١٩٧١ .
- ١٤ - ديوان ذي الرمة - مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٧٢ .
- ١٥ - ديوان لبيد - الكويت وزارة الارشاد والانباء ١٩٦٢ .
- ١٦ - ديوان المتنبي العكبري دار المعرفة - بيروت - ١٩٧٨ .
- تحقيق البرقوقي دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٠ .

١٧- ذو الرمة شاعر الحب والصحراء د. يوسف خليف - دار المعارف - مصر ١٩٧٠ .

١٨- سقط الزند لأبي العلاء المعري دار بيروت ١٩٦٣ .

١٩- شعر الطبيعة في الأدب العربي د. سيد نوفل - دار المعارف - مصر ط ٢ - د. ت .

٢٠- الشعر العربي المعاصر د. عز الدين اسماعيل - دار العودة - بيروت ١٩٨١ .

٢١- صحيح البخاري - دار احياء التراث العربي د. ت .

٢٢- الصورة في الشعر العربي - د. علي البطل - دار الأندلس - بيروت - ١٩٨٠ .

٢٣- قراءة ثانية لشعرنا القديم - مصطفى ناصف - دار الاندلس - ١٩٨١ .

٢٤- لزوم ما لا يلزم وزارة الثقافة والارشاد بالقاهرة دار المعارف - ١٩٥٧ .

٢٥- لسان العرب - لابن منظور - دار لسان العرب - د. ت .

٢٦- يتيمة الدهر - الثعالبي - تحقيق د. مفيد محمد قمحية . . . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ .

المرأة والعمل في المجتمع العراقي

د. فوزية العطية

استاذة قسم الاجتماع

كلية الآداب / جامعة بغداد

المقدمة :

يمر المجتمع العربي بمرحلة انتقالية ، ومن الواضح ان هذه المرحلة الانتقالية هي بحد ذاتها مرحلة مشوهة . وهذه المرحلة قد يطول أمدّها لأسباب كثيرة ، منها خاصة بالظروف الموضوعية للوطن العربي ، ومنها ترتبط بعوامل ومؤثرات خارجية تؤثر في المدى الزمني للمرحلة الانتقالية وفي طبيعتها . والمجتمع العراقي جزء من المجتمع العربي . وبديهي أن ملامحه ، ووضع المرأة فيه هي ملامح المجتمع العربي . وقد أفرزت هذه المرحلة قيما واعرافا اجتماعية جديدة ، وأحدثت خلخلة ، ربما كانت سلبياتها أكثر من ايجابياتها بالنسبة لوضع المرأة . فالأعمال التي اتيحت للمرأة يغلب عليها الطابع الروتيني ، واقتصرت على مستويات ادارية وفي قطاعات ومجالات محدودة ، بسبب الايديولوجية الذكورية القائمة على تفوق الذكر على الانثى .

ويظهر عادة في المرحلة الانتقالية صراع بين التقليد والتحديث . وقد يكون الاتجاه التقليدي أشد وأقوى في حقب معينة ، وان كانت نتائج الصراع بين التقليدي والحديث لا تتجدد عند جولة واحدة ، أو مرحلة

معينة ، ولكنها بعد حقبة معينة تفرض ضرورة المسار الذي سينتهي اليه التغيير . وهذا المسار في الغالب يمزج بين التقليد والتحديث .
ولعل النظرة التي لازمت المرأة لم تتغير كثيرا عبر التاريخ العربي ، بالرغم مما أحدثه الاسلام من ثورة ، أدت الى تغيير المجتمع وعملت على تغيير النظرة للمرأة .

وتجدر الإشارة الى أن المرأة العربية عموما تواجه ثلاث حالات ، المجتمع بقيمه وتقاليده التي تقاوم التغيير برغم التغيرات الاجتماعية والحضارية في المجتمع العربي . والرجل بموقفه في فكره ومسلكه سواء كان متعلما مثقفا أم لم يكن . والمرأة العربية بذاتيتها التي أطرتها القيم والتقاليد والأعراف الاجتماعية . وهي حالات يجب الوقوف عندها والتأمل في دراستها وتحديد أساليب معالجتها ، لتخرج المرأة من هذا الواقع وتسهم في البناء والتقدم وفق ما وهبها الله من مقدرة وأعزها به من كرامة .

المبحث الأول

الاطار المنهجي للبحث

١ - مشكلة البحث وأهميته :

تقدر نسبة الأنثى الى الذكور في الوطن العربي ٤٩٣٪ (١) . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٥ بحدود ١٠٠ مليون انثى ، ومن المتوقع أن يصل في عام ٢٠٠٠ الى حوالي ١٤٢ مليون انثى (٢) .
ويعد معدل السكان النشط اقتصاديا في الوطن العربي منخفضا

-
- (١) اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ، الأمانة العامة ، تنمية مساهمة المرأة العربية في النشاط المجتمعي ، ١٩٨٤ ، ص ٨٥ .
(٢) د . سعاد برنوطي ، دور المرأة العربية في النشاطات المجتمعية وواقع الدراسات حولها ، اتحاد مجالس البحث العلمي ، ص ٩١ .

جدا ، بسبب زيادة نسبة الأطفال غير الفعّالين في المجتمع العربي ، إضافة الى انخفاض نسبة النّساء في النشاط الاقتصادي . فهو لا يتجاوز ٢٧٪ من مجموع السكان ، وهذه النسبة أقل مما هي عليه في بقية الأقطار النامية الأخرى (٣) .

ويتركز النشاط الاقتصادي للمرأة العربية في القطاعات التقليدية والانتاج المنزلي والعمل بدون أجر . أي ان انتاجها غير مرئي .
فالمرأة أكثر نشاطا في القطاع الزراعي مما عليه في قطاع الصناعة . وهي منفذة وليست مقررة ، وبعيدة عن المواقع القيادية المؤثرة والمرتبطة بالجانب الاقتصادي ومواقع اتخاذ القرار بشأن السياسات الاستثمارية . وهي غائبة في مواقع السلطة .

ان هذه الأوضاع توجب دراسة واقع المرأة ضمن اطار مشكلات المجتمع ، باعتبارها جزء من القضايا المجتمعة .
فالنساء ، بحكم عددهن يشكلن عنصرا أساسيا من عناصر التنمية الاجتماعية . ولا بد من دراسة أوضاعهن ، والعمل على إعادة النظر في توزيع الأنشطة والوظائف بين أفراد المجتمع تحقيقا للعدالة الاجتماعية . ولا يمكن اعتبارهن قوة عمل احتياطية تتأثر بفرص العمل وظروف المجتمع .

وبما ان المرأة تشكل نصف المجتمع ، فلا بد أن يكون وضعها الاجتماعي مقياسا لوضع المجتمع ودرجة تطوره الحضاري .

ويقاس وضع المرأة من خلال مؤشرات توزع على خمسة قطاعات أساسية هي : العمل والتعليم والصحة والزواج والمساواة الاجتماعية .

(٣) د . يونس حمادي ، سكان المجتمع العربي ، مجلة العلوم الاجتماعية العدد ٢ ، ١٩٨٧ ، ص ١٠١ .

أي قياس الفجوة بين وضع المرأة ووضع الرجل في هذه الجوانب .
وأهمية هذا البحث تكمن في كونه يحاول التعرف على آراء عينة من
النساء العاملات في المجالات الاقتصادية المختلفة نحو عمل المرأة ، ومعرفة
وجهة نظر عينة من الرجال وموقفهم من مشاركة المرأة في العمل الانتاجي ،
من أجل تحديد العوامل المساعدة على زيادة حجم العمالة النسائية في
الأنشطة والميادين المختلفة .

٢ - أهداف البحث :

يهدف هذا البحث الى التعرف على :

- ١ - حجم مساهمة المرأة العراقية في العمل الانتاجي ومجالات تشغيلها .
- ٢ - نظرة المجتمع الى المرأة العاملة ونظرة الرجل ونظرة المرأة ذاتها
للعمل .
- ٣ - الآثار المترتبة على عمل المرأة المتزوجة في العلاقات الزوجية والأسرية .
- ٤ - دوافع عمل المرأة .

٣ - اجراءات البحث ومنهجيته :

استعنا في بحثنا بطلبة الدراسات العليا (الماجستير) في قسم
الاجتماع ، لاجراء المقابلات الميدانية وجمع البيانات المطلوبة .

١ - نوع البحث ومنهجيته وأدواته :

يعد بحثنا هذا من البحوث الاستطلاعية الوصفية ، وهو من الدراسات
التجريبية ، التي تهدف الى جمع البيانات العلمية الخاصة بموضوع البحث .
أما المنهج الذي اعتمدناه لاستقصاء المعلومات المطلوبة ، فهو منهج المسح
الاجتماعي بطريقة العينة . واستعملنا المقابلة والاستبيان وسيلة لجمع
البيانات . وضممنا استبياناً مخصصاً للنساء العاملات من المتزوجات ،

وآخر لمجموعة من الرجال المتزوجين العاملين . وقد تم سحب العينة بالطريقة العمدية الحصصية .

ب - عينة البحث ومجالاته :

تكونت عينة النساء العاملات من ١٦٠ امرأة عاملة في مهن عمالية وفلاحية ومهن تعليمية وموظفات في الدوائر الرسمية ومهن حرة .
أما عينة الرجال ، فقد تكونت من ٤٠ رجلا عاملا في نفس المجالات الانتاجية ، هذا بالنسبة الى المجال البشري .

اما المجال المكاني ، فقد اقتصر البحث على مدينة بغداد ، بسبب الامكانيات المادية والبشرية والزمانية المتوفرة .

أما المجال الزمني ، فقد تم جمع البيانات المطلوبة في شهر نيسان (أبريل) ١٩٨٩ .

وبعد الانتهاء من المقابلات وملء الاستمارات الاستبائية ، تمت عملية تفريغ وتبويب وتصنيف البيانات بطريقة التبويب اليدوي ، وتمت عملية تحويل الاجابات المدونة على استمارة الاستبيان الى أرقام للتعرف على قيم التكرارات وتكوين الجداول الاحصائية . ثم قمنا بتحليل المعلومات تحليلًا علميًا احصائيًا معتمدين النسب المئوية لكي نتوصل من خلالها الى النتائج النهائية المطلوبة في البحث .

المبحث الثاني

الملاح العامة للمرأة العراقية والتشريعات القانونية

بصدد عمل المرأة

١ - الملاح العامة للمرأة العراقية ودورها الانتاجي :

يقدر نفوس العراق في عام ١٩٨٥ بحوالي ١٦٧ مليون نسمة ،

ومن المتوقع ان يصل مجموع السكان الى ١٨ مليون نسمة في عام ١٩٩٠ وحوالي ٢٣ مليون نسمة في عام ٢٠٠٠ (٤) .

ان المرأة التي تشكل نصف المجتمع تعد موردا بشريا مهما يمكن الاستفادة منه في زيادة قدرة المجتمع الانتاجية . وتبرز أهمية دورها في العراق الذي يتميز بقلّة عدد سكانه بالنسبة لثرائه وكثرة خيراته .

لقد ارتبط وضع المرأة العراقية بالوضع الاجتماعي الحضاري العام ، وما طرحته من تشريعات قانونية وقيم وعادات وتقاليده ، تحدد في ضوءها الدور الاجتماعي للمرأة بشكل عام ودورها الانتاجي بخاصة .

لقد عاشت المرأة العراقية أوضاعا سيئة قبل ثورة ١٧ - ٣٠ تموز عام ١٩٦٨ ، بحكم طبيعة النظام الاقتصادي الاجتماعي القائم في المجتمع حينذاك .

وعانت المرأة من سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية . وفي عام ١٩٥٧ كان عدد العاملات من النساء لا يزيد عن ٦٤ ألف امرأة . ولم تكن مساهمتها في النشاط الاقتصادي حينذاك تزيد عن ٤٪ (٥) . والسبب في ذلك يعود الى عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية .

ان تعرض المجتمع العراقي للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية بحكم قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، التي أطاحت بالنظام الملكي ، وثورة ١٧ - ٣٠ تموز ، وبتأثير الحرب العراقية - الايرانية أدى الى أحداث تغيرات جوهرية في مكانة المرأة وفي دورها ومساهمتها في العمل الانتاجي .

(٤) د . سعاد برنوطي ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٥) أحلام شيت ، أثر ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ في التغيرات الاجتماعية والحضارية للمرأة العراقية ، رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٨٣ ، ص .

لقد أولت الثورة أهمية خاصة للمرأة واشراكها في العمل المنتج لتحقيق هدفين :

- ١ - تحرير المرأة اقتصاديا واعتبارها عاملا فعالا في المجتمع .
 - ٢ - تلبية المتطلبات المتزايدة على القوى العاملة بحكم عملية التنمية الاقتصادية ، الاجتماعية ، خاصة منذ بداية عقد المرأة للأمم المتحدة .
- لقد أسهم القرار السياسي ، الذي شرعته قيادة الثورة في العراق ، في توزيع الأدوار وفق أسس جديدة للحد من الظواهر والممارسات السلبية اتجاه المرأة . وقد أكد التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع على توفير الفرص المتكافئة بين المرأة والرجل في مجالات العمل والتعليم والتشريع والنشاط السياسي والمهني والنقابي . واعتبر اشراك المرأة في العمل الانتاجي مسؤولية وطنية عامة (٦) .

خصائص عمل المرأة ودورها الانتاجي :

ان الدور التنموي للمرأة ودمجها في العمل الانتاجي لا يزال دون المستوى المطلوب ، بسبب تأثير العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية ، وبسبب ما يسود المجتمع من أحكام مسبقة وأفكار غير ناضجة تعمل على توسيع الفجوة بين المرأة والرجل . كما أن العوامل الشخصية كان لها تأثيرها المباشر في تحديد المواقف من كل عمل تقوم به أو أمر تحاول ان تقدمه .

فالانسان حصيلة عوامل موروثة وأخرى بيئية ، أي أن الوضع

(٦) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ١٦٤ .

الراهن للمرأة ودورها الانتاجي تحدد في ضوء العوامل المتراكمة في مراحل تطور المجتمع المختلفة .

وبما أن العمل المدفوع الأجر يعتبر بمثابة مؤشر للتنمية ، فإن الدراسات والاحصاءات تشير الى أن مستوى نشاط المرأة العراقية لا يزال دون مستوى الطموح . حيث بلغت ١٨٪ من مجموع العاملين في القطر عام ١٩٨١ (٧) . وان ارتفعت هذه النسبة في فترة الحرب العراقية الايرانية ، بسبب مشاركة الرجل في الدفاع عن الارض وتوجهه الى جبهات القتال لصد العدوان والدفاع عن حدود الوطن وسيادته (٨) ، اذ بلغت ٢١٪ .

يتركز الجزء الأكبر من عمل المرأة في مجال الزراعة ، حيث تصل نسبة النساء العاملات في القطاع الزراعي الى ٦٦٪ أما قطاع الخدمات فيأتي في المرتبة الثانية ، حيث تصل نسبتهن الى حوالي ٤٥٪ . اما في قطاع التصنيع والبناء والكهرباء والغاز فهي تصل الى ٣-١٠٪ (٩) .

وهكذا فان نسبة النساء العاملات تزداد في القطاع الزراعي وقطاع الخدمات ، لتقل في القطاعات الاقتصادية المنتجة . وبهذا يبقى عمل المرأة عملا غير منظور ، وان كانت تعمل ساعات أكثر من الرجل وتمتع ساعات فراغ وراحة أقل منه ، الا انه لا توجد لحد الآن وسائل لاحتساب أو تقويم حجم عملها هذا ، بسبب قلة نسبة النساء في مواقع التأثير واتخاذ القرار ، وبسبب منهجية جمع البيانات ، خاصة في احصاءات العمل ، الذي اقتبس من الدول المتقدمة صناعيا ، والتي لم يعد فيها قطاع اقتصادي تقليدي .

(٧) نفس المصدر ، ص ١٦٥ .

(٨) لم تتوفر لدينا احصاءات دقيقة لسنوات الحرب .

(٩) د . فوزية العطية ، المرأة والتغيير الاجتماعي في الوطن العربي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ٧١ .

لقد اختلف الموقف من المرأة في العراق تبعا لاختلاف المراحل التاريخية التي مر بها القطر ، فقد كانت المرأة في عهد التبعية الاستعمارية وحتى ثورة ١٩٥٨ محرومة من الكثير من حقوقها القانونية . فقد عملت التشريعات السائدة حينذاك على تكريس ذلك الواقع واضفاء الشرعية على التمييز ضد المرأة ، وتعميق النظرة السلبية في المجتمع نحو المرأة .

فالقانون يرتبط بالنظام السياسي القائم في المجتمع ، كما يرتبط بدرجة التطور الاجتماعي والحضاري . وهو يعبر عن رغبة الفئة المسيطرة في المجتمع في تنظيم العلاقات الاجتماعية .

وعندما تصبح القوانين غير منسجمة مع رغبات وطموحات المجتمع ، وغير معبرة عن ارادته ، وغير ملائمة للنظام الاجتماعي العام ، أو معرقله لتطوره وتنميته ، وجب تعديلها أو تغييرها لكي تصبح أكثر انسجاما مع الظروف الموضوعية القائمة في المجتمع ، وملائمة مع احتياجات الجماعات الاجتماعية نفسها .

لذلك عملت لجنة المرأة العاملة ، التابعة الى منظمة العمل العربية ، والتي تشكلت في عام ١٩٧٣ على حث الحكومات العربية على مراجعة تشريعاتها وتطبيقاتها بشأن المرأة العاملة . كما أعدت اللجنة مشروع الاتفاقية العربية لشؤون المرأة العاملة ، رقم ٥ في عام ١٩٧٦ ، والتي عرضت على مؤتمر العمل العربي المنعقد في الاسكندرية ، نفس العام . وقد أقر المؤتمر تلك الاتفاقية واعتبرت أساسا مشتركا للأحكام الخاصة بالمرأة العاملة في تشريعات العمل في الأقطار العربية . وقد تضمنت هذه الاتفاقية الاحتفاظ لها بحق العودة الى عملها بعد انتهاء فترة الاجازة مع توفير التسهيلات اللازمة لإعادة تدريبها وتأهيلها للعمل . كما تضمنت الاتفاقية

ضرورة شمول قانون التأمينات الاجتماعية تأميننا خاصا بالأمومة .

الا أن هذه الاتفاقية رغم اقرارها منذ عام ١٩٧٦ لم يتم تصديقها حتى الآن الا من عضوين فقط من أعضاء المنظمة ، في حين أنها تتطلب تصديق ثلاثة أعضاء في الأقل لكي تصبح نافذة المفعول . وهذا يشير الى التباين والاختلاف في مركز المرأة العربية ودورها في عملية التغير الاجتماعي للاقطار العربية وطبيعة النظم الاجتماعية القائمة فيها .

لقد عملت وزارة العدل في العراق على وضع خطة لاعادة النظر في جميع التشريعات في ضوء التغيرات التي طرحتها ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ من جهة ، وفي ضوء الواقع الاجتماعي الحضاري في هذه المرحلة للقطر من جهة أخرى . وقد نص الدستور العراقي الموقت في مجال التشريعات السياسية على أن المواطنين متساوون أمام القانون بغض النظر عن الجنس ، كما أعطى قانون المجلس الوطني رقم (٥٥) لسنة ١٩٨٠ حق الانتخاب والترشيح للمرأة في عضوية المجلس . وسأوى قانون العمل بشكل مطلق بين المرأة والرجل في مجال العمل ، وضمن لها كافة ما ضمنه للرجل من حقوق (١٠) .

وبموجب قانون مساواة المرأة بالرجل في الحقوق والامتيازات المالية رقم (١) لسنة ١٩٧٥ ، منحت المرأة امتيازاً باعتبار دخلها مستقلاً عن دخل زوجها وتمتعت بالاعفاءات القانونية الخاصة بضريبة الدخل .

وقد عالج قانون الخدمة المدنية رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٠ المعدل وقرارات مجلس قيادة الثورة الخاصة بالخدمة المدنية ، بقدر تعلق الأمر بالمرأة في القطر ، أحوال المرأة الموظفة وسأوى بينها وبين الرجل في الوظائف وفي

(١٠) د . فوزية العطية ، دراسة اجتماعية في القوانين الخاصة بالمرأة العراقية بعد ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ ص ٣٥٥ ، بغداد ١٩٨٧ .

الرواتب وفي الحقوق التقاعدية ، ومنح اجازة للمرأة الحامل لمدة شهر واحد قبل الوضع ، وستة أسابيع بعده .

كما نص قانون العمل رقم ٧١ لسنة ١٩٨٧ على تمتع الأم العاملة ، بموافقة صاحب العمل باجازة امومة خاصة بدون أجر لمدة لا تزيد على سنة واحدة تنصرف فيها لرعاية طفلها اذا لم يكمل سنة واحدة من عمره (١١) .

لقد نظم القانون والأنظمة الصادرة بموجبه عمل المرأة في القطر وحدد المجالات التي تعمل فيها . فأطلق لها حرية العمل في الميادين كافة ، الا تلك التي لا تنسجم وطبيعة المرأة ، مثل الأعمال المرهقة والأعمال التي ينجم عنها الضرر والعمل الليلي . كما ألزم أرباب العمل على تهيئة كافة الظروف الصحية للعمل وعالج أحوال المرأة الحامل والمرضع بشكل يتناسب ووضعها هذا ، كما جاء في اتفاقية العمل الدولية (١٢) .

كما ضمنت التشريعات التعليمية المساواة في التعليم . حيث جعل قانون التعليم الإلزامي رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦ التعليم إلزاميا للأطفال من الجنسين للمرحلة العمرية ٦ - ١٠ سنة ، وضمن المساواة في التعليم للجنسين حتى نهاية مرحلة الدراسة الابتدائية كما ساوى قانون الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية عام ١٩٧٩ بين المرأة والرجل .

هذا وقد أكدت الأسباب الموجبة لتشريعات القوانين الخاصة بالمرأة ، ان الهدف الأساس للتشريع هو تهيئة الفرصة أمام المرأة باعتبارها تمثل نصف المجتمع للمساهمة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية الشاملة .

الا أن القانون لا يكفي وحده للقضاء على التمييز ضد المرأة أو تغيير

(١١) قانون العمل ، وزارة العدل ، المادة ٨٦ - أولا - دار الحرية

للطباعة بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٣٣ .

(١٢) قانون العمل ٢ نفس المصدر ، ص ٢١ - ٢٤ .

مركزها ودورها الاجتماعي ، وانما يعد وسيلة من وسائل تهيئة جو اجتماعي أكثر سماحة ، يؤدي الى تقبل الجماعات الاجتماعية بعضها للبعض الآخر . وتتركز قيمة القانون في تهيئة الجو والخبرة المباشرة لأسس جديدة يرتكز عليها التفاعل الاجتماعي ، ويفترض أن تكون هذه الخبرة مقبولة اجتماعيا وقادرة على تحقيق الهدف . فانقانون اداة لتهيئة الجو الاجتماعي للمواطنين لكي يدركوا الامور في اطار جديد تدعم الخبرات السابقة .

المبحث الثالث

عرض النتائج ومناقشتها

ان دراسة بعض المتغيرات الأساسية لمفردات العينة ، والتي تعتبر مؤشرات لتوضيح الفروق الفردية لمفردات العينة ، تتيح لنا الوقوف على دور هذه المتغيرات في تحديد استجابات مفردات العينة ، فيما يخص مجالات هذا البحث ، وما لذلك من أثر في تحديد مساهمة المرأة في العمل الانتاجي . وتشمل هذه المتغيرات المحاور التالية :

أولا - الحالة الاجتماعية : وتتضمن

١ - الحالة الزوجية :

تعتبر الحالة الزوجية للمرأة العاملة من الفروقات الفردية التي تؤثر في مساهمة المرأة في العمل الانتاجي . فالمرأة العاملة المتزوجة تعاني من مشكلات تتعلق بالعناية بالزوج ورعاية الأطفال والامور المنزلية . ولا بد أن تؤثر هذه المؤثرات على مدى مساهمة المرأة في العمل والاستمرار فيه . وقد ركزنا في بحثنا هذا على المرأة المتزوجة ، سواء كانت مستمرة في علاقتها بزوجها أو منفصلة عنه أو مطلقة أو أرملة ، واستبعدنا المرأة غير المتزوجة لأن لها وضعها الخاص وظروفها المتميزة . والجدول رقم (١) يوضح الحالة الزوجية للمبحوثات .

جدول رقم (١)

يوضح الحالة الزوجية للمبحوثات

الحالة الزوجية	التكرارات	النسب المئوية
متزوجة	١٤٦	٩١
مطلقة أو منفصلة	٨	٥
أرملة	٦	٤
المجموع	١٦٠	١٠٠

من ملاحظة بيانات الجدول أعلاه يتبين أن ٩١٪ من المبحوثات متزوجات ، ٥٪ منهن مطلقات أو منفصلات عن أزواجهن ، و ٤٪ أراامل . وهذا يبين شدة التماسك الأسري في المجتمع العراقي ، وأن عمل المرأة لم يؤثر كثيراً على العلاقات الزوجية والأسرية .

٢ - عدد الاطفال :

ان عدد الأطفال يعد من المتغيرات التي تحدد حجم المسؤوليات العائلية الملقاة على عاتق المرأة . فالعلاقة بين عدد الأطفال ومسؤولية تنشئتهم علاقة طردية ، أي كلما ازداد عدد الأطفال ازدادت مسؤولية المرأة ، وهذه العلاقة قد تؤدي الى صراع الأدوار بالنسبة للمرأة العاملة ، نتيجة قيامها بدورين أساسيين ، الدور الأسري وتنشئة الأطفال وتأدية الشؤون المنزلية ، والعمل اليومي خارج المنزل ، وما يلزم ذلك من حالات الارهاق والقلق والتوتر التي تعرض لها المرأة العاملة .

لذلك فإن الاتجاه نحو تقديم الخدمات لهن من دور الحضانة ورياض الأطفال ، وتهيئة المستلزمات التقنية لانجاز العمل المنزلي يمكنهن من التوفيق بين الدورين . والجدول رقم (٢) يوضح عدد أطفال المبحوثات .

جدول رقم (٢)

يوضح عدد أطفال المبحوثات

عدد الأطفال	التكرارات	النسبة المئوية
بدون أطفال	٢٣	١٤
١ - ٣	٩٩	٦٢
٤ - ٦	٢٩	١٨
٧ - ٩	٦	٤
١٠ فأكثر	٣	٢
المجموع	١٦٠	١٠٠

تشير بيانات الجدول أعلاه أن ١٤٪ من العاملات ليس لديهن أطفال و ٦٢٪ منهن يتراوح عدد أطفالهن من ١ - ٣ طفل و ١٨٪ من العاملات يتراوح عدد أطفالهن من ٤ - ٦ طفل و ٤٪ يتراوح عدد أطفالهن من ٧ - ٩ طفل و ٢٪ يزيد عدد أطفالهن عن ذلك .

أما بخصوص أعمار الأطفال ، فقد تم تقسيم العينة الى فئات عمرية تتراوح بين أقل من سنة الى ٢٩ سنة فما فوق . والجدول رقم (٣) يوضح ذلك .

الجدول رقم (٣)

يوضح عدد أطفال المبحوثات حسب فئات العمر

الفئات العمرية للأطفال	التكرارات	النسب المئوية
أقل من سنة	٢٣	١٢ر٢٣
١ - ٣	٤٥	٢٣ر٩٣

١٤٣٦	٢٧	٤ - ٦
٧٩٧	١٥	٧ - ٩
١٠٦٣	٢٠	١٠ - ١٢
٦٩١	١٣	١٣ - ١٥
١٥٩٥	٣٠	١٦ - ١٨
٥٣١	١٠	١٩ - ٢١
٢٦٥	٥	٢٩ فأكثر
١٠٠	١٨٨	المجموع

من ملاحظة بيانات الجدول أعلاه يتبين أن غالبية العاملات لديهن أطفال صغار ، أقل من سنة - ٦ سنوات ، وهذا يبين حجم المسؤولية الملقاة على عاتق المرأة العاملة ، بسبب وجود أطفال دون سن المدرسة .
وقد قسمنا العينة الى فئتين الاولى (أقل من سنة - ٦ سنوات)
والفئة الثانية من (٦ سنوات فأكثر) . والجدول رقم (٤) يوضح ذلك .

جدول رقم (٤)

يوضح عدد أطفال المبحوثات حسب الفئتين العمرية

العاملات		ليس لديهن		المجموع %	
الفئات العمرية للأطفال	لديهن %	لديهن %	المجموع %		
أقل من سنة - ٦ سنوات	٩٥	٦٩٣٤	٤٢	٣٠٦٥	١٣٧
٦ سنوات فأكثر	٩٣	٦٧٨٨	٤٤	٣٢١١	١٣٧

نلاحظ من الجدول أعلاه أن ٦٩٣٤٪ من العاملات لديهن أطفال بعمر أقل من سنة وحتى ٦ سنوات . و ٦٧٨٨٪ لديهن أطفال في عمر ٦ سنوات فما فوق .

٣ - العمر :

يعد العمر من المتغيرات البالغة الأهمية لبيان الفروق الفردية بين
العاملات ، حيث أن نشاط العاملة يعتمد على بعض المؤشرات الفسيولوجية
مثل العمر . لذلك من المهم ان نتعرف على نسبة العاملات الشابات ، اللواتي
يتميزن بالنشاط ويسهمن بشكل أكثر فاعلية في العملية الانتاجية .
وكذلك التعرف على نسبة العاملات المتقدمات في السن نسبيا . والجدول
رقم (٥) يوضح ذلك .

جدول رقم (٥)

يوضح أعمار المبحوثات حسب الفئات العمرية

النسب المئوية	التكرارات	الفئات العمرية
١٠	١٦	١٨ - ٢٣
٢٦	٤٢	٢٤ - ٢٩
٣١	٤٩	٣٠ - ٣٥
١٧	٢٨	٣٦ - ٤١
١٠	١٦	٤٢ - ٤٧
٦	٩	٤٨ - ٥٣
١٠٠	١٦٠	المجموع

تم تقسيم أعمار المبحوثات الى ست فئات عمرية ، تمثل الفئة الأولى
الحد الأدنى لأعمارهن وهي فئة ١٨ - ٢٣ سنة ، بينما تمثل الفئة الأخيرة
٤٨ - ٥٣ سنة الحد الأعلى لأعمار المبحوثات . ويظهر من الجدول أعلاه أن
أعمار المبحوثات تقع ضمن الفئة العمرية النشطة اقتصاديا . حيث ان
١٠٪ منهن تتراوح أعمارهن بين ١٨ - ٢٣ سنة ، و ٢٦٪ ضمن الفئة

العمرية ٢٤ - ٢٩ سنة و ٣١٪ ضمن الفئة العمرية ٣٠ - ٣٥ سنة و ١٧٪
 ضمن الفئة العمرية ٣٦ - ٤١ سنة و ١٠٪ ضمن الفئة العمرية ٤٢ - ٤٧
 سنة و ٦٪ من العاملات فقط تقع أعمارهن ضمن الفئة العمرية ٤٨ - ٥٣
 سنة .

وقد بلغ الوسط الحسابي لأعمار المبحوثات ٢٦ر٦٦ سنة .

٤ - الخلفية الاجتماعية :

نقصد بالخلفية الاجتماعية ، الانحدار الاقتصادي - الاجتماعي
 للعاملات وأنماط علاقاتهن الاجتماعية . وتم اتخاذ مهنة الأب معيارا في
 تحديد الخلفية الاجتماعية للعاملة . والجدول رقم (٦) يوضح ذلك .

جدول رقم (٦)

يوضح الخلفية الاجتماعية للمبحوثات

الخلفية الاجتماعية	التكرارات	النسب المئوية
فلاحة	٢٨	١٧
عمالية	٢٧	١٦
مهنة حرة	٤٣	٢٨
وظيفة رسمية	٦٢	٣٩
المجموع	١٦٠	١٠٠

توضح بيانات الجدول أعلاه أن ١٧٪ من المبحوثات من وسط اجتماعي
 فلاحي و ١٦٪ من وسط عمالي و ٢٨٪ من خلفية مهنية و ٣٩٪ من المبحوثات
 من وسط وظيفي .

نجد أن النسبة العليا للمبحوثات هن من خلفية وظيفية ، أي آباؤهن
 يعملون في الوظائف الحكومية الرسمية تليها المهن الحرة .

٥ - خلفية الزوج :

أما بالنسبة للخلفية الاجتماعية لأزواج المبحوثات فهي موضحة في
انجدول رقم (٧) .

جدول رقم (٧)

يوضح الخلفية الاجتماعية لأزواج المبحوثات

النسبة المئوية	التكرارات	الخلفية الاجتماعية
١٢	٢٠	فلاحية
١٩	٣٠	عمالية
٣١	٥٠	مهنة حرة
٣٨	٦٠	وظيفة رسمية
١٠٠	١٦٠	المجموع

توضح بيانات الجدول رقم (٧) ان ١٢٪ من أزواج المبحوثات من
خلفية فلاحية ، و ١٩٪ منهم من خلفية عمالية و ١٣٪ منهم من مهنة حرة
و ٣٨٪ من خلفية وظيفية .

ويوضح من الجدولين السابقين وجود نوع من التجانس بين الخلفية
الاجتماعية للمبحوثات وأزواجهن . أي أن الزواج يتم بين افراد ينتمون
الى أوساط اجتماعية متقاربة .

ثانيا - الاحوال الثقافية : وتتضمن :

١ - الحالة التعليمية للمبحوثات :

يعد التعليم من المؤشرات الثقافية التي تؤثر في قدرات المرأة
واسهامها في العمل الانتاجي . كما أن الحالة التعليمية للمرأة والزوج
تساعد على تنظيم العائلة وتنظيم أوقاتها . والجدول رقم (٨) يبين الحالة

التعليمية للمبحوثات •

جدول رقم (٨)

يوضح الحالة التعليمية للمبحوثات

الحالة التعليمية	التكرارات	النسبة المئوية
تقرأ وتكتب	٢٣	١٣
خريجة المدرسة الشعبية	١٥	٩
خريجة ابتدائية	٢١	١٤
خريجة متوسطة	١٤	٩
خريجة اعدادية	٢٨	١٨
خريجة معهد أو كلية	٥٩	٣٧
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه أن ١٣٪ من العاملات يعرفن القراءة والكتابة فقط ، و ٩٪ خريجات المدارس الشعبية ، و ١٤٪ منهن لديهن شهادة المرحلة الابتدائية و ٩٪ منهن خريجات متوسطة و ١٨٪ منهن خريجات اعدادية و ٣٧٪ من العاملات خريجات معهد أو كلية •

أما التحصيل الدراسي لأزواج المبحوثات ، فيوضحه الجدول

رقم (٩) •

جدول رقم (٩)

يوضح التحصيل الدراسي لأزواج المبحوثات

الحالة التعليمية	التكرارات	النسبة المئوية
يقرأ ويكتب	٣	٢
خريج المدارس الشعبية	٢	١

١٣	٢٠	خريج ابتدائية
١٦	٢٦	خريج متوسطة
٢٣	٣٧	خريج اعدادية
٤٥	٧٢	خريج معهد أو كلية
١٠٠	١٦٠	المجموع

يتبين من الجدول أعلاه أن ٢٪ من أزواج المبحوثات يعرفون القراءة والكتابة ، و ١٪ خريج مدرسة شعبية ، و ١٣٪ منهم من خريجي المدرسة الابتدائية ، و ١٦٪ من حملة شهادة متوسطة و ٢٣٪ من حملة شهادة الاعدادية ، و ٤٥٪ من أزواج المبحوثات من خريجي المعاهد والكليات .
ان ارتفاع المستوى التعليمي لأزواج المبحوثات يساعد على فهم أهمية مساهمة المرأة في العمل الانتاجي ، لتكوين دخل اضافي للأسرة .

ثالثا - الأحوال الاقتصادية : ويتضمن :

١ - مهنة العاملات :

ان التوسع في البناء والتنمية في القطر العراقي ، اضافة الى تعرض المجتمع الى حرب استمرت لمدة ثمان سنوات ، انسحب خلالها الرجل من مواقع العمل الانتاجي الى جبهات القتال لصد العدوان الفاشم ، وقد أدى الى أن تضطلع المرأة بدور فعال في مختلف مجالات العمل . والجدول رقم (١٠) يوضح مهن المبحوثات .

جدول رقم (١٠)

يوضح مهن المبحوثات

المهنة	التكرارات	النسبة المئوية
فلاحية	٥	٣

٣٥	٥٢	عمالية
١١	١٨	مهنة حرة
١٢	٢٠	تعليم
٤٢	٦٥	وظيفة رسمية
١٠٠	١٦٠	المجموع

يتضح من الجدول أعلاه أن معظم العاملات يعملن في وظائف رسمية ، حيث بلغت نسبتهن ٤٢٪ ، وهذا يبين ارتفاع نسبة الموظفات ، خاصة بعد اصدار قرار مجلس قيادة الثورة في تحويل العمال الى موظفين في عام ١٩٨٧ . وتشعر المرأة في الوظيفة الرسمية بالاستقرار النفسي وتتمتع بامتيازات عديدة مثل الاجازات بأجر والضمانات التقاعدية . كما أن نشاط القطاع الخاص ، خاصة بعد العدوان الايراني ضد العراق اضافة الى زيادة وتوسع مشاريع التنمية ، أدى الى ارتفاع نسبة العاملات في المنشآت الاقتصادية حيث بلغت نسبة المشتغلات بمهن عمالية ٣٥٪ تليها مهنة التعليم بنسبة ١٢٪ ثم المهن الحرة بنسبة ١١٪ ثم المهن الزراعية بنسبة ٣٪ . فالمرأة ترغب في العمل في قطاع التعليم ، كما اقتحمت المرأة ميدان النشاط الحر من فتح محلات تجارية أو ممارسة مهنة الطب والهندسة والمحاماة .

٢ - مهنة أزواج العاملات :

اما بالنسبة لمهنة أزواج العاملات فهو موضح في الجدول رقم (١١) .

جدول رقم (١١)

يوضح مهنة أزواج المبحوثات

المهنة	التكرارات	النسب المئوية
فلاح	٥	٣

١٠	١٥	عامل
١٦	٢٦	مهنة حرة
٣٨	٦١	عسكري
٣٣	٥٣	موظف رسمي
١٠٠	١٦٠	المجموع

يتضح من الجدول أعلاه أن ٣٨٪ من أزواج المبحوثات من العسكريين، وهذا يعود الى الظروف المرحلية التي يمر بها القطر وواجبه في الدفاع عن البوابة الشرقية للوطن العربي . تليها فئة الموظفين بنسبة ٣٣٪ ثم أصحاب المهن الحرة بنسبة ١٦٪ ثم العمال بنسبة ١٠٪ ثم الفلاحين بنسبة ٣٪ .

٣ - مدة الخدمة للمبحوثات :

يمكن أن تعد الحقبة الزمنية التي تفضلها العاملة في الانتاج مؤشرا عن استقرار المرأة في العمل وقدرتها على التكيف والتنسيق بين دورها المنزلي ودورها الانتاجي .

وقد تم تقسيم مدة الخدمة الى ست فئات اعتمادا على الحد الأدنى للخدمة وهي سنة - ٥ سنوات والحد الأعلى ٢٦ سنة فما فوق . انظر الجدول رقم (١٢) .

جدول رقم (١٢)

يوضح مدة خدمة المبحوثات بالسنوات

النسب المئوية	التكرارات	مدة الخدمة
٤٧	٧٤	١ - ٥
٢٣	٣٦	٦ - ١٠

٢٠	٣٣	١٥ - ١١
٥	٩	٢٠ - ١٦
٤	٦	٢٥ - ٢١
١	٢	٣٠ - ٢٦
١٠٠	١٦٠	المجموع

يبين الجدول أعلاه أن ٤٧٪ من المبحوثات تتراوح مدة خدمتهن بين ١ - ٥ سنوات . لكون غالبية المبحوثات من الشابات ، تليها الفئة التي مدة خدمتها من ٦ - ١٠ سنوات وهن بنسبة ٢٣٪ من المبحوثات ثم الفئة بين ١١ - ١٥ سنة بنسبة ٢٠٪ منهن ، ثم الفئة التي مدة خدمتها من ١٦ - ٢٠ سنة بنسبة ٥٪ ثم الفئة التي مدة خدمتها من ٢١ - ٢٥ سنة بنسبة ٤٪ ثم الفئة ٢٦ - ٣٠ سنة وهي بنسبة ١٪ فقط . أما الوسط الحسابي لمدة خدمة المبحوثات فهي ٦ و ٢٦ سنة .

٤ - الدخل الشهري للمبحوثات :

تبين من نتائج البحث ان دافع الحاجة المادية له أهمية في مشاركة المرأة في العمل الانتاجي . وهذا يفسر أهمية الدخل الشهري للعائلة والتي تحصل عليه لقاء عملها خارج المنزل . والجدول رقم (١٣) يوضح الدخل الشهري للمبحوثات بالدينار .

جدول رقم (١٣)

يوضح الدخل الشهري للمبحوثات بالدينار

النسب المئوية	التكرارات	فئات الدخل
٤٧	٧٥	١٠٠ - ٥٠
٣٢	٥١	١٥٠ - ١٠١

١٧	٢٦	٢٠٠ - ١٥١
١	٢	٢٥٠ - ٢٠١
١	٢	٣٠٠ - ٢٥١
١	٢	٣٥٠ - ٣٠١
١	٢	٣٥٠ فأكثر
١٠٠	١٦٠	المجموع

لقد تم تقسيم دخل المبحوثات الى سبع فئات استنادا الى الحد الأدنى ٥٠ (١٣) دينار والحد الأعلى ٣٥١ دينار . وتمثل الفئة الاولى ٥٠ - ١٠٠ دينار ٤٧٪ من العاملات والثانية ١٠١ - ١٥٠ دينار ٣٢٪ منهن والثالثة ١٥١ - ٢٠٠ دينار ١٧٪ منهن . ثم تقل نسبة الفئات الاخرى لتشكل نسبة كل فئة منهن ١٪ فقط من المبحوثات .

٥ - الدخل الشهري لأزواج المبحوثات :

أما الدخل الشهري لأزواج المبحوثات ، فيوضحه الجدول رقم (١٤) .

جدول رقم (١٤)

يوضح الدخل الشهري لأزواج المبحوثات (بالدينار)

النسب المئوية	التكرارات	فئات الدخل
١٥	٢٤	١٠٠ - ٥٠
٥٤	٨٧	١٥٠ - ١٠١

(١٣) يعد الاجر الشهري الأدنى في العراق ٥٤ دينار ، وقد اضيف مبلغ ٢٥ دينار شهريا للموظفين كافة اعتبارا من ١٩٨٩/٧/١ ، لتحسين الوضع الاقتصادي للمواطن .

١٣	٢١	٢٠٠ - ١٥١
٩	١٥	٢٥٠ - ٢٠١
٤	٦	٣٠٠ - ٢٥١
١	٢	٣٥٠ - ٣٠١
٣	٥	٣٥٠ فأكثر
١٠٠	١٦٠	المجموع

تم تقسيم الدخل الشهري لأزواج المبحوثات الى سبع فئات أيضا .
وتمثل الفئة الاولى التي يتراوح دخلها بين ٥٠ - ١٠٠ دينار نسبة ١٥٪ ،
اما الفئة الثانية ١٠١ - ١٥٠ دينار فهي بنسبة ٥٤٪ ، ثم الفئة الثالثة
١٥١ - ٢٠٠ دينار بنسبة ١٣٪ ثم الرابعة ٢٠١ - ٢٥٠ دينار فهي بنسبة
٩٪ ثم الفئة الخامسة التي يتراوح دخلها بين ٢٥١ - ٣٠٠ بنسبة ٤٪ ،
ثم الفئة السادسة التي يتراوح دخلها بين ٣٠١ - ٣٥٠ دينار بنسبة ١٪
اما الفئة الأخيرة التي يزيد دخلها عن ٣٥٠ دينار فهي بنسبة ٣٪ .

ويشير الجدول رقم (١٤) الى أن المدخولات الشهرية لأزواج العاملات
محدودة ، وهي قليلة نسبيا لا تكفي لاعالة الأسرة ، وهذا يعد من العوامل
الرئيسية في مشاركة المرأة في العمل الانتاجي لتسهم في الانفاق على الأسرة
ومتطلبات الأطفال .

٦ - كيفية انفاق العاملة لدخلها الشهري :

للتعرف على كيفية انفاق المبحوثات لمدخولاتهن الشهرية انظر الجدول

رقم (١٥) .

جدول رقم (١٥)

يوضح كيفية انفاق العائلة لدخلها الشهري

مجلات الانفاق	التكرارات	النسب المئوية
الصرف على شؤون الاسرة	١٣٠	٨١
شراء المستلزمات الشخصية	٥٠	١٣
الادخار	١٠	٦
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه أن غالبية الزوجات ، أي بنسبة ٨١٪ ينفقن دخلهن الشهري على شؤون الأسرة ومتطلباتها . أي أن المرأة العاملة تسهم بشكل فعال في تكوين الدخل الشهري للأسرة ، وهذا يشير الى الوعي الذي تتميز به المرأة العاملة . تليها نسبة ١٣٪ من العاملات ينفقن مدخولاتهن الشهرية على مستلزماتهن الشخصية ، وهذا يخفف من أعباء الزوج . ثم ٦٪ من العاملات يتمكن من ادخار دخلهن الشهري ، لكونه يشكل ضماناً لها ولأسرتها مستقبلاً .

رابعاً - دوافع عمل المرأة ورغبتها في العمل : ويتضمن :

١ - دوافع عمل المرأة :

ان دوافع المرأة الى العمل الانتاجي متعددة ، فمنها ما هو اقتصادي ، أي بسبب الحاجة المادية ، ومنها ما هو اجتماعي ، أي لكسب المكانة الاجتماعية ، وفيها ما هو نفسي ، أي الحاجة الى تحقيق الذات في العمل أو التخلص من الملل والفراغ . والجدول رقم (١٦) يوضح دوافع عمل المبحوثات .

جدول رقم (١٦)

يوضح دوافع العمل لدى المبحوثات

دوافع العمل	التكرارات	النسب المئوية
اقتصادي	٨٣	٥٢
اجتماعي	٥٤	٣٤
تحقيق الذات	١٤	٩
الملل والفراغ	٦	٣
أخرى	٣	٢
المجموع	١٦٠	١٠٠

الجدول أعلاه يوضح ان ٥٢٪ من المبحوثات يعملن لأسباب اقتصادية أي لتحسين الوضع المادي لهن ولأسرتهن . و ٣٤٪ منهن يعملن لأسباب اجتماعية أي لكسب منزلة اجتماعية أفضل . و ٩٪ يجدن في العمل تحقيقا لذاتهن و ٣٪ يعملن للتخلص من الملل والفراغ و ٢٪ لديهن دوافع أخرى دفعتهن للمساهمة في العمل الانتاجي .

٢ - الجهة الراغبة في عمل المرأة :

ان مشاركة المرأة في العمل الانتاجي ، تمت اما بسبب الرغبة الشخصية للمرأة ذاتها ، أو بسبب رغبة زوجها أو رغبة اسرتها . والجدول رقم (١٧) يبين الجهة الراغبة في مساهمة المرأة في العمل الانتاجي .

جدول رقم (١٧)

يوضح الجهة التي دفعت المبحوثات للعمل

الجهة الراغبة في عمل المرأة	التكرارات	النسب المئوية
الرغبة الذاتية	٣٥	٢١

٣١	٥٠	رغبة الزوج
٤٤	٧٠	رغبة الأسرة
٤	٥	جهات أخرى
١٠٠	١٦٠	المجموع

الجدول أعلاه يوضح ان ٢١٪ من العاملات يعملن بسبب الرغبة الشخصية في العمل ، و ٣١٪ منهن يعملن بسبب رغبة الزوج ، و ٤٤٪ يعملن بسبب رغبة اسرتهن في عملهن و ٤٪ يعملن لرغبة جهات أخرى .

وتشير بيانات الجدول الى ان اتخاذ قرار الزوجة بالعمل الانتاجي يتأثر أحيانا برغبتها وأخرى برغبة زوجها أو اسرتها . حيث ان النتائج تشير الى ان ٢١٪ من العاملات يعملن بسبب الرغبة الشخصية ، و ٣١٪ يعملن بسبب رغبة الزوج ، و ٤٤٪ يعملن بسبب رغبة الأسرة ، و ٤٪ من العاملات يعملن بسبب رغبة جهات أخرى .

٣ - الرغبة في الاستمرار بالعمل :

للتعرف على مدى رغبة المبحوثات بالاستمرار في عملهن ، انظر الجدول رقم (١٨) .

جدول رقم (١٨)

يوضح رغبة أو عدم رغبة المبحوثات بالاستمرار في العمل

النسب المئوية	التكرارات	الرغبة في الاستمرار بالعمل
٧٦	١٢٢	ارغب بالاستمرار
٢٤	٣٨	لا أرغب في الاستمرار
١٠٠	١٦٠	المجموع

يبين الجدول أعلاه أن ٧٦٪ من العاملات يرغبن في الاستمرار بالعمل ، في حين ٢٤٪ منهن لا يرغبن بالاستمرار في العمل .
أما بالنسبة لأسباب عدم الرغبة فهي موضحة في الجدول رقم (١٩) .

جدول رقم (١٩)

يوضح أسباب عدم الرغبة في الاستمرار بالعمل

أسباب عدم الرغبة بالاستمرار بالعمل	التكرارات	النسب المئوية
التعارض بين عمل البيت والعمل	٤٢	٤١
صعوبة المواصلات	٢١	١٩
طول ساعات الدوام	٢٠	١٨
الارهاق والتعب	١٩	١٧
عدم كفاية الراتب	٧	٦
المجموع	١٠٩	١٠٠

يتضح من الجدول أعلاه أن ٤١٪ من المبحوثات من غير الراغبات في الاستمرار بالعمل ، يعود السبب في الرغبة الى التعارض بين دورهن ربات بيوت وواجباتهن المنزلية وبين متطلبات العمل الانتاجي . و ١٩٪ منهن يعود عدم الرغبة لديهن الى صعوبة المواصلات من وإلى العمل و ١٨٪ منهن بسبب طول ساعات الدوام بالنسبة للمرأة و ١٧٪ منهن يجدن أن الجمع بين الدورين يؤدي الى تعب وارهاق المرأة و ٦٪ يجدن أن الراتب قليل ولا يستحق تحمل واجبات ومسؤوليات العمل خارج المنزل . وقد وجدت بعض العاملات أن هنالك أكثر من سبب يؤدي الى عدم الرغبة في الاستمرار بالعمل .

٤ - مدى تعارض وصراع الأدوار :

للتعرف على وجهة نظر المبحوثات في وجود أو عدم وجود تعارض بين الدور المنزلي للمرأة ودورها الانتاجي ، انظر الجدول رقم (٢٠) .

جدول رقم (٢٠)

يبين رأي العاملة بمدى التعارض بين دوري المرأة

مدى التعارض	التكرارات	النسب المئوية
لا يوجد تعارض كبير	١١٥	٧٢
يوجد تعارض	١٥	٢٨
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٢٠) ان ٧٢٪ من العاملات لا يجدن تعارضا بين عملهن المنزلي وعملهن خارج المنزل ، وذلك لقدرة المرأة على تنظيم أوقاتها والتنسيق بين الدورين . في حين تجد ٢٨٪ من المبحوثات انه يوجد تعارض بين دور المرأة المنزلي ودورها الانتاجي ، بسبب مسؤولية الأطفال وصعوبة تأدية الأعمال المنزلية المرهقة والشاقة .

خامسا - الأطفال والشؤون الاسرية : ويتضمن :

١ - محل ايداع الأطفال أثناء دوام المرأة :

نظرا لأن المرأة تشعر أن مسؤوليتها تجاه الأطفال تؤدي الى صعوبة مساهمة المرأة في العمل الانتاجي ، لذلك حاولنا معرفة مكان ايداع الأطفال أثناء ساعات العمل . انظر الجدول رقم (٢١) .

جدول رقم (٢١)

يبين مكان ايداع الأطفال أثناء العمل

النسب المئوية	التكرارات	محل ايداع الأطفال
٨	١١	دور الحضانة
٣٢	٤٣	عند أهل الزوج
٢٩	٤١	عند أهل الزوجة
٢٣	٣١	في البيت مع الأخوة الكبار
٨	١١	عند الجيران أو الأصدقاء
١٠٠	١٣٧	المجموع

يتضح من الجدول رقم (٢١) أن ٨٪ فقط من العاملات يودعن أطفالهن في دور الحضانة أثناء العمل ، وذلك بسبب ارتفاع أجورها وعدم اطمئنان الأم على طفلها ورعايته في دار الحضانة . و ٣٢٪ من العاملات يودعن أطفالهن أثناء العمل لدى أهلهم ، و ٢٩٪ منهم يودعن أطفالهن لدى أهل الزوج ، و ٢٣٪ منهم يتركن أطفالهن في البيت لوجود أخوة أكبر سناً منهم ، و ٨٪ يودعن أطفالهن لدى الجيران أو الأصدقاء . وهذا يشير الى قوة الروابط العائلية والعلاقات الأولية بين الجيران .

٢ - مساعدة الزوج في الشؤون الأسرية :

لابد من التخفيف من مسؤولية المرأة العاملة عن طريق مشاركة الزوج أو الأبناء في بعض الأعمال والشؤون المنزلية ورعاية الأطفال .
والجدول رقم (٢٢) يوضح مساعدة أو عدم مساعدة الزوجة للزوجة العاملة .

جدول رقم (٢٢)

يوضح مساعدة الزوج للزوجة العاملة في الأسرة

النسب المئوية	التكرارات	مساعدة الزوج
٥٩	٩٥	الزوج يساعد
٤١	٦٥	الزوج لا يساعد
١٠٠	١٦٠	المجموع

يتضح من الجدول رقم (٢٢) أن ٥٩٪ من أزواج المبحوثات يساعدون زوجاتهم في بعض الشؤون المنزلية ورعاية الأطفال ، و ٤١٪ منهم لا يساعدون زوجاتهم في ذلك . لأن بعض الرجال يجدون في المساهمة بالأعمال المنزلية انتقاصا من منزلتهم الاجتماعية . وتتركز مساعدة الأزواج في مراقبة الأطفال أو تدريسهم .

٣ - مشاركة العاملة في اتخاذ القرارات الأسرية :

لمعرفة مدى مشاركة المرأة العاملة في اتخاذ القرارات الخاصة بشؤون الأسرة انظر الجدول رقم (٢٣) .

جدول رقم (٢٣)

يوضح مشاركة المبحوثات في اتخاذ القرارات الأسرية

النسب المئوية	التكرارات	مدى المشاركة
٨٤	١٣٥	أشارك
١٦	٢٥	لا أشارك
١٠٠	١٦٠	المجموع

يتضح من الجدول رقم (٢٣) أن ٨٤٪ من الزوجات العاملات يشاركن

أزواجهن في اتخاذ القرارات الخاصة بشؤون الأسرة ، و١٦٪ منهن لا يشاركن بذلك ، بسبب رغبة الرجل في الانفراد بذلك وشعوره بعدم قدرة المرأة على اتخاذ القرارات الأسرية .

٤ - العمل والعلاقات الأسرية :

لمعرفة مدى تأثير عمل المرأة خارج الأسرة في العلاقات الأسرية ، انظر الجدول رقم (٢٤) .

جدول رقم (٢٤)

يوضح تأثير العمل في العلاقات الأسرية

النسب المئوية	التكرارات	العمل والعلاقات الأسرية
٢٩	٤٦	يؤثر العمل سلباً في العلاقات
٧١	١١٤	لا يؤثر العمل في العلاقات
١٠٠	١٦٠	المجموع

يتضح من الجدول (٢٤) أن ٢٩٪ من المبحوثات ترتبت على عملهن خارج المنزل مشكلات أسرية ، وذلك بسبب تعب وإرهاق العاملة نتيجة للدور المزدوج الذي تقوم به . إلا أن الغالبية العظمى وهي بنسبة ٧١٪ لم تتأثر علاقاتهن الأسرية بعملهن خارج المنزل ، ولأن عمل المرأة يضيف دخلاً إضافياً للأسرة ويخفف من مشكلاتها المادية ، ويحسن الوضع النفسي للزوجين .

سادساً - النظرة الاجتماعية لعمل المرأة : ويتضمن :

١ - نظرة المجتمع للمرأة العاملة :

للتعرف على نظرة المجتمع إلى عمل المرأة والمرأة العاملة من وجهة نظر

المبحوثات انظر الجدول رقم (٢٥) .

جدول رقم (٢٥)

يوضح نظرة المجتمع للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثات

نظرة المجتمع	التكرارات	النسب المئوية
تقدير واحترام	٥٣	٣٣
اعتيادية	٨٩	٥٦
سلبية	١٨	١١
المجموع	١٦٠	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٢٥) ان ٣٣٪ من المبحوثات يعتقدن ان نظرة المجتمع للمرأة العاملة هي نظرة ايجابية أي يحترمها ويقدر جهودها الانتاجي و ٥٦٪ منهن يعتقدن ان نظرة المجتمع للمرأة العاملة هي نظرة اعتيادية ، و ١١٪ من المبحوثات يعتقدن ان نظرة المجتمع لا تزال نظرة سلبية الى المرأة العاملة .

٢ - نظرة الرجل للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثات :

للتعرف على نظرة الرجل للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثات

انظر الجدول رقم (٢٦) .

جدول رقم (٢٦)

يبين نظرة الرجل للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثات

نظرة الرجل	التكرارات	النسب المئوية
تقدير واحترام	٨٣	٥٢
اعتيادية	٥٣	٣٣

١٥	٢٤	سلبية
١٠٠	١٦٠	المجموع

يوضح الجدول رقم (٢٦) نظرة الرجل للمرأة العاملة من وجهة نظر
المبحوثات . حيث ترى ٥٢٪ منهن ان نظرة الرجل ايجابية للمرأة العاملة
و٣٣٪ منهن ترى ان النظرة اعتيادية و١٥٪ من المبحوثات يعتقدن ان نظرة
الرجل الى المرأة العاملة هي نظرة سلبية ، أي ان النظرة التقليدية لا تزال
قائمة لدى بعض الرجال ويعتقدون بأن المرأة يجب ان تختص بالشؤون
المنزلية فقط .

٣ - نظرة المرأة ذاتها الى المرأة العاملة :

للتعرف على نظرة المرأة ذاتها الى المرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثات
انظر الجدول رقم (٢٧) .

جدول رقم (٢٧)

يبين نظرة المرأة ذاتها الى عمل المرأة

النسب المئوية	التكرارات	نظرة المرأة
٤٧ر٥	٧٦	تقدير واحترام
٤٧ر٥	٧٦	اعتيادية
٥٪	٨	سلبية
١٠٠	١٦٠	المجموع

تشير البيانات في الجدول أعلاه الى أن نظرة المرأة للعمل نظرة
ايجابية ٤٧ر٥٪ من المبحوثات يعتقدن أن المرأة تنظر باحترام للمرأة
العاملة وتقدر جهودها . و٤٧ر٥٪ يعتقدن ان النظرة اعتيادية و ٥٪ من
المبحوثات يعتقدن ان نظرة المرأة للمرأة العاملة لا تزال سلبية ، وذلك

• بتأثير التنشئة الاجتماعية التي انشأت بموجبها .

٤ - رأي المبحوثات في تفرغهن للعمل المنزلي :

للتعرف على رأي المرأة العاملة في التفرغ للعمل المنزلي أو مواصلة

انشطة انتاجية انظر الجدول رقم (٢٨) .

جدول رقم (٢٨)

الترغب في التفرغ للعمل المنزلي التكرارات	النسب المئوية
نعم أفضل التفرغ للمنزل	٨٦
أفضل العمل في أي نشاط	٢١
أفضل الوظيفة الرسمية	٢٥
المجموع	١٠٠

يتضح من الجدول رقم (٢٨) أن ٥٤٪ من المبحوثات يفضلن ترك أعمالهن الانتاجية والتفرغ للشؤون المنزلية و ٢١٪ يفضلن العمل في أي من مجالات الأنشطة الانتاجية على التفرغ للشؤون المنزلية و ٢٥٪ يفضلن الوظيفة الرسمية .

ويعود السبب في رغبة المرأة بترك نشاطها الانتاجي والتفرغ للأعمال المنزلية الى أسباب متعددة ، منها اجتماعية ومنها نفسية ، كما وضحته بيانات البحث .

استطلاع رأي الأزواج بعمل المرأة :

استكمالا لتصور متكامل للمرأة والعمل ، اعددنا استمارة استبيان

لرأي الأزواج في عمل المرأة . وتضمنت الاستمارة البيانات التالية :

١ - رأي الزوج في عمل المرأة :

للتعرف على رأي الزوج بدور المرأة ، ورغبته في تفرغها للشؤون المنزلية أو المساهمة في العمل الانتاجي ، انظر الجدول رقم (٢٩) .

جدول رقم (٢٩)

يوضح رأي المبحوثين من الازواج في عمل المرأة

النسب المئوية	التكرارات	رأي الزوج في دور المرأة
٧٣	٢٩	التفرغ للشؤون الاسرية
٢٧	١١	العمل خارج المنزل
١٠٠	٤٠	المجموع

يتضح من الجدول رقم (٢٩) أن ٧٣٪ من الازواج يفضلون تفرغ زوجاتهم للشؤون الأسرية ، و ٢٧٪ منهم يفضلون مساهمة زوجاتهم في النشاط الاقتصادي . وهذا يعني ان الرجل لا يزال يتحفظ على عمل المرأة ويرى ضرورة تفرغها للشؤون المنزلية وتأدية دورها في انجاب الاطفال ورعايتهم والاهتمام بالزوج وشؤون المنزل .

٢ - المجالات التي يفضلها الزوج لعمل زوجته :

للتعرف على وجهة نظر الزوج في العمل المناسب للمرأة انظر الجدول رقم (٣٠) .

جدول رقم (٣٠)

يوضح المجالات المناسبة لعمل المرأة بنظر الزوج

النسب المئوية	التكرارات	المجالات
٨٠	٣٢	التعليم

٥	٢	الوظيفة الرسمية
٥	٢	العمل الحر
١٠	٤	مختلف المجالات
١٠٠	٤٠	المجموع

يتضح من الجدول أعلاه ان ٨٠٪ من الأزواج يفضلون عمل الزوجة في مجال التعليم ، و ٥٪ يفضلون عمل الزوجة في الوظيفة الرسمية ، و ٥٪ من المبحوثين يفضلون عمل الزوجة في العمل الحر ، و ١٠٪ من المبحوثين يجدون ان المرأة تصلح للعمل في مختلف مجالات الأنشطة الاقتصادية .

٣ - مساعدة الزوج في الشؤون الأسرية :

للتعرف على مدى تقبل الزوج في مساعدة زوجته في بعض الاعمال المنزلية للتخفيف من أعبائها ، انظر الجدول رقم (٣١) .

جدول رقم (٣١)

يوضح مدى مساعدة الزوج في الشؤون الاسرية

النسب المئوية	التكرارات	المساعدة
٦٥	٢٦	اساعد في العمل المنزلي
٣٥	١٤	لا اساعد في العمل المنزلي
١٠٠	٤٠	المجموع

يتضح من الجدول أعلاه ان ٦٥٪ من الأزواج يمدون يد العون والمساعدة لزوجاتهم في بعض الاعمال الاسرية ورعاية الاطفال . في حين ٣٥٪ من المبحوثين لا يساعدون زوجاتهم في الشؤون الاسرية ، ويعتبرون ذلك من اختصاص وواجبات المرأة .

٤ - تأثير عمل المرأة في الاسرة من وجهة نظر الزوج :

للتعرف على وجهة نظر الزوج في الآثار المترتبة على عمل الزوجة في الأسرة وفي العلاقات الزوجية انظر الجدول رقم (٣٢) .

جدول رقم (٣٢)

يوضح تأثير عمل المرأة في الاسرة من وجهة نظر الزوج

النسب المئوية	التكرارات	تأثير عمل المرأة في الاسرة
٥٠	٢٠	يتعارض عمل المرأة كلياً مع عملها المنزلي
٣٨	١٥	يتعارض عمل المرأة احياناً
١٢	٥	لا يتعارض عمل المرأة مع عملها المنزلي
١٠٠	٤٠	المجموع

٥ - نظرة المجتمع لعمل المرأة من وجهة نظر الرجل :

للتعرف على نظرة المجتمع الى عمل المرأة من وجهة نظر الباحثين من عينة الرجال ، انظر الجدول رقم (٣٣) .

جدول رقم (٣٣)

يوضح نظرة المجتمع للمرأة العاملة من وجهة نظر الازواج

النسب المئوية	التكرارات	نظرة المجتمع
٤٨	١٩	تقدير واحترام
٢٧	١١	اعتيادية (عطف)
٢٥	١٠	سلبية
١٠٠	٤٠	المجموع

يتضح من الجدول أعلاه أن ٤٨٪ من المبحوثين من عينة الرجال يعتقدون أن نظرة المجتمع للمرأة العاملة هي نظرة تقدير واحترام ، و ٢٧٪ من المبحوثين يعتقدون أن نظرة المجتمع للمرأة العاملة هي نظرة اعتيادية و ٢٥٪ من المبحوثين يعتقدون أن نظرة المجتمع هي نظرة سلبية .

٦ - نظرة الرجل للمرأة من وجهة نظر المبحوثين :

للتعرف على نظرة الرجل الى المرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثين من الرجال انظر الجدول رقم (٣٤) .

جدول رقم (٣٤)

يوضح نظرة الرجل للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثين

نظرة الرجل | التكرارات | النسب المئوية

٥٢	محققاً ٢١٪ عدم مدى	تقدير واحترام
٢٧	١١	اعتيادية (عطف)
٢١	٨	سلبية
١٠٠	٤٠	المجموع

يوضح الجدول أعلاه أن نظرة ٥٢٪ من المبحوثين من الرجال يعتقدون أن نظرة الرجل للمرأة العاملة هي نظرة تقدير واحترام ، و ٢٧٪ يرونها اعتيادية يسودها العطف والشفقة ، و ٢١٪ من عينة الرجال يعتقدون أن نظرة الرجل هي نظرة سلبية لعمل المرأة .

٧ - نظرة المرأة للعاملة من وجهة نظر المبحوثين :

للتعرف على نظرة المرأة ذاتها الى المرأة العاملة من وجهة نظر الرجال من عينة البحث ، انظر الجدول رقم (٣٥) .

جدول رقم (٣٥)

يوضح نظرة المرأة للمرأة العاملة من وجهة نظر المبحوثين

نظرة المرأة	التكرارات	النسب المئوية
تقدير واحترام	١٨	٤٥
اعتيادية (عطف)	١٢	٣٠
سلبية	١٠	٢٥

تشير البيانات في الجدول أعلاه الى أن نظرة المرأة ذاتها من وجهة نظر الرجل هي نظرة تقدير واحترام بالنسبة لـ ٤٥٪ من المبحوثين ونظرة اعتيادية يشوبها العطف والشفقة بنظر ٣٠٪ من المبحوثين ونظرة سلبية بالنسبة لـ ٢٥٪ من عينة المبحوثين .

أي ان النظرة الى عمل المرأة والمرأة العاملة لا تزال تتراوح بين الايجابية والسلبية . بين الراديكالية والتقليدية .

٢ - استنتاجات البحث :

من أبرز النتائج التي توصلنا اليها من خلال الدراسة الميدانية وتحليل البيانات الخاصة بعينة البحث من النساء العاملات ومن الرجال العاملين ما يلي :-

- ١ - ظهر ان وسيط اعمار مفردات مجتمع البحث ٢٦ر٦٦ سنة .
- ٢ - تميل المرأة الى العمل في الوظائف الرسمية أكثر من المجالات الاقتصادية الاخرى ، لكونها توفر استقرارا وضمانا للمرأة .
- ٣ - يوجد تجانس بين عينة النساء من العاملات وعينة الازواج من المبحوثين في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

٤ - تسهم غالبية المبحوثات بمدخولاتهن الشهرية للانفاق على الاسرة واحتياجاتها المادية .

٥ - يمثل الدافع الاقتصادي أهم الدوافع لعمل المرأة ، حيث تعمل بدافع اقتصادي بالنسبة لـ ٥٢٪ من عينة المبحوثات والدافع الاجتماعي بالنسبة لـ ٣٤٪ من عينة المبحوثات والدافع النفسي بالنسبة لـ ٩٪ من العينة .

٦ - غالبية النساء من المبحوثات يفضلن الاستمرار في العمل الانتاجي وذلك بالنسبة لـ ٧٦٪ من العينة ، وهذا يعني عدم وجود صعوبات بالنسبة للمرأة العاملة .

٧ - ٧٢٪ من المبحوثات لا يجدن تعارض بين الدورين للمرأة الدور المنزلي والدور الانتاجي ، و ٢٨٪ يعتقدن بوجود تعارض بين الدورين .

٨ - يتقبل الزوج فكرة مساعدة الزوجة في الشؤون المنزلية بالنسبة لـ ٥٩٪ من مفردات العينة .

٩ - يتقبل الزوج فكرة مشاركة المرأة باتخاذ القرارات الخاصة بشؤون الأسرة بنسبة ٨٤٪ من عينة البحث ، و ١٦٪ يرفض الزوج ذلك .

١٠ - لم يسبب عمل المرأة خلافات أسرية بالنسبة لـ ٧١٪ من عينة المبحوثات ، وبسبب خلافات اسرية بالنسبة لـ ٢٩٪ من عينة المبحوثات .

١١ - ٣٣٪ من المبحوثات يعتقدن ان نظرة المجتمع ايجابية بالنسبة لعمل المرأة و ٥٦٪ نظرة اعتيادية و ١١٪ يعتقدن ان نظرة المجتمع لا تزال نظرة سلبية بالنسبة لعمل المرأة .

١٢- ٥٢٪ من العينة يعتقدون ان نظرة الرجل ايجابية لعمل المرأة و٣٣٪

منهن يعتقدن انها اعتيادية ، و١٥٪ يعتقدن انها سلبية .

١٣- ٤٧٥٪ من العينة يعتقدون ان نظرة المرأة ايجابية بالنسبة لعمل

المرأة و٤٧٥٪ من العينة يعتقدون انها اعتيادية و٥٪ يعتقدن انها

سلبية .

١٤- ٨٠٪ من عينة الرجال يعتقدون ان مجال التعليم هو الافضل بالنسبة

لعمل المرأة ، و١٠٪ يعتقدون ان المرأة يمكن ان تعمل في المجالات

الاقتصادية كافة و١٠٪ يفضلون الاعمال الحرة أو الوظائف

الرسمية .

١٥- ٥٠٪ من عينة الرجال يعتقدون بوجود تعارض بين عمل المرأة

الانتاجي وعملها المنزلي ، و٣٨٪ يعتقدون ان هنالك تعارضا احيانا

و١٢٪ لا يرى وجود تعارض .

التحليل الزماني - المكاني لأمراض الطفل في العراق

دراسة في الجغرافية الطبية

الدكتور محسن عبدالصاحب المظفر

الاستاذ المساعد

كلية الآداب - جامعة القادسية

المقدمة :

مبررات الاختيار :

الأطفال يمثلون اعداداً كبيرة من السكان وهم قاعدة الهرم السكاني لكل مجتمع حيث تتركز عليها اعداد الفئات العمرية الشابة . والأطفال بحاجة الى العناية بما يتناسب مع عددهم الكبير الذي يؤلف نسبة من المجتمع ترك آثارها البالغة على تكوينه الاجتماعي والثقافي والفكري . ولذلك فهم يحتاجون الى الرعاية بما يتناسب مع حجمهم .

والأطفال يؤلفون عبئاً على الفئة العائلة ، ولذلك فإن تعرضهم الى مشكلات صحية يزيد من اعباء تلك الفئة وابعاء المجتمع ككل ، وعليه يتطلب الاهتمام الخاص بحل مشاكل الأطفال وتوفير الحد الأدنى على الأقل من مقومات الحياة الطبيعية لهم .

ان احتساب الأطفال يمكن ان يؤخذ على أساس الافتراض بأنهم يشملون كافة السكان بعمر ١٤ سنة وأقل وهو (التعريف القانوني والتربوي للطفل) .

مشكلة البحث :

يحدد الباحث مشكلة بحثه على أساس مجموعة أسئلة تتطلب

الاجابة عنها : ما هي مشكلة الأطفال ومهمّ يعانون؟! فإن هم يعانون من مشكلة الموت في الأشهر الاولى وادنى من ذلك او هم يعانون من أمراض خاصة بهم تسمى بامراض الطفولة فما هي الاسس التي تتوجب تهيأتها لمعالجة الموقف فيما يختص بالأم والطفل معاً؟! هل هناك عوامل باثولوجية وجغرافية معينة تعمل على خلق بيئة لتوالد وانتشار أمراض الطفولة؟!!

كل هذه الامثلة يجيب عنها هذا البحث في معالجة جغرافية (زمانية مكانية) ، (Spatial - Temporal Analysis) لأمراض الطفل في العراق ، ولذلك انتهج البحث خطواته بـ :

- ١ - التعريف بأمراض الطفل التي ركز عليها البحث مع الاشارة الى الأمراض الاخرى التي تصيب الاطفال .
- ٢ - اصالة العرب بطب الأطفال ومدى معرفتهم بأمراض الطفولة .
- ٣ - التركيب العمري للسكان المصاب بأمراض الطفولة .
- ٤ - التغير بأمراض الطفولة بحسب الفصول .
- ٥ - التوزيع المكاني لأمراض الطفولة في العراق .
- ٦ - العوامل الجغرافية البيئية المسببة والمؤثرة في نشأة امراض الطفولة .
- ٧ - المؤشرات الصحية المتعلقة بأمراض الطفولة .

وقد اعتمد الباحث في قياسه لحل مشكلة البحث على وحدات احصائية هي :

- ١ - اتخاذ عدد الاصابات لكل مائة الف من السكان في كل محافظة للفترة ٧١ - ١٩٨٤ على اساس المعدل لكل سنة تخلصا من الارقام المطلقة .

- ٢ - اعتماد الفئات العمرية في توزيع الاصابات وعلى أساس معدل كل

فئة عمرية للفترة ٧١-١٩٨٤ • واعتماد الاصابات لكل شهر ولذات الفترة •

٣ - اتخاذ الوسط الحسابي للقيم وانحراف القيم عن وسطها لكل مرض بغية التوزيع السكاني للكشف عن الاختلاف في هذا التوزيع •

٤ - اعتماد اختيار مربع كاي χ^2 لتحديد طبيعة العلاقة بين الاصابات والمؤشرات المختارة المختلفة ثم علاقتها بظهور أقاليم متشابهة أو ذات توافق مرضي وتوافق في مؤشرات الصحة •

كل ذلك من أجل تحليل المعطيات الرقمية التي حصل عليها الباحث من مصادرها الأساسية ولتوثيق المعطيات ورفع مستوى الثقة قام الباحث بدراسة ميدانية واجراء مقابلات شخصية مع المعنيين في شؤون طب الأطفال ومراجعة مختلف المصادر القديمة والحديثة •• وقد اختار الباحث الفترة ٧١ - ١٩٨٤ حيث ان المعطيات الرقمية والمعلومات المتوفرة تمثل فترة غير قصيرة وهي أكثر نسقاً تجعل من البحث وحدة متكاملة أكثر موضوعية ، ومع هذا اعترضت الباحث مشكلة الاحصاءات بحسب المحافظات لسبب اختلاف التقسيم الاداري خلال هذه الفترة ، وقد ذلل الباحث هذه المشكلة بتجزأة الاحصاءات بحسب الأتضية وأحيانا النواحي ثم جمعها وتوزيعها على أساس التقسيم الاداري للمحافظات الأخير •

التعريف بأمراض الطفولة (Diseases of Childhood)

يصاب الأطفال بمختلف الأمراض السارية ، كما يصاب بالاسهالات الصيفية تلك الاسهالات المسؤولة عن موت نصف الأطفال خلال السنة الأولى من العمر كما يصاب بأمراض الجهاز التنفسي ، فالأطفال أكثر استعدادا للاصابة بمرض السل وبخاصة أولئك الذين تقل أعمارهم عن ثلاث سنوات ، وهنا ينصح بأعطاء اللقاح الواقي (BCG) في الاسبوع

الاول من الولادة ، ثم ترتفع المناعة ابتداء من سن دخوله المدرسة .
ويصاب الاطفال بالحميات المختلفة والكلأ ازار وبأمراض سوء التغذية ،
والنزلات المعوية ، وان مجموعة أمراض سوء التغذية والنزلات والالتهابات
الصدرية تؤلف بمجموعها وحدة متكاملة ذات علاقة متداخلة كل منها
قد يؤدي الى الآخر ، وهي منتشرة بين الاطفال تؤدي الى وفاتهم المبكرة .

وان كانت قد اختفت تقريبا بعض الأمراض الوبائية عن جهات
كثيرة من العالم ، فإن اوبئة الأمراض البسيطة (شديدة العدوى) هي
الاكثر شيوعا كالحصبة Measles ، والجديري ، والحمى القرمزية
(Scarlet F.) والسعال الديكي Whooping cough ، والدفتريا
Chicken pox ، وشلل الاطفال Poliomyelitis والكزاز
Tetanus . هكذا اختار الباحث سبعة أمراض عرفت بأمراض

الطفولة .

ان من السمات المميزة لأمراض الطفولة أنها لا تهاجم الشخص
مرتين لأن في أثناء فترة المرض تكون أنسجة الجسم المادة المضادة
(Antibody) وان هذه المادة المضادة قاتلة للميكروبات المهاجمة ،
كما ان قليلا منها يبقى في الجسم طيلة العمر بحيث تبيد أية ميكروبات
من نفس النوع تحاول التسلل الى نفس الشخص . وهذا من حسن حظ
الآباء لأنهم يقومون بتمريض أبنائهم دون ان يخشوا العدوى ،
وان التطعيم Vaccination يدفع أجهزة الجسم لتصنع مضادات الى
نفس المرض الذي طعم ضده ، ويصبح الطفل محصن (Immune)
من المرض .

وتجدر الاشارة المقتضية الى طبيعة كل نوع من أنواع الأمراض
السبعة التي يتناولها البحث :

١ - الحصبة :

هي أكثر أمراض الطفولة انتشاراً يسببها فيروس شديد العدوى تبلغ فترة حضائه ١٠ - ١١ يوماً وأحياناً تطول إلى ثلاثة أسابيع ، وتنقل عدوى الحصبة عن طريق الرذاذ المتطاير ، وعن طريق الهواء والمجاري التنفسية .

٢ - الحمى انقرمزية :

تسببه الجراثيم السبجية الأدمائية (Haemolytic) وهي تنتشر في الرذاذ في الهواء وفي الطعام والمناديل وبعض الأشياء الأخرى ، وعندما تدخل الجسم تستقر في الحلق وبعد حضائه ثلاثة أيام تسبب التهاباً في الحلق واللوزتين ويعزى الطفح إلى اسم (Toxin) الجراثيم الذي تفرزه في الجسم ويسبب توسع في أوعية الجلد فيكتسب الجلد لذلك اللون القرمزي وقد قل تأثير الحمى القرمزية في الوقت الحاضر بسبب المضادات .

٣ - جدري الأطفال :

يشبه الجدري الخطير الذي ينتشر على الوجه واليدين والجدري ينتشر بغزارة على الجسم . دور حضائه المكروب ١٤ - ١٦ يوماً .

٤ - الدفتريا :

تتميز بظهور غشاء فوق الغشاء المخاطي المبطن للبطن للجزء العلوي من الجهاز التنفسي ، تسببه بكتريا الدفتريا . وهي معدية تنتشر عن طريق الاحتكاك بالمصابين أو عن طريق رذاذهم ، وأعراضها حرارة مع صداع وإرهاق والتهاب الحلق مع صعوبة في البلع .

٥ - السعال الديكي :

تسببه جرثومة بوردية جنجو وذلك إشارة إلى العاملين الذين

اكتشفها سنة ١٩٠٦م وهو مرض مرعج ، وحضاته بين ٥ ، ١٥ يوم
وهو يصيب الأطفال تحت سن الخامسة •

٦ - شلل الاطفال :

يظهر بتلوث أغذية الأطفال بالفيروسات وعن طريق الفم أو عن طريق
حامل المرض أو بالذباب وعن طريق الجهاز التنفسي بقطرات الرذاذ •
دور الحضنة ٧ - ١٤ يوم تسبق المرض حالات صداع وعدم شهية وقيء
واسهال ويظهر الشلل بالاطراف في الاغلب وتشمل حالات الشلل ،
شلل العمود الفقري ، وشلل المثانة ، وشلل النخاع المستطيل •

٧ - الكزاز :

يتسبب عن دخول جرثومة الكزاز الى الجروح وهناك الكزاز
الولادي بتلوث السرة • ودورة حضنة المكروب (٥ - ١٤ يوما) •
معرفة العرب بأمراض الطفل وعلاجها :

ورد في طب الاطفال ببلاد ما بين النهرين ، بأنه نشر لابلات كتابا
يحتوي على أربع متسلسلات مجموعها أربعين رقما لكل منها عنوان وهي
تحدث عن مختلف الأمراض ، خصص القسم الثالث منها عن الأطفال
وأمرضهم وتطبيهم ، وخصص القسم الخامس من الكتاب عن المرأة وعن
أمراضها ويتألف من عشرة ألواح لم يعثر سوى على ثلاثة منها^(١) •

وان الرازي أول من فصل بين طب الطفل والأمراض النسائية ،
والف رسالة في طب الاطفال سنة ٩٠٠م وقد تناول فيه طب الأطفال
بوجه عام •

وكذلك كتب أحمد بن محمد الطبري عن علل الاطفال ، ويبدو
ان كتاب ابن الجزار القيرواني حوالي سنة ٩٨٤م (سياسة الصبيان
وتدبيرهم) هو اكمل تأليف مطبوع في طب الاطفال بالنسبة للأطباء

العرب ، وكذلك كتاب أحمد بن محمد البلدي وهو بعنوان (تدبير الحبالى والمولودين)^(١) وكذلك كتب عريب بن سعيد القرطبي وأبو القاسم الزهراوي وابن سينا عن الامومة والطفولة^(٢) .

اما عن امراض الاطفال فقد كتب الاطباء العرب الكثير ، اذ كتب الرازي عن امراض الامعاء والمعدة عند الاطفال وكتب عريب بن سعيد القرطبي وابن سينا عن الديدان عند الاطفال . اما امراض الجهاز التنفسي عند الاطفال فقد تناولها أطباء عرب كثيرون ، منهم عريب والرازي والجزار وابن سينا والطبري ، اما الجهاز العصبي والحركي وابولي وانتاسلي ، فقد كتب عنها الجزار وابن سينا^(٣) .

وكتب عن الأمراض المعدية التي تصيب الأطفال عدة اطباء عرب منهم الرازي الذي كتب عن الشلل ويقول في ذلك : « يحدث الشلل في الاطفال اما في طرف واحد أو في الجسم كله وتمنع الطفل من المشي أو أي نوع من الحركة ، ويحدث من سبب رطوبة لطيفة تشل العصب . . » ، ووصف الرازي في مواضع كثيرة من كتابه الحاوي عن حالات الشلل وأسباب وطرق تداويه^(٤) .

وكتب الطبري عن الكزاز الذي يصيب الأطفال وقال : « يحدث في افهام الصبيان عله تعرف بالأصطكاك . . . » وهو ان يسطك أسنانه ويبرز عيناه وفي سائر بدنه شبيه بالاختلاج ، ولم ارَ طفلاً حدثت به هذه العلة ونجا منها . . ذلك هو الكزاز لا يكاد يحدث هذا بالطفل الا اذا كانت به جراح خفيفة أو ظاهرة ،^(٥) .

واشتهر في عهد الخليفة الرشيد الطيب عيسى بن حكم الدمشقي والذي عالج الأطفال والمرضعات وتطرق للموضوع ذاته أبو زيد حنين العبادي زمن الخليفة المعتصم^(٦) .

وتناول نفس الموضوع أطباء عرب آخرون كثيرون منهم علي بن

رضوان وابن الحسن علي بن هبل البغدادي ، وعلاء الدين ابن ابي الحزم المعروف بأبن انفيس وداود الأنطاكي وغيرهم .

التحليل الزماني لأمراض الطفل في العراق

١ - الترتيب العمري للسكان المصاب بأمراض الطفولة :

يشير الجدول (١) الى النسب المئوية لمجاميع معدلات اصابات أمراض الطفولة للمدة ٧١ - ١٩٨٤ وبحسب الاعمار في العراق ، وقد كشفت النسب في الجدول المذكور عن ان الفئة العمرية من سنة الى ٤ سنوات هي الفئة التي تتعرض الى مخاطر كبيرة ، حيث تتعرض الى الدفتريا بنسبة ٤٥٫٧٪ والحصبة الى نسبة ٦٩٫٣٪ وجُدري الماء بنسبة ٦٣٫٣٪ والشلل ٦٣٪ والحمى القرمزية ٥١٫٨٪ والسعال الديكي ٦٢٫٣٪ بينما الفئتان العمريتان

جدول (١)

النسبة المئوية لمجاميع معدلات اصابات أمراض الطفولة

للمدة ١٩٧١ - ١٩٨٤ حسب الفئات العمرية (٥)

الدفتريا	الحصبة	جدري الماء				
الفئة العمرية	الاصابات	النسبة	الاصابات	النسبة	الاصابات	النسبة
	معدل سنوي	٪	معدل سنوي	٪	معدل سنوي	٪
اقل من سنة	٥٧	٦	٣١١٧	٦	٥٠٩	٥٫٨
١ - ٤	٤٢٧	٤٥٫٧	٣٥٧٨٣	٦٩٫٣	٥٥٣٤	٦٣٫٣
٥ - ٩	٢٣٨	٢٥٫٥	٩٥٨٠	١٨٫٦	٢٢٥٠	٢٥٫٧
١٠ - ١٤	٧٥	٨	٢٧٤٠	٥٫٣	٣٣٣	٣٫٨
١٥ - ١٩	٣٧	٤	١٦٠	٠٫٣	٤٨	٠٫٥

٢٠ - ٢٤	١١	١٢	٩٨	٠٢	٢٩	٠٣
٢٥ - ٤٤	٧٧	٨٢	١٠٧	٠٢٤	٤٢	٠٥
٤٥ - ٦٤	١٠	١	١٠	٠٠٥	٥	٠٠٥
٦٥ - ٧٤	٢	٠٣	١	٠٠٥	١	٠٢٥
٧٥ فأكثر	١	٠١	١	٠٠٥	١	٠٢٥
المجموع	٩٣٥	%١٠٠	٥١٥٩٧	%١٠٠	٨٧٥٢	%١٠٠

* - أعد الباحث هذا الجدول بالاعتماد على مجموعة جداول لعدة سنوات انظر :

٨ - الجمهورية العراقية ، وزارة الصحة ، مديرية الاحصاء ، البوصلة الاحصائية للاعوام ٧١-١٩٧٥ مطبعة دائرة الطباعة ، بغداد .

٩ - Republic of Iraq Ministry of Health, Medicine Statistics, for, 1970-1980.

١٠ - جداول غير مطبوعة للاعوام ١٩٨١-١٩٨٤ ، اضافة الى الدراسة الميدانية .

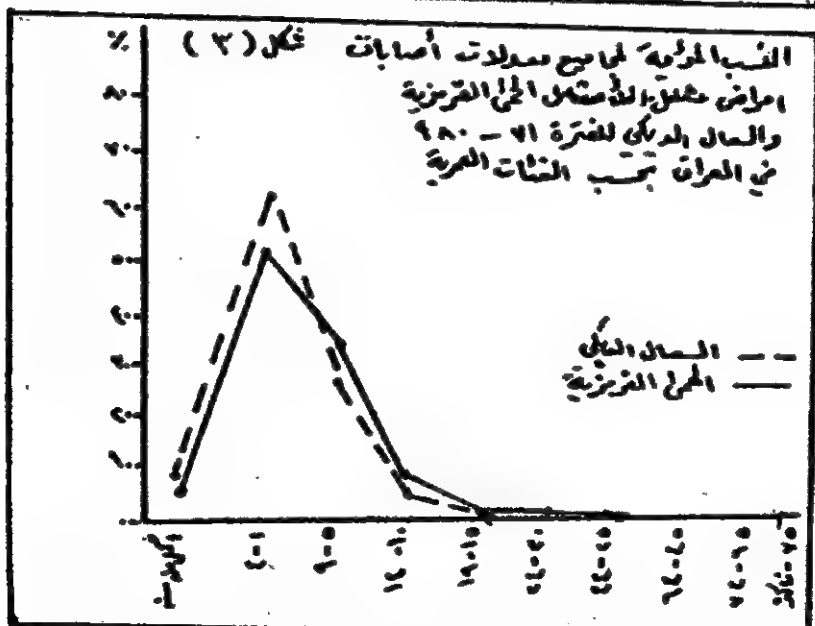
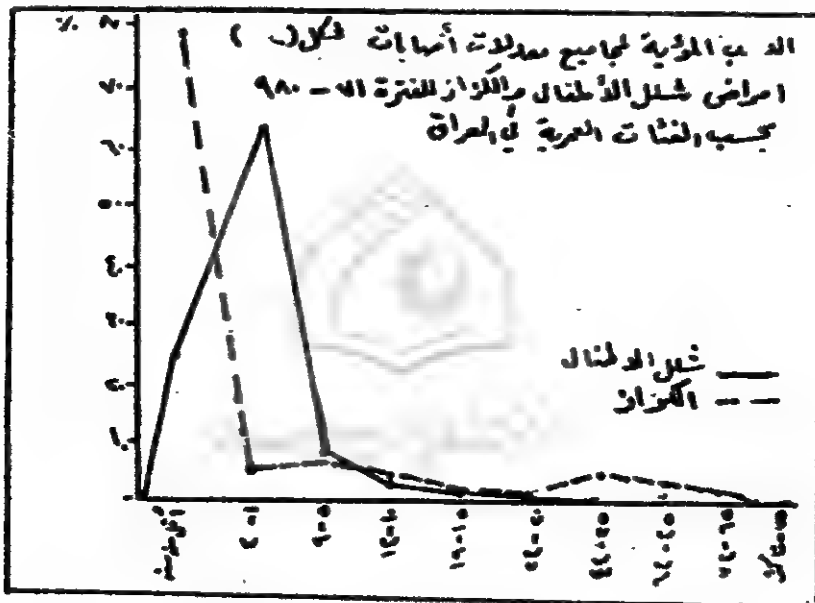
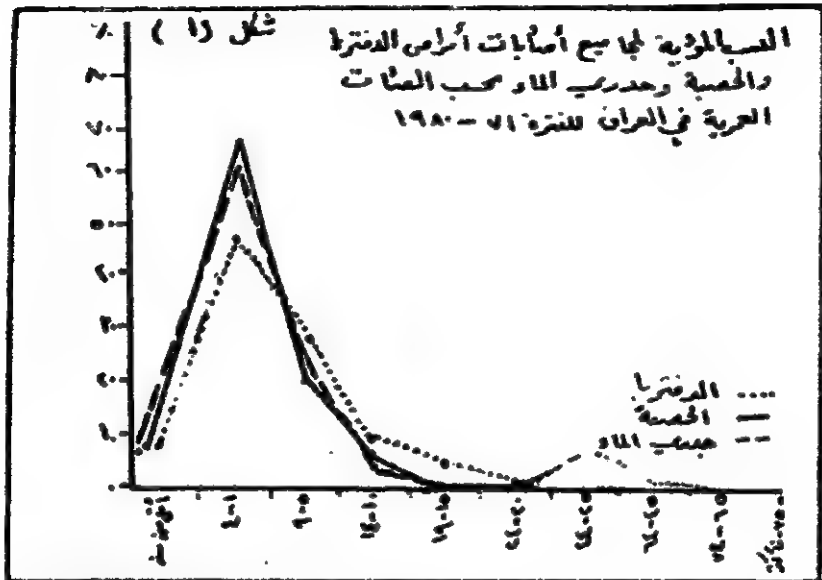
يتبع / جدول (١)

شلل الاطفال	الكزاز	الحمى القرمزية	السعال الديكي	الاصابات النسبة	الاصابات النسبة	الاصابات النسبة	الاصابات النسبة
معدل سنوي %	معدل سنوي %	معدل سنوي %	معدل سنوي %	معدل سنوي %	معدل سنوي %	معدل سنوي %	معدل سنوي %
١٨٥	٢٤٠٤	٧٢٥	٢٩٣	١١	٥	٧٢٦	٧٢٧
٤٧٧	٦٣	٣٨	٤٢	١١٥	٥١٨	٥٨٧٨	٦٢٣
٦٠	٧٩	٤٧	٥٢	٧٥	٣٣٨	٢٤١٥	٢٥٦
١٦	٢٢	٢٧	٣	١٤	٦٣	٣١٣	٣٣
٨	١١	١٢	٢	٠٩	٤٢	٠٤٤	٠٤٤

٥	٠٠٧	١٠	١	٢	٠٠٩	١٩	٠٠٢
٣	٠٠٤	٣٣٣	٣٧٧	٢	٠٠٩	٣٤	٠٠٣٦
٢	٠٠٢	١٩	٢	١	٠٠٤	٨	٠٠١
١	٠٠١	٣	٠٠٣	-	-	-	-
-	-	١	٠٠١	-	-	-	-
٧٥٧	%١٠٠	٩١٤	%١٠٠	٢٢٢	%١٠٠	٩٤٣٥	%١٠٠

أقل من سنة و ٥ - ٩ سنة تتعرض هي الأخرى الى هذه الأمراض بدرجة أقل، ولكن الفئة العمرية أقل من سنة تصاب بالكزاز بنسبة عالية تصل الى ٣٧٩٪ بينما تصاب به الفئتان ١ - ٤ سنة ، و ٥ - ٩ سنة بنسبة قليلة تصل الى ١٤٢٪ و ٥٢٪ على التوالي . اما الفئة العمرية الرابعة ١٠ - ١٤ سنة والتي تهم البحث كونها تصاب بأمراض الطفولة أيضاً ولأنها تمثل المرحلة الانتقالية الى مرحلة ما بعد الطفولة ، فتصاب بالأمراض التي أشار اليها الجدول (١) بنسبة قليلة ، بالدفتريا ٨٪ وبالحصبة ٥٣٪ وبالجذري ٣٨٪ وبالشلل ٢٢٪ وبالكزاز ٣٪ وبالحمى القرمزية ٦٣٪ وبالسعال الديكي بنسبة ٣٣٪ . ثم تهبط هذه النسب الى درجة كبيرة في الفئات العمرية الأخرى أو فئات ما بعد الطفولة .

ان تفحصا بسيطا للجدول (١) والأشكال (١ - ٣) يغني عن أي تعليق لأنها تعطي فكرة متكاملة عن تركيزات الأمراض المنصوص عليها في الفئة العمرية ١ - ٤ سنة وبدرجة أقل في الفئة العمرية أقل من سنة ويؤكد هنا أيضاً ان الأمراض السبعة المبحوثة هي أمراض الطفولة حقاً لا تصيب الكبار الا قليلا عندما لم يسعفهم الحظ للتوقي منها باللقاح . ويتأكد ان الاهتمام يجب ان يكرس في الفئة العمرية أقل من سنة بغية التوقي والابتعاد عن الإصابة بالأمراض عند نموهم ووصولهم الى الفئة العمرية ١ - ٤ سنة . ولحماية الأطفال أقل من سنة وبخاصة فيما يتصل بالكزاز يتوجب وجود



غذية مركزة للأم والتوليد والطفل الوليد •

٢ - التغير الفصلي للاصابة بأمراض الطفولة :

الجدول (٢) والاشكال (٤ - ٧) تظهر ان أمراض الطفولة حادثة في جميع أشهر السنة ولكن عدد الاصابات بها يتفاوت باختلاف فصول السنة ، فالدفتريا تظهر لها قمة من الزيادة في فصل الشتاء ابتداء من اشهر الخريف بينما تتخفض نسبيا حوادث الاصابات في أشهر الصيف هذا اشارة الى ان مسبب المرض يجد له الظروف المناسب المنشط علاوة على الظروف الشتوي المساعد على سريانه من المصابين الى الأصحاء •

بينما الحصبة وجدرى الماء تظهر لكل منهما قمة من الزيادة في الربيع واولائل الصيف في أشهر مارت ونيسان ومايس وحزيران ، مما يؤكد تأثير التحول في ظروف المناخ في الانتقال الفصلي من الشتاء الى الصيف فالمسبب يجد له ظرفا منسبطا ، وضحيته اقل قدرة على المقاومة وان الرياح والانتشار يمكنان من سرعة سريان المرض •

وتظهر لشلل الأطفال قمة في أشهر مارت ونيسان ومايس وحزيران ابتداءً من الربيع حتى أوائل الصيف وتقل الاصابات بالشلل في أشهر الشتاء شكل (٦) • بينما الكزاز تزداد الاصابات به في أواخر الشتاء وأوائل الربيع وتقل الاصابات بالكزاز في أشهر الصيف •

جدول (٢)

النسب المئوية لمجاميع معدلات اصابات أمراض الطفولة

للمدة ٧١ - ١٩٨٤ بحسب الأشهر في العراق (١٤)

الأشهر	الدفتريا	الحصبة	جدرى الماء			
المعدل	النسبة	المعدل	النسبة	المعدل	النسبة	
	%		%		%	
كانون ٢	١٠٤	١١	٣٧٧٦	٧٥٦	٣٧٩	٧٥٤

٩٢٤	٤٨٠	٨٢٤	٤١٣٩	٨	٧٦	شباط
١٢٢٥	٦٤١	١٢	٥٩٣٢	٨٢٤	٨٠	مارت
١٩٢٦	١٠٠٦	١٤	٦٩٤٩	٥٢٨	٥٥	نيسان
٢٠	١٠٢٦	١٥٢٢	٧٥٤٢	٥	٤٨	مايس
١٠٢١	٥٢١	١٢	٥٩٧٩	٥٢٤٤	٥١	حزيران
٤٢٨	٢٤٦	٧٢٩	٣٩٠٥	٥٢٦	٥٣	تموز
٢٢٨	١٤٤	٤٢٨	٢٣٥١	٦٢٢	٥٩	آب
١٢٤	٦٩	٣٢٣	١٦٠٠	٨٢٢	٧٨	ايلول
١٢٧	٨٨	٣٢٥	١٧٤٥	١١٢٤	١٠٩	تشرين اول
٣٢٨	١٩٧	٥	٢٥١٨	١٢٢٨	١٢٢	تشرين ٢
٦٢٥	٣٣١	٦٢٣	٣١٧٥	١٢٢٢	١١٦	كانون اول
%١٠٠	٥١٢٦	%١٠٠	٤٩٦١١	%١٠٠	٩٥١	المجموع

الشتاء الربيع واوائل الصيف الربيع واوائل الصيف

المصدر : اعد الباحث هذا الجدول بالاعتماد على مجموعة من الجداول
لعدة سنوات •

١١- أ - الجمهورية العراقية ، وزارة الصحة ، مديرية الاحصاء ،
المصدر السابق •

ب -

B. Repu. of Iraq, Directorate General preventive
Medicine Statistics, op. cit. p. 84.

ج - جداول غير مطبوعة ، مصدر سابق

يتبع / جدول (٢)

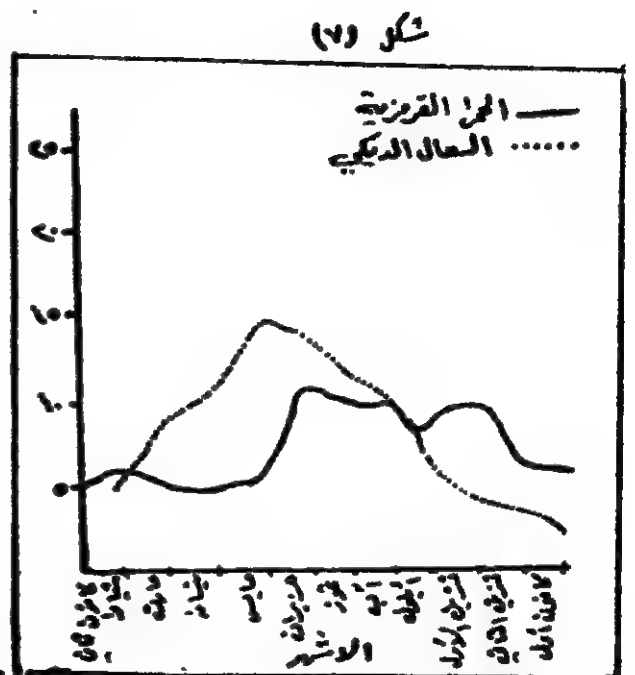
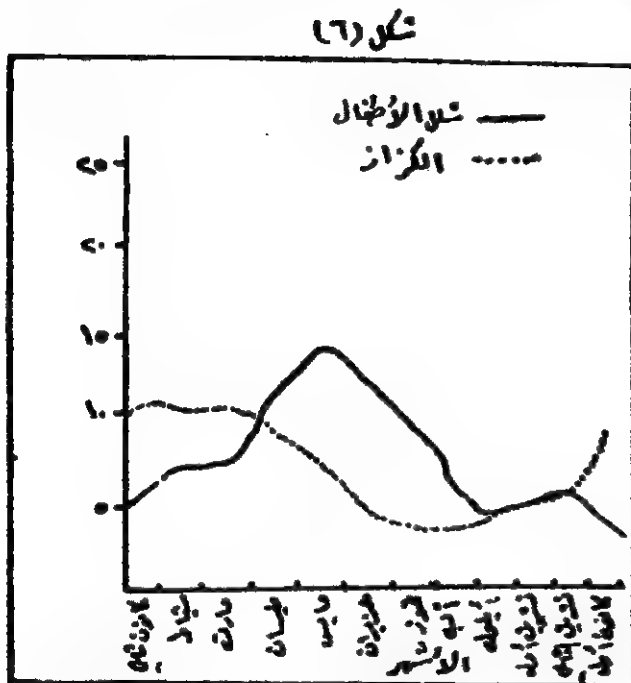
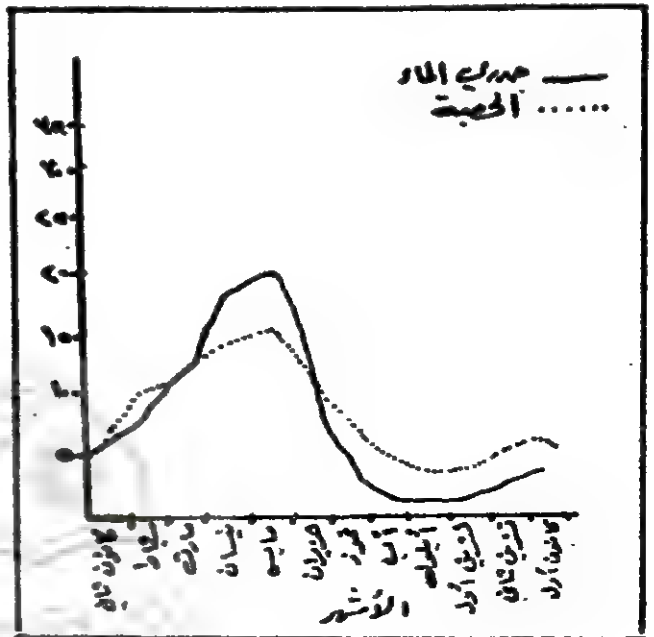
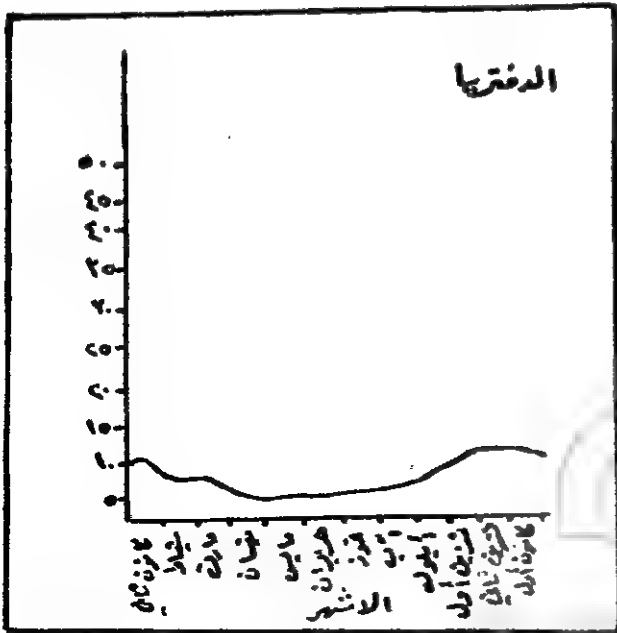
شابل الاطفال الكزاز الحمى القرمزية السعال الديكي

المعدل	النسبة	المعدل	النسبة	المعدل	النسبة	المعدل	النسبة
	%		%		%		%
٤٥	٦٠١	١١٢	١٢٠٤	١٦	٧٠٧	٥٠٧	٥٠٣
٥٩	٨	٩٧	١٠٠٩	١٣	٦٠٢	٨٦٣	٩
٦٢	٨٠٥	٩٢	١٠٠٣	١٢	٥٠٧	١٢١٧	١٣٠٣
٨٣	١١٠٤	٨٢	٩٠٢	١٥	٧٠١	١٤٢٩	١٥
١٠٤	١٤٠٢	٦٧	٧٠٥	٢٣	١١	١٣٥٠	١٤٠٢
٨٨	١٢	٥١	٥٠٧	٢١	١٠	١١٩٣	١٢٠٤
٦٢	٨٠٥	٥٠	٥٠٦	٢٢	١٠	٩٦٧	١٠
٥٠	٦٠٨	٥٣	٥٠٩	١٨	٨٠٦	٦٧٢	٧
٣٨	٥٠٢	٦٠	٦٠٧	٢٢	١٠٠٦	٤١٩	٤٠٤
٤٨	٦٠٦	٦٦	٧٠٤	٢٠	٩٠٧	٣٣٢	٣٠٤
٥٤	٧٠٣	٦٢	٧	١٣	٦٠٢	٢٩٢	٣
٣٩	٥٠٤	١٠٣	١١٠٤	١٤	٦٠٦	٣٠٨	٣٠٣
٧٣٢	%١٠٠	٨٩٥	١٠٠	٢٠٩	%١٠٠	٩٥٤٩	%١٠٠

الربيع وأوائل الصيف أواخر الشتاء الصيف الربيع وأوائل الصيف وأوائل الربيع

وتظهر قمة الحمى القرمزية في أشهر الربيع وأوائل الصيف وتنخفض الاصابات الى حد كبير في أشهر الشتاء • بينما تظهر للسعال الديكي قمة عريضة تبدأ من نيسان لتشمل أشهر الصيف وأوائل الخريف •

١٠
 النسب المئوية لمجموع معدلات أصابات أمراض الطفولة للمدة ١٩٨٤-٧١
 حسب الأشهر في العراق
 شكل (٥) شكل (٤)



اختلاف القيم الممثلة للمعدلات العالية في الاصابات يكشف عن اختلاف نشاط المسببات المرضية بعضها ينشط عند التحول المناخي وآخر ينشط في الصيف وثالث ينشط في أشهر الشتاء ، مما يؤكد ان الطفل يتعرض لأمراض الطفولة في كل أشهر السنة ولكن بدرجات متفاوتة من حيث شدة لانتشار وقلته .

التوزيع المكاني لأمراض الطفولة في العراق :

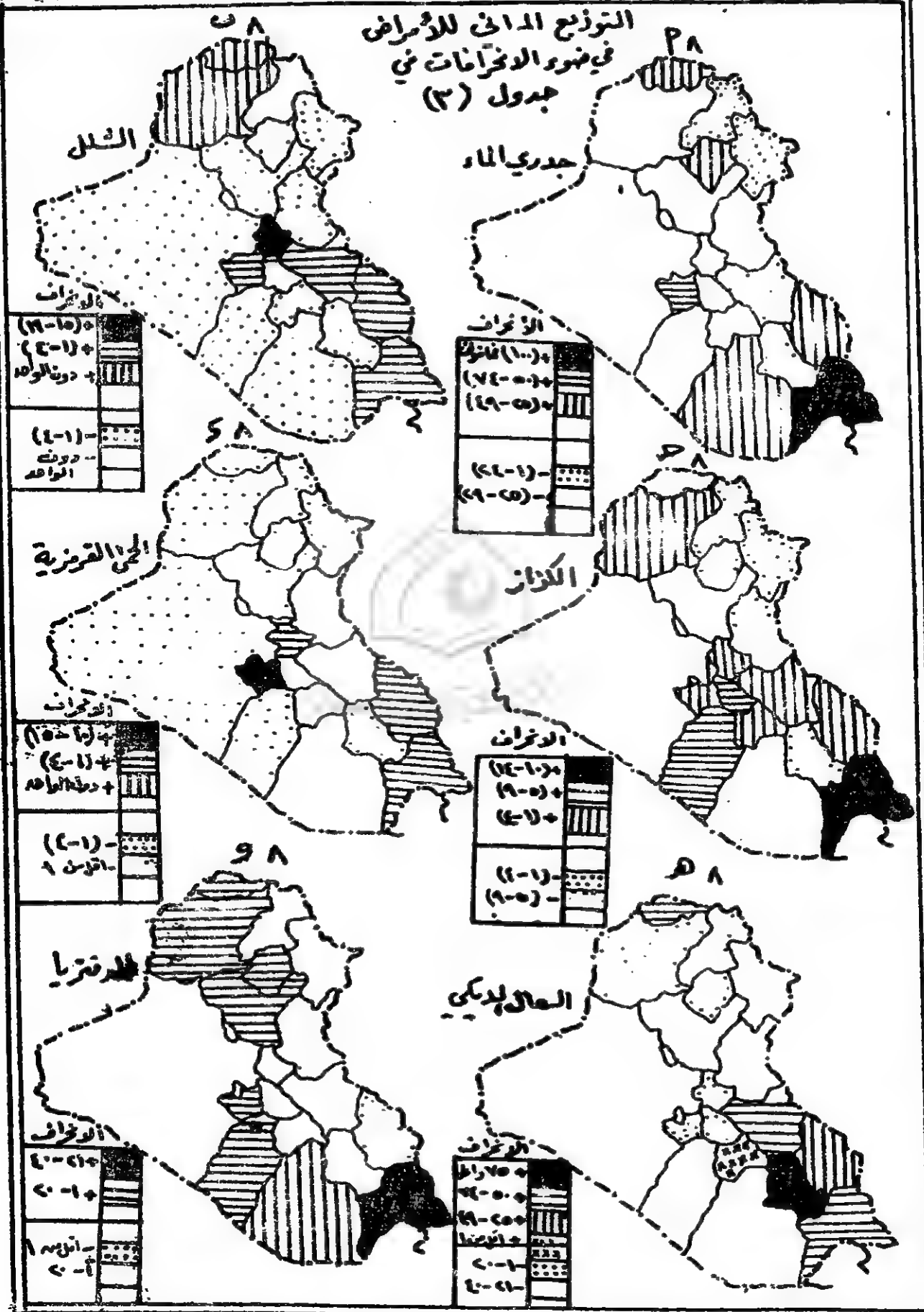
تم التوزيع المكاني لأمراض الطفولة على أساس عدد الاصابات لكل مائة الف من السكان ثم المعدل العام لاصابات كل مرض والانحراف الموجب والسالب عن هذا المعدل بحسب المحافظات وللفترة (٧١ - ١٩٨٤) .

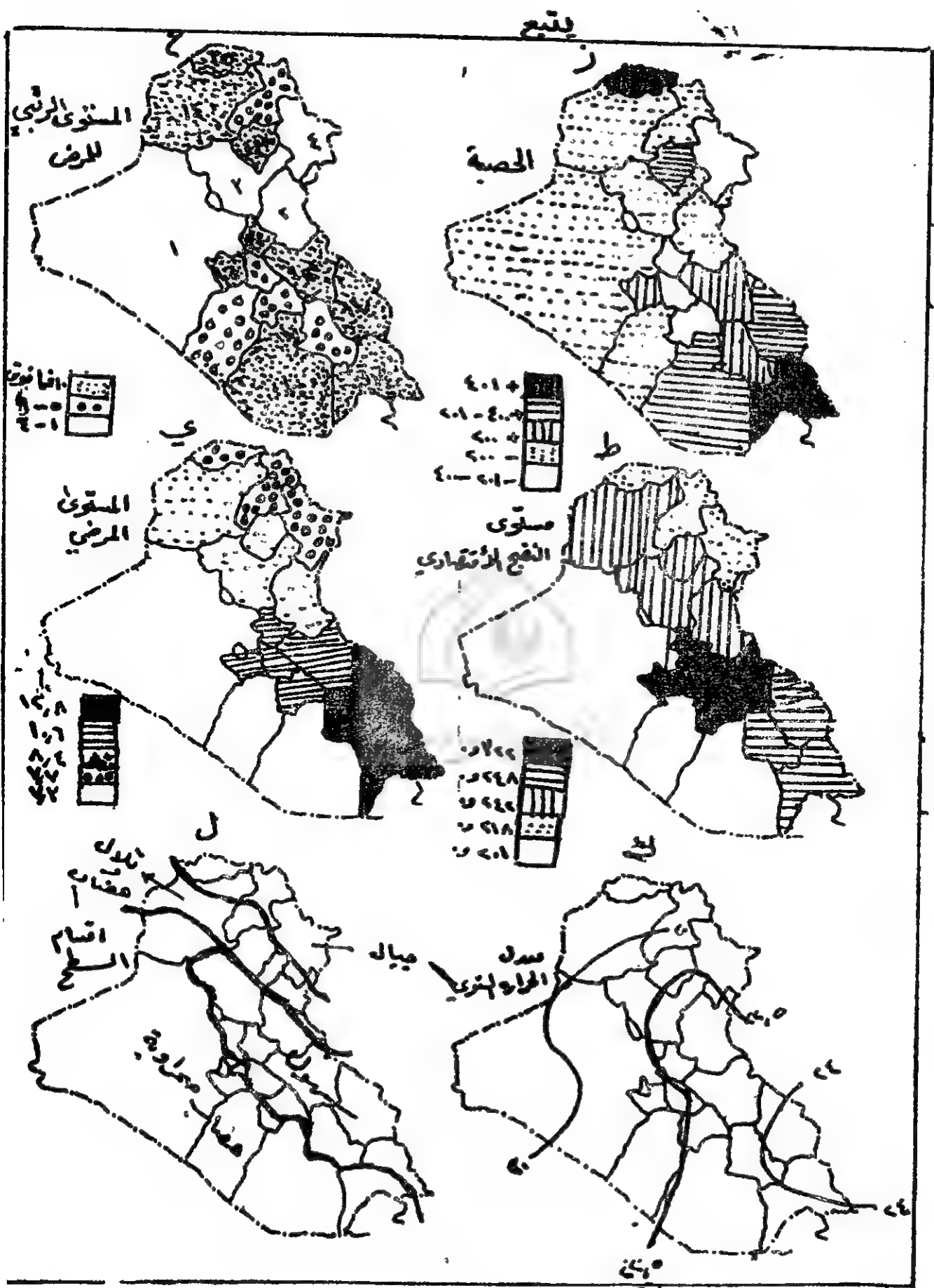
وعليه يظهر اجدول (٣) والشكل (٨أ) وبقياس الانحراف عن المعدل العام حالة التركزات لمرضى جذري الماء . فالبصرة تؤلف بؤرة رئيسية لهذا المرض فهي تنحرف انحرافا موجبا بمقدار (١٦٨ر٢) تليها كربلاء بالمرتبة الثانية أو تنحرف اصاباتهما انحرافا موجبا مقداره (٥٥ر٦) ثم تأتي محافظات التأميم وميسان والثنى ودهوك بالدرجة الثالثة . بينما تنحرف اصابات المرض في محافظات السليمانية وذي قار وواسط وبابل وأربيل ونيوى وبغداد انحرافا سالباً بمقدار (١ - ٢٤) وتنحرف اصابات محافظات صلاح الدين والنجف والانبار وديالى والقادسية انحرافا سالباً يتراوح (ما بين ٢٥ - ٢٩) .

كما يظهر الجدول (٣) والشكل (٨ب) التوزيع الجغرافي لاصابات الشلل في العراق وعلى أساس المحافظات وبدت بغداد تسجل المحافظة الاعلى في درجة الانحراف الموجب عن المعدل العام وهي (+ ٢٠) تليها محافظات البصرة وميسان وواسط وكربلاء بينما تؤلف محافظتا نيوى ودهوك المرتبة الثالثة بالانحراف الموجب عن المعدل العام . بينما سجلت

شكل (٨)

التوزيع المكاني للأمراض
في ضوء الاختلافات في
جدول (٣)





جدول (٣)

عدد الاصابات لكل مائة الف من السدان في كل محافظة مع الانحرافات

عن المعدل العم لاصبات كل مرض للعدة ١٩٧١ - ١٩٨٤

المحفظات جدري الماء (ا) اشلل (ب) الكزاز (ج)

الاصابات	الانحراف	الاصابات	الانحراف	الاصابات	الانحراف
بغداد	٣٧٥ - ١٣٥٩	٢٠ + ١٦٣	٨٧ + ١٩		
البصرة	١٦٨٢ + ١١٦٨	٧٩ + ٤٢	١٩٤ + ١٢٦		
نينوى	٣٧٣ - ١٤١	٤٣ + ٠٦	١١٢ + ٤٤		
دهوك	٨٥ + ٣٣٦	٤٣ + ٠٦	١٥ - ٥٣		
ميسان	٨٢ + ٣٠٦	٧٢ + ٣٥	٨٢ + ١٤		
اربيل	٥٥٩ - ٤٥	٢٩ - ٠٨	٥٣ - ١٥		
القادسية	١٦٧ - ٣٤٧	٠٧ - ٣	٨٣ + ١٥		
المتنى	٧٧ + ٢٥٦	٠٩ - ٢٨	١٨ - ٥		
ديالى	٩٩ - ٤١٥	٠٣ - ٣٢٤	٢ - ٤٨		
الانبار	١٢٤ - ٣٩	٠٢ - ٣٥	١٥ - ٥٣		
بابل	٣٢٣ - ١٩١	٠٦ - ٣١	١٣٨ + ٧		
كربلاء	١٠٧ + ٥٥٦	٥٢ + ١٥	١٠ + ٣٢		
التأميم	٨١١ + ٢٩٧	١٢ - ٢٥	٥ - ١٨		
واسط	٣٤٩ - ١٦٥	٧٥ + ٣٨	٨١ + ١٣		
ذي قار	٣٧٤ - ١٤	٠٤ - ٣٣	٤٨ - ٢		
السليمانية	٢٩ - ٢٢٤	١٣ - ٢٤	٢٢ - ٤٦		
النجف	٨٩ - ٤٢٥	١٢ - ٢٥	١٢ + ٥٢		
صلاح الدين	١٣١ - ٣٨٣	١ - ٢٧	صفر	صفر	
المجموع	٩٢٥٦	٦٧١	١٢١٦		
المعدل العام	٥١٤	٣٧	٦٨		

يتبع / جدول (٣)

الحمى القرمزية (د) السعال الديكي (هـ) الدفتريا (و) الحصبة (ز)
الاصابات الانحراف الاصابت الانحراف الاصابات الانحراف الاصابات الانحراف

٢٣١ر١ - ٢٧٦	٤٢٣ - ٧٥	٣٠ر٨ - ٣٠	٠ر١ - ١ر٨
٤٠٣ر٣ + ١٩٠ر٤	٣٠ر٩ + ٤٢ر٧	٦٠ر٦ + ١٢١ر٤	١ر٢ + ٣ر١
٩٠ر٢ - ٤١٦ر٩	١١ + ٢٢ر٨	١ر٣ - ٥٩ر٤	١ر٤ - ٠ر٥
٤٢٣ر٩ + ٩٣١	٦ر٩ + ١٨ر٧	٥٠ر٥ + ١١١ر٣	١ر٥ - ٠ر٤
٣٣٢ر٩ + ٨٤٠	٠ر٥ - ١١ر٣	٣٣ر٢ + ٩٤	٢ر٧ + ٤ر٦
١٩٢ر١ - ٣١٥	٦ر٣ - ٥ر٥	٣ر٩ - ٥٦ر٧	١ر٧ - ٠ر٢
٢٢٧ر١ - ٢٨٠	٦ر٧ - ٥ر٢	٠ر٩ + ٦١ر٧	٠ر٤ + ٢ر٣
٢٢٨ر٩ + ٧٣٦	٠ر٣ + ١١ر٥	٢٥ر٨ - ٣٤ر٩	٠ر٥ - ١ر٤
١٢٧ر١ - ٣٨٠	١١ر٤ - ٠ر٤	٣٧ر٩ - ٢٢ر٩	- -
١٩٧ر١ - ٣١٠	٩ر٤ - ٢ر٤	٤٤ر١ - ١٦ر٧	١ر٧ - ٠ر٢
٥٢ر١ - ٤٥٠	٨ر٨ - ٣	١٧ر٨ - ٤٣	٠ر٤ - ١ر٥
٦٥ر٩ + ٥٧٣	١	١٣ر٣	٨ر٢ - ٥٢ر٦
١٠ر٩ + ٧١٨	١٤ر٨ + ٢٦ر٦	١٩ر٧ - ٤١ر١	١ر١ - ٠ر٨
١١٥ر٩ + ٦٢٣	٢ر٩ - ٨ر٩	٦٣ + ١٢٣ر٨	٠ر٩ - ٠ر١
١٢ر٩ + ٥٢٠	٥ر١ - ٦ر٧	٨٥ر٢ + ١٤٦	١ر٤ - ٠ر٥
٣١٨ر١ - ١٨٩	١٠ر٥ - ١ر٣	٣٤ر٢ - ٢٦ر٦	١ر٥ - ٠ر٤
٦٤ر١ - ٤٤٣	٦ر٤ + ١٨ر٢	٣٧ - ٢٣ر٨	١ر١ - ٠ر٨
١٩٠ر١ - ٢١٧	٥ر٨ + ٦	٣٢ر٥ - ٢٨ر٣	١ر٦ - ٠ر٣
٩١٢٨ر٣	٢١١ر٩	١٠٩٤ر٣	٣٥
٥٠٧ر١	١١ر٨	٦٠ر٨	١ر٩

سجلت المحافظات الأخرى انحرافا سالباً عن المعدل العام مما يؤيد
قلة الاصابات فيها .

اما الكزاز فيتباين انتشاره بين محافظة واخرى وذلك في ضوء
التوزيع الجغرافي للمرضى فيظهر الجدول (٣) و (الشكل ٣ ح) ان
محافظة البصرة تؤلف بؤرة لاصابات الكزاز وان درجة انحراف الاصابات
الموجب عن المعدل العام هي (١٢ر٦) تليها محافظتا القادسية والنجف حيث
تراوح الانحراف الموجب للاصابات فيهما (ما بين ٥ - ٩) .

وجاء محافظات ميسان وواسط والقادسية و كربلاء وبغداد ونيوى
بالدرجة الثالثة من حيث الانحراف الموجب للاصابات فيها عن المعدل العام .
بينما المحافظات الأخرى تنحرف عن المعدل العام انحرافا سلبيا مما يدل على
قلة الاصابات فيها .

اما الحمى القرمزية فهي واسعة الانتشار في محافظات القطر ولكن
لها تركزات في محافظات محددة مثانها كربلاء التي مثلت البؤرة الأساس
لانتشار المرض حيث الانحراف الموجب سجل (١٣ر٣) ثم تلتها محافظات
ميسان وبغداد والبصرة بالدرجة الثانية بأنحرافها الموجب وكذلك القادسية
بينما ظهر انحراف معدل الاصابات سلبيا عن المعدل العام في المحافظات
الأخرى . وهذا يدل ان اوسع انتشار للمرض يتحقق في الجهات السهلية
من جنوب ووسط العراق .

بينما تظهر تركزات اصابات السعال الديكي في محافظة ذي قار
بؤرة كبيرة للمرض حيث بلغ الانحراف الموجب لمعدل الاصابات فيها عن
المعدل العام (٨٥ر٢) تلتها محافظات البصرة وواسط ودهوك بالدرجة الثانية
حيث تراوح انحراف معدلاتها الموجبة ما بين (٥٠ - ٧٤) ، وميسان
(٢٥ - ٤٩) وانحرفت اصابات محافظات القادسية انحرافا موجبا عن المعدل
العام بأقل من واحد .

بينما سجلت محافظات المثني والنجف و كربلاء والانبار وبابل وبغداد وديالى وصلاح الدين والسليمانية واربيل ونيوى ودهوك ، معدلات للاصابات بمستوى سلبي عن المعدل العام مما يدل على قلة الاصابات فيها .

اما الدفترىا فتبدو بؤرتها الرئيسية في محافظة البصرة حيث بلغ معدل انحراف الاصابات الموجب عن المعدل العام (٣٠٩) بينما جاءت محافظات دهوك ونيوى والتأميم ، وصلاح الدين و كربلاء والنجف والمثنى بالدرجة الثانية . اما محافظات شمال شرق وشرق العراق ووسطه فقد سجلت معدلاتها انحرافا ساليا عن المعدل العام .

والحصبة تنتشر في جنوب العراق ووسطه بدرجة رئيسية ، وان كانت لها بؤر واضحة في دهوك ، فهي اول في الجهات الجبلية وشبه الجبلية والهضبة . وقد ظهرت محافظة البصرة تؤلف البؤرة الرئيسية للمرض اذ بلغ الانحراف الموجب (٤٠٣٣) عن المعدل العام ثم تلتها محافظات المثني وميسان والتأميم اذ تراوح انحرافها الموجب ما بين + ٤٠٠ و + ٢٠١ ثم الانحراف الموجب دون الـ ٢٠٠ مثلته محافظات ذي قار وواسط و كربلاء بينما بقية المحافظات سجلت انحرافا ساليا دون الـ ٢٠٠ هي محافظات النجف والانبار وصلاح الدين وديالى ونيوى واربيل وتقل الاصابات كثيرا في بغداد والقادسية والسليمانية .

مستوى الانتشار :

يبدو ان الأمراض السبعة التي دعاها الباحث بأمراض الطفولة منتشرة في جميع محافظات العراق ولكن تختلف تركزات كل مرض عن الآخر . فجدرى الماء ينتشر بنطاق أكبر في الجهات السهلية والجنوبية والوسطى و ينتشر بنطاق أضيق في الجهات الجبلية بينما تقل الاصابات فيه الى درجة كبيرة في الجهات الهضبية .

وانتشار الشلل يبدو أكثر وضوحاً في النطاق السهلي الممتد حول دجلة من البصرة حتى بغداد و كربلاء وهذا النطاق مزدحم بالسكان بينما يبدو المرض اقل انتشاراً في الجهات الجبلية والهضبية الصحراوية .

وكذلك الكزاز يبدو أوسع انتشاراً في جنوب ووسط العراق وأقل انتشاراً في النطاق الجبلي والهضبي ، ومرض الكزاز يرتبط أكثر بالعوامل الاجتماعية وان التوزيع المكاني لهذا المرض يبدو مشوشاً حيث ان قلة اصابات المرض في بعض المحافظات عائد الى :

- ١ - قلة مراجعة المؤسسات الصحية ثم عدم تسجيل الحالات .
- ٢ - اتمام التوليد في البيوت دون المؤسسات الصحية .
- ٣ - عدم اهتمام المعنيين بالاحصاء الصحي في تلك المؤسسات لقلة ادراك أهمية التسجيل الدقيق لهذه الحالات .

ويبدو تأثير الظروف الطبيعية في انتشار مرض الحمى القرمزية ضعيفاً ، وليس بالضرورة ان تكون المحافظات ذات الاصابات الكبيرة تعاني مشكلة المرض ذاته لأن ذلك قد يكون عائد الى الوعي الصحي في المراجعة وتسجيل الحالات ومع هذا فالتوزيع الجغرافي للمرض يؤكد قلة الاصابات في المناطق الجبلية والهضبية وشبه الجبلية اما الدفترية فتقل في جهات شمال شرق ووسط العراق . والحصبة كذلك تقل في الجهات الجبلية والوسطى والهضبية .

وبشكل عام تظهر التركزات المرضية مكانياً في المناطق السهلية وبخاصة الجنوبية ثم الوسطى وتقل تلك التركزات في الجهات الجبلية ولكن الحال تختلف من مرض لآخر كما يظهر ذلك في شكل (٨ أ-ز) .

المستوى الرتبي لمجموعة الامراض وللمحافظات :

عند اعتماد مرتبة كل محافظة على اساس مستوى اصاباتها لكل مرض

محسوب على اساس (لكل مائة الف من السكان) وللمدة من ١٩٧١ - ١٩٨٤م ، واعطاء رتبة (١٨) لاعلى درجة في الاصابات المرضية و (١) لأدنى محافظة بالاصابات ، توصل الباحث الى اعداد جدول (٤) الذي اعطى رتبة كل محافظة بالنسبة لكل مرض ثم المستوى المرضي الرتبي للمحافظة • فجاءت محافظة البصرة بمستوى معاناة مرضي (١٧ر١) وهو أعلى مستوى رتبي للمرض تلتها محافظة ميسان حيث سجلت مستوى رتبي من المعاناة المرضية ٥ ، (١٤ر٧) ثم دهوك ونيوى ثم التأميم وواسط والمثنى وهكذا •

وقد اكد التوزيع الرتبي للمرض حقيقة تأكيد ضعف تأثير العامل الجغرافي الطبيعي • اذ أن المحافظات ذات المستوى العالي من المعاناة المرضية لأمراض الطفولة يقع منها في الجنوب كالبصرة وميسان وفي الوسط كواسط وفي الشمال مثل دهوك ونيوى وهذه محافظات متباينة في موقعها وبيئاتها الجغرافية الطبيعية ، ومع هذا يبقى مدى الاثر الجغرافي الطبيعي في حدوده الدنيا ، وتظهر هذه الحدود عند تقسيم العراق الى نطاقات جغرافية متباينة بيئيا كما في جدول (٤) وشكل (٨ح) •

جدول (٤)

رتب المحافظات لكل مرض ومتوسط الرتب لكل محافظة ومتوسطها لكل منطقة في العراق

الأمراض	المحافظات	المناطق							
جدري الثلل الكزاز الحمى السعال الدفتريا الحصبة متوسط رتبة الماء									
القرمزية الديكي									
الرتب المنطقة									
٥٨١	١	٢	٤	٧	٦	١٠	٦	١ - السليمانية	١
٨٢٤	١٨	١٥	١٥	٦	٣	١٢	١٦	٢ - دهوك	٢
٧	٦	٦	١١	٣	٩	١١	٣	٣ - اربيل	٣
١١٨١	١٤	١٧	٨	١١	٨	٨	١٤	٤ - التأميم	٤
٩٨١	٤٤	٢	٧	٥	١	٧	٤	٥ - صلاح الدين	٥
١١٧٧	٨	١٦	١٢	٩	١٥	١٣	٩	٦ - نينوى	٦
								شبه الجبلي	
								(الصفة الغالبة	
								التسوج)	

١٠	١٥	١٢	٧	١٢	٤	٦	١٣	٧ - المتنى	ح
١٠	١٥	١٢	٧	١٢	٤	٦	١٣	المنطقة الهضبية ٨ - النخف	
٧٣	٩	٩	١٤	٣	١٠	٩	١	ذات السمة ٩ - الانبار	
٣	٥	٣	١	٤	٢	١	٤	الصحراوية	

١٠ر٨	١٣	١٠	١٧	٢	١٠	١٦	٨	١٠ واسط	د
٨ر٦	٤	٥	١٣	١٥	١٢	٥	٦	القادسية ١١ - سهل وسط	
٩ر٤	١١	٤	٩	١٣	١٧	٤	٧	بابل ١٢ - العراق	
١٤	١٢	١٣	١٠	١٨	١٤	١٤	١٧	كربلاء ١٣ -	
١٠ر٣	٣	٩	٦	١٤	١٣	١٨	١١	بغداد ١٤ -	
٣	٧	١	٢	١	٥	٢	٢	ديالى ١٥ -	

١٧ر١	١٧	١٨	١٦	١٦	١٨	١٧	١٨	١٦ - البصرة	هـ
١٢ر٨	١٦	١١	١٤	١٧	١١	١٥	١٥	ميسان ١٧ - النطاق الجنوبي	
٩ر١	١٠	٨	١٨	٨	٧	٣	١٠	ذي قار ١٨ - (اهوار ومياه)	

• بالاعتماد على الجداول السابقة • ورتبت المحافظات بحسب درجة المرض فيها •

المؤشرات الصحية في قياس التباين المكاني :

على أساس تحليل التباين للأقاليم والمؤشرات الجغرافية والمؤشرات الصحية تؤخذ المؤشرات الآتية :

مؤشر (١) :

مراجعات النساء الى المؤسسات الخاصة بأمراضها وبالتولد هي احد المؤشرات الرئيسية التي تؤكد الوعي الصحي^(١٤) . وان قلة المراجعات قد تعود الى قلة المؤسسات المؤهلة لخدمة الأمهات وقد تتوفر هذه المؤسسات وتكون قلة المراجعات عائدة الى احجام الأمهات عن المراجعات ، وقد تتراوح نسبة المراجعات للأمهات الحوامل الى المؤسسات في القطر الى المجموع الكلي للمراجعات ٤ - ٦٪ وان هذه النسبة ضئيلة تؤلف مؤشرا سلبيا يتوجب عنده الارتفاع بالتوعية وتوفير المؤسسات او اقسام ضمن مستشفيات عامة لاستقبال الأمهات الحوامل يسر .

ان النسبة المؤية لمراجعات النساء المرضى والحوامل كانت تعادل سنة ١٩٧١ ٣٣٪ من مجموع المراجعات في القطر ثم اصبحت عام ١٩٧٣م ٤٤٪ وأصبحت تعادل عام ١٩٨٤م ٤٩٪ والمعدل العام للمراجعات بقي يتصاعد ببطء وأصبح معدل المراجعات العام للمدة ١٩٧١ - ١٩٨٤م يعادل ٣٣٪ وتتفاوت المحافظات ، فبغداد برغم العدد الكبير من المؤسسات الصحية الخاصة بالنساء والتوليد تعادل نسبة المراجعات ٨ و ٠٪ وذلك عائد الى ضخامة حجم المراجعات الكلية في المحافظة الى احجام النسوة من المراجعات بينما محافظات كميستان والمثنى وواسط تصل نسبة مراجعات النسوة الى المراجعات الكلية في كل محافظة ١٠٪ تقريبا جدول (٥) برغم قلة مراكز واقسام الأمومة والطفولة دلالة على توجه السكان للاستفادة من المؤسسات الصحية . وهذا يولد ضغطاً كبيراً على المؤسسات الصحية

جدول (٥)
مستويات المؤشرات الصحية بحسب المحافظات والمناطق

(٢)		(١)		المحافظات	المناطق
مراجعات النساء والتوليد المراجعون من الاطفال					
أ					
١٠٠٨	٥١	١ - السليمانية	١ - ٣	المحافظات الجبلية	
١٣١١	٣٢٢	٢ - دهوك			
١٨٦٦	٣١١	٣ - أربيل			
ب					
١٣	٢٢٦	٤ - التأميم	٤ - ٦	المحافظات شبه الجبلية	
١٢٣	١	٥ - صلاح الدين			
١٢٣	٠٢٢	٦ - نينوى			
ج					
١٢٢٢	٩٢٨	٧ - المثنى	٧ - ٩	المحافظات الهضبية ذات السمة الصحراوية	
١٣٢٥	٧٢٥	٨ - النجف			
١٠٠٩	٢٢٥	٩ - الأنبار			

١١٤	١٠٧	١٠- واسط	د
١٣٢	١٩	١١- القادسية	سهل وسط العراق
٧٧	١٥٣	١٢- بابل	
١٢	٨٢٨	١٣- كربلاء	
١٩٢	٠٨	١٤- بغداد	
١٠٥	٠٧	١٥- ديالى	

١١٢	٠٦	١٦- البصرة	د
١٤	٤٩	١٧- ميسان	المحافظات الجنوبية
١٢٩	٣٠	١٨- ذي قار	(مياه وأهوار)
١١٩	٤٣	المعدل العام	

مؤشر (١) : معدل النسبة المئوية لمراجعات النساء الى المؤسسات الصحية لمجموع المراجعات في

كل محافظة .

مؤشر (٢) : معدل النسبة المئوية لمراجعات الأطفال المرضى الى المؤسسات الصحية لمجموع

المراجعات في كل محافظة للمدة ٧١ - ١٩٨٤ الاطفال في عمر ١٢ فما دون .

مؤشر (٣) : النسبة المئوية لمجموع مراكز الأمومة والطفولة الى مجموع مراكز الصحة العامة

في كل محافظة لسنة ١٩٨٤ .

مراكز صحة الأموية نسبة اطباء أمراض نسبة اطباء المستوى

(٣) (٤) (٥)

الأطفال	النساء	والطفولة
١٠٣	١٠٦	١٠١
١٠٧	٢٠٥	٢٠٤
١٠٥	٢٠٥	١٠٣
٠٠٩	١٠٨	٢٠٨
٠٠٩	٢٠٣	١٠٣
١٣٧	٢٠٧	٦٠٣
١	٣٠٢	صفر
١٠٥	٣٠٢	صفر
١٠٥	٣٠٥	٣
١٠٣	٢٠٧	١٠٧
١٠٦	٤٠٧	١
١٠٤	١	٣٠٤
٠٠٩	٢٠٩	٥٠٣
٠٠٩	٢٠٧	٥٠٣
١٠٩	٢٠٧	٦٠٣
١٠٨	٣٠١	١٠٢
٢٠٧	٢٠٣	٢٠٧
٤	٢٠٣	٢٠٢
٢٠٥	١٠٢	٣٠٧
	٢٠٦	٣٠٦

مؤشر (٤) نسبة اطباء امراض النسائية والتوليد الاختصاص الى
 مجموع الاطباء في كل محافظة للمدة ٧١ - ١٩٨٤ •
 مؤشر (٥) معدل النسبة المثوية لتلقيح الأطفال الثلاثي وتلقيحات
 شلل الأطفال الى مجموع التلقيحات في كل محافظة للمدة ٧١ - ١٩٨٤ •

نسبة تلقيحات الأطفال نسبة مستشفيات الأطفال نسبة أسرة الاطفال

(٦) (٧) (٨)

أ -	١٤	٩٠٩	٦٠٨	
	٢٤	١٤٣٣	١٠٣٣	٤
	١٣	٥٠٩	٤٣٣	
ب -	١٣	١٢٠٥	٨٠٧	
	٣٢	٢٣٣٣	٧٠٢	٧٠٢
	٢٥	٩٠٢	١٢	
ج -	٣٠	٢٠	١٤	
	٣٠	٣٠٠٦	٦٠٩	٧
	٣٢	صفر	٣	
د -	٢٤	١٠	٩	
	٢٤	٩٠٩	٥٠٦	٧٠٧
	١٦	٣٢	١٤٣٣	١٣٠٨
	٤٢	٢٥	٢	
	٢٢	١٣٠٥	١٠	
	١٠	١٠	٢٤	
هـ -	٢٢	٧٠١	٣١	
	٧٤	٣٨	١٠	٦٠٥
	١٨	صفر	١٠	
		٢٠		

مؤشر (٦) : النسبة المئوية لمعدل عدد اطباء الاطفال لمعدل عدد عموم
الاطباء في كل محافظة للمدة ٧١ - ١٩٨٤ .

مؤشر (٧) : معدل النسبة المئوية لمعدل مستشفيات الاطفال لمجموع
المستشفيات في كل محافظة (١٥) .

مؤشر (٨) : معدل نسبة أسرة الاطفال لمجموع الأسرة في كل
محافظة للفترة ٨٤ - ١٩٨٦ (١٦) .

العامة لأنها تحمل عبء يقع على مؤسسات متخصصة بذلك وهي غير موجودة أو قليلة .

مؤشر (٢) :

ان عدد المرضى المراجعين من الاطفال الى المؤسسات الصحية المتخصصة الاخرى مؤشر آخر مهم يكشف عن واقع صحة الطفل^(١٨) ان هذه النسبة من المراجعات تراوحت بوجه عام ما بين ٩ - ٢١٪ من مجموع المراجعات الكلية في الفطر للفترة ٧١ - ١٩٨٤ وأن هذه النسبة وصلت سنة ١٩٧١ الى ١٨٫٢٪ من مجموع المراجعات وفي ١٩٧٣ ١٧٫١٪ وفي سنة ١٩٧٩ الى ١٨٫٣٪ وسنة ١٩٨٤ ما يقرب ٢١٪ ومع هذا فإن المعدل العام للنسبة المئوية للفترة ٧١ - ١٩٨٤ على أساس النسب لكل محافظة وصل الى ١١٫٩٪ .

ان هذه النسبة من المراجعات تدل على انها نسبة ضئيلة فيما اذا قارنا حجم السكان الكلي وان نسبة مراجعات المؤسسات الصحية لمعالجة الأطفال وتلقيحهم لا زالت تسير ببطء وهذا يعتمد على النوعية وتوفير المؤسسات الخاصة بمعالجة الاطفال وهذه المراجعات متقاربة بين المحافظات عدا انها عالية في محافظة بغداد وواطة جدا في محافظات نينوى وصلاح الدين وبابل جدول (٥) .

مؤشر (٣) :

تعتبر مراكز رعاية الأمومة والطفولة (عدا المستشفيات والعيادات الخارجية الخاصة بالأمومة والطفولة) مؤشر صحي مهم يعتمد عليه في قياس الموازنة الإقليمية لأن وجود هذه المراكز يعني اتاحة فرص كبيرة للنساء والاطفال في مراجعتها ، وقد كان عدد هذه المراكز سنة ١٩٧٣ (٩٠) مركزا^(١٧) . اما عددها سنة ١٩٨٣ فقد بلغ حوالي (١١٠) مركزا وهذه زيادة كبيرة ، غير انه تدل هذه النسبة المئوية لوجود هذه المراكز

لعموم المؤسسات في كل محافظة على عدم الموازنة فما زالت محافظات في عدد من مراكز الأمومة والطفولة لا يتناسب مع حجم مؤسساتها الصحية ولا مع حجم سكانها مثل محافظات النجف والمثنى وبابل والسليمانية وصلاح الدين وأربيل وواسط وديالى •

مؤشرا (٤) ، (٥) :

اطباء الاطفال الاختصاص بلغوا سنة ١٩٧٣ نسبة ١٠٤٪ من المجموع الكلي للاطباء في العراق^(١٨) واطباء النساء والتوليد بلغوا نسبة ١٪ من المجموع الكلي للاطباء في القطر بينما بلغت نسبة اطباء النساء والتوليد للفترة من ٧١ - ١٩٨٤ في قطر ٢٦٪ وبلغت نسبة أطباء الاطفال للفترة ذاتها نسبة (٢٧) ، والجدول (٥) يوضح ان نسبة وجود اطباء الأطفال واطباء النساء والتوليد لمجموع الاطباء في كل محافظة متقاربة ولكن محافظات ذي قار وبابل والسليمانية والتأميم و كربلاء وصلاح الدين والمثنى تعاني من نقص وجود اطباء الاطفال واطباء النسائية والتوليد ، وهذا خلل لا يتناسب مع حجم سكان تلك المحافظات ومستوى معاناة اطفالها وهي محافظات باتت تحتاج الى نهوض اجتماعي واقتصادي أكثر •

مؤشر (٦) :

اللقاحات مؤشر مهم وهي متصل باللقاح الثلاثي ولقاحات شلل الاطفال وغيرها من اللقاحات التي تقي الاطفال غائلة المرض •

مؤشرا (٧ ، ٨) :

ان مستشفيات الاطفال مؤشر له تأثيره جدول (٥) ، وقد اتخذت النسبة المئوية لعددها لمجموع المستشفيات في كل المحافظات وللفترة ٨٤ - ١٩٨٦ فهي تأخذ نسبة جيدة في بغداد وبابل ودهوك والتأميم ولكنها لا تؤلف نسبة تذكر لعدم وجودها في محافظات ذي قار والأنبار والنجف

وصلاح الدين علما ان هذه المحافظات يجري الان انشاء مستشفيات متخصصة للاطفال فيها .

اما نسبة أسرة الاطفال في المستشفيات فهي الاخرى متباينة من محافظة الى أخرى فنسبة أسرة الأطفال لمجموع الأسرة الكلي في ديالى عالية وكذلك في بغداد والمثنى ونيوى وذي قار ولكنها متقاربة في المحافظات الأخرى .

مؤشر (٩) :

ان القابلات المأذونات من المؤشرات المهمة وهن يؤلفن ملاكا ضروريا تتطلبه المصلحة المقتضية للتوليد والعناية بحدیثي الولادة وقد زاد عدد القابلات فقد بلغ عددهن سنة ١٩٨٠ (٣٠٠) قابلة ، وقد كان عددهن سنة ١٩٧١ (١٣٧) قابلة^(١٩) . وان اعداد هذه القابلات دون المستوى المطلوب وغير موزعة على المحافظات بشكل متوازن ، حيث ان بغداد استحوذت على ثلثي هذا العدد منهن ، بينما بقية المحافظات تتساوى في نسبة ما فيها من قابلات فهي تتراوح ما بين ٥ - ٩٪ من مجموع القابلات في العراق ، عدا محافظات دهوك والمثنى وذي قار والسليمانية ، وذلك لتراوح نسبة القابلات فيها ما بين صفر و ٢٪ من مجموعها في القطر .

اختبار علاقة المؤشرات الصحية بوحدة قياس (مربع كاي) :

بعد وصف تباينات المؤشرات الصحية بحسب المحافظات التي اشار اليها جدول (٥) ، استطاع الباحث ان يضع جدول (٦) الذي تناولت بعض اعمدته اختلافات المؤشرات بحسب المناطق وكذلك التباينات بين المناطق في المستوى المرضي الرتبي . وان هذه المناطق متباينة بالظواهر الجغرافية والتي اشتملت على متوسط الارتفاع التقريبي ومعدل حرارة الشتاء ومعدل حرارة الصيف ومعدل التضج الاقتصادي والاجتماعي^(*) . وقد وردت

الاختلافات البيئية بشكل ظاهر جدول (٦) وظهرت لهذه الاختلافات توزيعات باشكل (شكل ٨ ط - ل) . ويؤكد ان الاختلافات البيئية في العراق تساعد على بعض التباينات المرضية لأمراض الطفولة أي ان دور تباينات الحرارة والارتفاع والمستوى الاجتماعي والاقتصادي ليس بالدور الرئيس .

ولتحديد مسؤولية تباين المؤشرات الصحية بين المناطق اجري الباحث اختبار f_2^{***} (مربع كاي) لاختبار فرضية العدم القائلة بأنه ليس هنالك علاقة بين الظواهر الصحية والمناطق الجغرافية ذات التباينات في الظواهر الجغرافية وهي بالأساس متباينة بترتيبها المرضية ضد الفرضية القائلة بأن هنالك علاقة بين المؤشرات الصحية والمناطق الجغرافية ذات التباينات الطيبة والاقتصادية والاجتماعية والتباينات في الرتب المرضية جدول (٧) (***).

* انظر ملحق (٢)

** قد تم حساب قيمة f_2 (مربع كاي) كما يلي :

١ - تم ايجاد التكرارات المتوقعة وذلك بضرب

مجموع الصف الذي يقع فيه العنصر \times مجموع العمود الذي يقع فيه العنصر
المجموع الكلي

٢ - استخدام قيمة مربع كاي بأستخدام القانون التالي :

(التكرار المشاهد - التكرار المتوقع)^٢

مربع كاي = $\frac{\text{مجموع}}{\text{التكرار المتوقع}}$

*** يشكر الباحث السيد صبري مصطفى البياتي ، ماجستير احصاء المدرس في قسم الجغرافية لتحقيقه من صحة الاسلوب الذي تم استخدامه والنتائج التي تم التوصل اليها .

جدول (٧)

اختيار مربع كاي للعلاقة بين مناطق التباينات الجغرافية والمؤشرات الصحية
 المنطق بحسب ترتيبها
 المؤشرات الصحية حسب ترتيبها بجدول (٦)
 بجدول (٦) أ ب ج د هـ و ز ح المجموع

أ	٤	١٠٣	١٧	٧	٢٥	٢٦	١٤٢	٣٢
	٥٥٥	٥	٧٣	٢٢٥	٢٢	٢٢	٩١	٣٩
ب	٥١	٧٢	٥٢	٢٣٣	٢٣	٣٥	١٣	١
	٥	٦٨	٢١٦	٢٠٦	٢٠٦	٢١	٨٤	٣٥
ج	٧	١٥	١٥	٣٨	٢٣	٢٩	١٤	٤٩
	٧٧٥	٧٧	١٠٤	٣٢	١٣٩	٣١	١٢٨	٥٤
د	٧٧	١٤	١٤	٣٠٧	٣٢	١	١٢٢	٧٥
	٧٧٤	٧٧	٣٢	١٣٤	٣	٣١٩	١٢٧	٥٤
هـ	٦٥	٤	٤	٢٣	٢٧	٣٤	١٢	٦٣
	٦٣٦	٦٣	٨٥	٢٧	٢٥٨	٢٥	١٠٥	٤٩
المجموع	٣٢٥	٤٣٩	١٣٣	١٣١٩	١٣	٥٣٧	٥٣٧	٢٢٩

وبأستخدام المعادلة تكون قيمة f^2 أو مربع كاي المحسوبة
٣٨٩٢ وقد تم استخراج قيمة f^2 الجدولة بدرجة حرية :

$$28 = (1-8)(1-5)$$

وبمستوى مغنوية ٥٪

فتكون ١٥٣٠٧٩

ولما كانت f^2 المحسوبة أكبر من الجدولة فعليه ترفض فرضية
العدم وتقبل الفرضية البديلة والتي تقول ان هنالك علاقة بين المناطق الطبيعية
(أو المناطق المتباينة بظواهرها وبمراتبها المرضية) والمؤشرات الصحية
في العراق .

وهذا يعني ان تباين مستويات المؤشرات الصحية بين محافظة واخرى
ثم بين منطقة جغرافية واخرى يخلق مستويات مختلفة بمراتب أمراض
الطفولة في العراق .

وتم التوصل الى ان أمراض الطفولة من دون جميع الأمراض في
العراق لا يتقيد انتشارها بظروف جغرافية محددة بل هذه الامراض تظهر
لها تركزات وبؤر واضحة في مناطق دون أخرى ، تبعا لتباينات المؤشرات
الصحية .

وحتى تتضح صورة معاناة الأطفال من مصادر غير الأمراض السبعة
التي تناولها البحث يعرج البحث لينوه عن مؤشر وفيات الأطفال ومسببات
هذه الوفيات بشكل عام .

وفيات الاطفال :

المعروف ان في البلدان النامية يولد مائة طفل في كل ثلاثين ثانية ومن
هؤلاء يموتون عشرون في السنة الأولى ومن الثمانين الذين يسلمون يعانون

من سوء التغذية ولا تصلهم عناية صحية ، ونصف الذين يبلغون سن الدراسة فقط يتيسر لهم دخول المدارس ، ومن هؤلاء اربعة من كل عشرة فقط يكملون دراستهم الابتدائية . هذا الامر لا ينطبق على العراق وان حصلت زيادة في عدد الوفيات فهي عائدة الى الاهتمام المتصاعد في تسجيل الوفيات بدفه . فالاطفال في العراق يواجهون ظروف صحية احسن من ذي قبل ومع هذا فالمشكلة قائمه غير منتهية والدراسة هذه فرصة تحليل طموحه للوصول الى اشارات من وجهة نظر جغرافية تؤيد مواضع الخلل في التوزيعات المكانيه وحجم المشكلة الصحية التي يواجهها الاطفال .

ان وفيات الاطفال خلال السنة الاولى من العمر لكل الف ولادة حية لسنة ١٩٧٥ كانت في البحرين (١٣٨ وفاة) والامارات (١٣٨) والعراق (٦٩) والسعودية (١٥٢) وعمان (١٢٨) والكويت (٤٤) والسعودية (١٣) وفلندا (١٤) والدنمارك (١٧) وبريطانيا (١٨) وفاة .

ان حجم معدلات وفيات الاطفال تشير الى محنة الأطفال ليس في مرحلة ما بعد الولادة وانما تعود المحنة الى مرحلة حياة الطفل الجنين وذلك يرتبط بالحالة الصحية للأم ونوع الخدمات الطبية المتوفرة اثناء الولادة وفي حالة النفاس وبالتأكيد ترتبط الحالة الثانية بأمراض الاطفال .

ان معدلات الوفيات مؤشر مهم يكشف عن انتشار الأمراض الخطرة بين الاطفال وان معدلات الوفيات العالية بين الاطفال في البلدان النامية تمثل حالة خطرة تتجاوز المعدلات للبلدان المتقدمة بحدود هائلة جدا فالارقام بعدد الوفيات بين الأطفال للفئة (٠ - ٥) لكل مليون نسمة هي (٦٢٥ وفاة) في الدول المتقدمة مقابل (٤٨٠٠٠٠ وفاة) في الدول النامية (٢٢) ، وان كل نصف مليون وفاة سنويا في البلدان المتقدمة خلال السنوات الأولى من العمر يقابلها عشرون مليون وفاة سنويا في البلدان النامية للعمر نفسه .

ان الاطفال يموتون بأعداد كبيرة وهذه الوفيات كولادات ميتة بلغ

معدلها السنوي (٢٢٠١ ولادة ميتة) منذ سنة ١٩٧٢ - ١٩٨٠ وهذه الولادات الميتة الفت نسبة ٢٥٠٢٪ الى مجموع وفيات الاطفال ونسبة مئوية ٤٠٦٪ من المجموع الكلي للوفيات في العراق ، والبالغة بالمعدل السنوي ٤٦٨٦٣ وفاة للفترة ٩٧٢ - ١٩٨٠ ، وهذه النسبة عالية كونها تمثل حالة واحدة وهي الولادات الميتة ولان يجب ولادة الاطفال احياء فيما اذا جرى الاعتناء بصحة الام . اما نسبة وفيات حديثي الولادة فتؤلف ٦٦٠٢٪ من مجموع وفيات الاطفال ، ومعدل نسبة مئوية ١٢٠٢٪ من الوفيات في العراق . ومعنى هذا ان معدل نسبة وفيات الاطفال حديثي الولادة والولادات الميتة تؤلف معدل نسبة مئوية ٩١٠٤٪ من مجموع وفيات الاطفال . وتبقى نسبة وفيات امراض الطفولة التي تناولها البحث تؤلف معدل نسبة ٨٠٣٪ وانها تؤلف نسبة ١٠٥٪ من مجموع الوفيات الكلي في العراق .

واذا ما اردنا حساب وفيات الاطفال على اساس الولادات الميتة والوفيات الحديثة الولادة والوفيات اقل من سنة ووفيات فئة (١ - ١٤ سنة) بسبب امراض الطفولة وبسبب مختلف الامراض الأخرى كالاسهالات مثلا تظهر ان نسبة وفيات الاطفال في العراق تتراوح ما بين ٣٥ - ٤٥٪ من مجموع الوفيات للمدة ٧٢ - ١٩٨٠ في العراق ، وان هذه النسبة بدأت تنخفض في السنوات الاخيرة ٨١ - ١٩٨٧ وذلك بالتقدم الصحي وانتشار العديد من المستشفيات المتخصصة بصحة الأم وصحة الطفل ، وكذلك بسبب التقدم الحضاري والوعي الصحي لدى النساء فالطفل في العراق اليوم في حالة افضل مقارنة بسنوات سبقت ، ولكن ما زالت المحنة .

والذي كشفه البحث ان ما نسميه بأمراض الطفولة لا تشكل محنة كبيرة للأطفال فهم يشفون منها حالة اصابتهم بالعلاج ولا يموت منهم الا القليل . واصبحت اليوم غالبية الأطفال تلقح باللقاحات الواقية ضد الشلل

والتدرن والحصبة والسعال الديكي وان الوفيات الحادثة بسبب امراض الطفولة تتوزع كالاتي : بسبب مرض الكزاز بلغ معدل الوفيات السنوي (٥٠٦) وفاة للفترة ٧١ - ٩٨٤ وبسبب الحصبة لنفس الفترة (٨٢ وفاة) والشلل (٥٦ وفاة) والسعال الديكي معدل (٥٥ وفاة) والدفتريا معدل (٢٠ وفاة) بينما لم تسجل وفيات بسبب أمراض جذري الماء والحمى القرمزية خلال المدة المذكورة .

وهنا يرد التساؤل : اذا كانت امراض الطفولة أقل فتكا بالأطفال كسبب للوفاة ، فما هي الحالات والأمراض المميتة ؟! وجوابا على هذا التساؤل نقول عدا الولادات الميتة هناك امراض تصيب الكبار وتصيب الصغار وتكون أكثر فتكا وقساوة هي :

- ١ - الاسهالات ٢٥٪ من وفيات الاطفال
 - ٢ - الولادات الميتة ٢٥٪ من وفيات الاطفال
 - ٣ - امراض وحوادث متنوعة والكلا ازاء سوء التغذية وامراض التنفس ١٥٪ من وفيات الأطفال
 - ٤ - حديثي الولادة ٢٠٪ من وفيات الأطفال
 - ٥ - أمراض الطفولة السبعة ٨٪ من وفيات الأطفال
- وبسبب تغطية العراق باللقاحات الثلاثية لاطفال دون السنة وبنسبة

٩١٪ سنة ١٩٨٧ باتت امراض الطفولة تسير في طريقها الى الانتهاء .

سوى انه لا تعني هذه التغطية رفع الخطر عن الاطفال فالمحنة تكمن على ما يبدو بحالات أخرى يجب ان توضع في الأولويات هي :

- ١ - العناية بالأم الحامل لتقليل الولادات الميتة .

- ٢ - توفير الغذاء الكافي للطفل .
- ٣ - مكافحة الاسهالات ومسيباتها لانها فتاكة في الاطفال .
- ٤ - العناية بالتوليد والاطفال حديثي الولادة .
- ٥ - الاهتمام بأمراض التنفس التي تصيب الأطفال وامراض اخرى كالكلاب ازار .

النتائج والخلاصة :

تضمن النتائج الاجابة على مجموعة الاسئلة التي اوردتها مشكلة البحث الرئيسة . ان الأطفال يعانون ويموتون بسبب الاسهالات فيجب مكافحتها والانتباه اليها وكذلك بالولادات الميتة فلا بد من سبل لتخفيف وطأة هذه الحالة وكذلك يعانون اذ هم يموتون في بدايات تولدهم . بينما أمراض الطفولة المدروسة غدت لا تؤلف مشكلة معاناة كبيرة تؤدي الى الموت ، وقد خفت آثارها في الآونة الأخيرة .

وان اصابات امراض الطفولة السبعة المدروسة تتغير بحسب فئات العمر وهي لا تصيب الكبار وتتغير حدتها بتغير الفصول وتباين رتبها بحسب نوع المرض والبيئة ولكن مسؤولية البيئة الطبيعية بدت ضعيفة فأمرض الطفولة تنتشر في كل العراق وتحرك تركزاتها وتتغير بؤرها لأن هذا التغير المكاني يرتبط بشكل أكيد بمستوى المؤشرات الصحية المهيئة لصحة الطفل .

ملحق (١)

تفصيلات عن الجلول (٦)

- ١ - أ - مثلت شمال العراق الجبلي الصرف والذي تتراوح الارتفاعات فيه ١٠٠٠ - ٣٦٠٠ م ولهذا ضمن هذا النطاق تقع محافظات السليمانية ودهوك واربيل .

ب - مثلت شمال العراق شبه الجبلي والمتموج حيث تغلب الجبال
الواطئة والهضاب المتموجة وهذه الصفات اصبحت الغالبة على
محافظات (صلاح الدين والتأميم ونينوى) •

ح - مثلت النطاق السهلي وسط العراق المتميز بجداوله ومزارعه
وهو نطاق متشابه نوعا ومع هذا فالصفة الغالبة هي السهلية
وادخلت في هذا النطاق محافظات (واسط والقادسية وبابل
وكر بلاء وبغداد وديالى) •

د - مثلت النطاق السهلي الجنوبي الذي اغلب صفه فيه الانهار
والاهوار والمستنقعات برغم وجود اطراف صحراوية هضبية
ضمن النطاق وحسبت في هذا النطاق محافظات (البصرة
وميسان وذي قار) •

هـ - مثلت المحافظات ذات السمة الهضبية الصحراوية الغالبة برغم
وجود ارض سهلية زراعية وهذه المحافظات هي (الانبار
والنجف والمثنى) •

٢ - المستوى المرضي اعتمد جداول الرتب التي استخرجها الباحث •

٣ - الارتفاع التقريبي بالأمتار ، انظر :

أ - مديرية المساحة العامة ، خارطة العراق الطبيعية بقياس
١/مليون •

ب - د • محمد حامد الطائي « التباين التضاريسي في العراق » مجلة
الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد ٦ ، مطبعة سعد ، بغداد
١٩٦٩ ، ص ٢١ - ٢٢ •

٤ - معدلات الحرارة :

أ - د. علي حسين الشلش « استخدام بعض المعايير الحسابية في تحديد اقاليم العراق المناخية » ، مجلة كلية الاداب ، جامعة الرياض ، مجلد ٢ ، سنة ٢ ، ١٩٧٢ ، ص ١٥٩ - ١٩٠ .

٥ - معامل التضج الاقتصادي والاجتماعي للمحافظات : انظر :

سرمد جورج لانس ، « استخدام الدالة المميزة لمقارنة المستوى الاقتصادي والاجتماعي لمحافظات العراق » ، مجلة البحوث الاقتصادية والادارية ، عدد ٣ ، مجلد ٨ سنة ١٩٨٠ ، ص ٢٦٥ - ٢٨٦ . وقد استخدم البحث المتغيرات التالية :

- ١ - عدد المشتغلين بالمنشآت الصناعية الكبيرة .
- ٢ - الوحدات الكهربائية المستهلكة (مليون كيلوواط/ساعة) .
- ٣ - الكلفة التخمينية لاجازات البناء والترقيم (الف دينار) .
- ٤ - عدد الأسرة المخصصة للتزلاء في الفنادق .
- ٥ - مجموع سيارات الحمل المسجلة لدى مديرات المرور .
- ٦ - الكثافة السكانية (كم^٢) .
- ٧ - معدل انتاج الحنطة - كغم/مشاراة .
- ٨ - معدل انتاج الشعير - كغم/مشاراة .
- ٩ - المجموع الكلي لمساحة الارض المزروعة منذ بداية الاصلاح الزراعي لغاية ١٩٧٧ (مشاراة) .
- ١٠ - المجموع العام لعدد العوائل الفلاحية المنتفعة من الاصلاح الزراعي .
- ١١ - عدد المنشآت الصناعية الكبيرة .

- ١٢- عدد اعضاء الهيئة التعليمية للمدارس الابتدائية •
- ١٣- عدد اعضاء الهيئة التعليمية للمدارس المتوسطة والثانوية •
- ١٤- المجموع الكلي للمستشفيات والمؤسسات الصحية •
- ١٥- عدد العمال المشمولين بالضمان الاجتماعي •
- ١٦- التعويضات المصروفة للعمال على مشروع الضمان الصحي
(دينار) •

وقد توصل الباحث من خلال متغيراته الى معامل النضج الاقتصادي والاجتماعي باستخدامه الدالة المميزة وبالصورة التالية :

- | | |
|-----------------------|------|
| ١ - محافظة بغداد | ٠٧٣٣ |
| ٢ - محافظة نينوى | ٠٣٢١ |
| ٣ - محافظة البصرة | ٠٢٩٣ |
| ٤ - محافظة بابل | ٠٢٧٩ |
| ٥ - محافظة ديالى | ٠٢٥٣ |
| ٦ - محافظة السليمانية | ٠٢٤٨ |
| ٧ - محافظة ذي قار | ٠٢٢٨ |
| ٨ - محافظة واسط | ٠٢٢٤ |
| ٩ - محافظة ميسان | ٠٢٢٤ |
| ١٠ - محافظة اربيل | ٠٢٢١ |
| ١١ - محافظة التأميم | ٠٢١٦ |

- ١٢- محافظة النجف ٠١٩٤ر
- ١٣- محافظة القادسية ٠١٨٧ر
- ١٤- محافظة دهوك ٠١٨٥ر
- ١٥- محافظة كربلاء ٠١٨٢ر
- ١٦- محافظة المثنى ٠١٧٨ر
- ١٧- محافظة صلاح الدين ٠١٧٦ر
- ١٨- محافظة الانبار ٠٢٢٩ر



الهوامش :

(١) انظر :

- أ - البدري ، د. عبداللطيف ، الطب الاكدي ، ص ١٥٠ - ١٥١ .
- ب - محمد ، د. محمود الحاج قاسم ، تاريخ طب الاطفال عند العرب ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ١٣-١٤ .
- (٢) محمد ، د. محمود الحاج قاسم ، المصدر نفسه ، ص ٣٤ .
- (٣) حمارنه ، د. سامي خلف ، الطفل والمرضعات في الطب العربي ، مجلة العربي ، عدد ٢٨٣ ، الكويت ، حزيران ، ١٩٨٢ ، ص ١٦٠-١٦٢ .

(٤) انظر :

- أ - الرازي ، رسالة في أمراض الطفل والعناية به ، ترجمة د. محمود الحاج قاسم محمد ، ص ٨ .
- ب - الرازي ، الحاوي ، ج ١ ، ص ٧ ، ص ١٨ .
- (٥) محمد ، د. محمود الحاج قاسم ، المصدر السابق ، ص ٦٢-٨٦ .
- (٦) محمد ، د. محمود الحاج قاسم ، « الامراض المعدية عند العرب والمسلمين » ، مجلة المورد ، وزارة الثقافة والاعلام ، مجلد ٩ ، عدد ٤ ، ١٩٨١ ، ص ١٣٢ . « نقلا عن (المعالجات) لمحمد بن محمد الطبري » ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، ص ١٣ .
- (٧) حمارنه ، د. سامي خلف ، المصدر السابق ، ص ١٦٠-١٦٢ .
- (٨) الجمهورية العراقية ، وزارة الصحة ، مديرية الاحصاء ، البوصلة الاحصائية للاعوام ٧١-١٩٧٥ ، مطبعة دائرة الطباعة ، بغداد .

(٩)

Republic of Iraq Ministry of Health, Directorate
General of preventive Medicine-Statistics
Section, No. of Reported Cases and Register-
ted Death of Comunicable Diseases for 1970
-1980.

(١٠) جداول غير مطبوعة للاعوام ٨١-١٩٨٤ ، اضافة الى الدراسة الميدانية .

(١١) انظر :

أ - الجمهورية العراقية ، وزارة الصحة ، مديرية الاحصاء ،
المصدر السابق .

ب -

D. Republic of Iraq, Ministry of Health,
Directorate General Preventive Medicine
Statistics Section, op. cit. p. 89.

ج - جداول غير مطبوعة ، مصدر سابق .

(١٢) الجمهورية العراقية ، وزارة الصحة ، البوصلة الاحصائية ، جداول
اصابات الامراض للفترة ٧١-١٩٨٠ ، صفحات متعددة .

(١٣) وزارة الصحة ، مؤسسات صحية مختلفة ، جداول غير مطبوعة
٨١-١٩٨٤ .

(١٤) انظر :

أ - وزارة التخطيط ، الدائرة التربوية ، قسم تخطيط الخدمات .
واقع الخدمات الصحية للامومة والطفولة ، وتقدير
الاحتياجات لعام ١٩٨٠ ، سلسلة أبحاث التخطيط لاغراض
التنمية القومية ١٩٧٦/١٩٨٠ ، حزيران ١٩٧٥ ص ٥ .
ب - مديرية الاحصاء ، جداول غير منشورة ٨١-١٩٨٤ ، المصدر
اسبق .

ج - الدراسة الميدانية لتقدير المراجعات لسنة ١٩٨١ . في بعض
المؤسسات الصحية المهمة . مع تكرار هذه الدراسة للاغوام
٨٣ ، ٨٤ في ثلاثة أشهر متفرقة من كل سنة .

(١٥) وزارة التخطيط الجهاز المركزي للاحصاء ، دائرة الاحصاءات
التربوية والاجتماعية ، احصاءات المستشفيات لسنة ٨٤ ، ١٩٨٥ ،
ص ٣٣ ، جداول ١٦ ، ١٤ .

(١٦) وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، دائرة الاحصاءات
التربوية والاجتماعية ، المصدر السابق ص ٣٤-٣٦ ، جداول
١٤ ، ١٦ .

(١٧) وزارة التخطيط ، الدائرة التربوية والاجتماعية ، المصدر السابق ، ص ٤ :

(١٨) مديرية الخدمات الطبية العامة ، قوائم غير منشورة .

(١٩) وزارة التخطيط ، الدائرة التربوية ، قسم تخطيط الخدمات ، المصدر السابق ، ص ٥ .

(٢٠)

CHAO — Introduction to Statistics, 1980-Brook
/ Cole publishing Company - California,
p 320-335.

(٢١) الاتحاد العام لنساء العراق ، سنكرتارية الدراسات والبحوث ،
التخطيط لاحتياجات الطفولة في الخليج العربي ، دراسة مقدمة الى
الدورة الخامسة ، لجنة المرأة العراقية ، جامعة الدول العربية
المنعقدة في البصرة في ٢٣ - ٢٦ تشرين أول ١٩٧٦ دراسة رقم (٢) ،
ص ١٧ .

(٢٢) اوتورف ، اولويات الطفولة في الدول النامية ، بيروت ، ص ٣ .

الضرورة الشعرية وأثرها في شرح ابن عقيل على الألفية

الدكتور عبد الجبار جعفر القزاز
كلية الآداب / جامعة بغداد

المقدمة :

المعروف أن للشعر لغة خاصة قد تتفق أو تختلف عن لغة النثر ،
وللشاعر تجوزات أو رخصات سميت بالضرورة لا يجوز للمتكلم استعمالها
في النثر ، لأن الشعر موطن اضطرار ، فإن كان فيه مخالفة للقياس
والاصول عدت ضرورة خاصة بالشاعر ، كما عدت شذوذاً خارجاً عن
القياس تحفظ ولا يقاس عليها في الكلام المنشور .

والشعراء - كما يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي - أمراء الكلام
يصرفونه أنى شاءوا ، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى
وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده ومد المقصور وقصر الممدود والجمع
بين لغاته والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلت اللسان عن وصفه ونعته
والأذهان عن فهمه وإيضاحه ، فيقربون البعيد ، ويبعدون القريب ويحتج
بهم ولا يحتج عليهم ويصورون الباطل في صورة الحق والحق في صورة
الباطل (١) .

والشعر بعد هذا منبع مهم من منابع الاستشهاد في اللغة والنحو

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء / لحازم القرطاجني ص ١٤٣ - ١٤٤
(تحقيق د. محمد الحبيب / تونس ١٩٦٦) .

والصرف، وقد استعان العرب به لتفسير ما يتطلبه التفسير من كتاب الله وحديث نبيه وأقوال الصحابة والتابعين ... وقد جاء في حديث الرسول (ص) : « ان من الشعر لحكمة ، فاذا أبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فانه عربي »^(١) ، وهو ديوان العرب وبه حفظت الانساب وعرفت المآثر حتى قل فيه عمر بن الخطاب (رض) : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه »^(٢) .

وقد بينت كتب الادب والبلاغة والتقد منزلة الشعر في حياة العرب ، وأشارت الى اهميته في بيان فصاحة لغتهم .

وعلى الرغم من المزايا التي خصها علماء العربية للشعر والشعراء ، فقد جرى خلاف بين النحاة والبلاغيين والعروضيين في ما يحتاج به من الشعر وما تبنى عليه القواعد والأصول ، ففيه ضرورات تستحسن أو تستقبح ، أدت الى خلاف بينهم في ما جاز للشعراء ارتكابه منها وما امتنع .

وخصصت كتب مستقلة وأبواب في مباحث نحوية ولغوية وبلاغية ونقدية تعنى بالضرورات الشعرية وما يحق للشاعر دون الناثر ، ولا أظن كتابا نحويا من كتب الأصول أغفل هذا الباب - باب الضرورة الشعرية - ، فهذا سيوييه امم النحاة خصص في كتابه (الكتاب) أكثر من باب لما يجوز للشعراء ارتكابه في الشعر ولا يجوز للمتكلم استعماله في كلامه ونثره مثل (باب ما يحتمل الشعر)^(٤) و (باب وجوه القوافي في الانشاد)^(٥) و (باب

(٢) ورد هذا الحديث في لسان العرب / مادة (شعر) ، ولم أقف عليه بهذا النص في كتب الحديث المعتمدة ، والوارد فيها : ان من الشعر لحكمة .

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ص ٢٣ (تحقيق محمد شاكر / دار المعارف بمصر) .

(٤) الكتاب ٢٦/١ - ٣٤ (تحقيق هارون) .

(٥) نفسه ٢٠٤/٤ - ٢١٦ .

ما رخصت الشعراء في غير النداء اضطراراً^(٦) و (باب ما يجوز في الشعر من ايا ولا يجوز في الكلام)^(٧) . فضلا عن مواضع أخرى متفرقة في الكتاب .

وهذا ابن جني - عالم اللغة الكبير - يعقد باباً في كتابه الخصائص بعنوان (هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أولاً ؟)^(٨) ، وتكلم أبو حيان الاندلسي على الضرورة في خاتمة كتابه : ارتشاف الضرب من لسان العرب ، فعقد لها باباً كبيراً بعنوان (باب الضرائر ومبرراتها)^(٩) .

كما خصص علماء البلاغة والنقد والعروض أبواباً للضرورة الشعرية وأنواعها ، ومن هؤلاء : ابن رشيق في كتابه (العمدة) ، وأبو هلال العسكري في (الصناعتين) ، وقدامة بن جعفر في (نقد الشعر) ، وحازم القرطاجني في (منهاج البلغاء ..) وعلي بن عبدالعزيز الجرجاني في (الوساطة بين المتنبي وخصومه) وغيرهم^(١٠) .

ومن الكتب التي عنت بظاهرة الضرورة فقط كتاب (ما يجوز للشاعر في الضرورة) لأبي عبدالله محمد بن جعفر القزاز (ت ٤١٢)^(١١) ، وكتاب

(٦) نفسه ٢/٢٦٩ - ٢٧٤ .

(٧) نفسه ٢/٣٦٢ .

(٨) الخصائص لابن جني ١/٣٢٣ - ٣٣٥ (تحقيق محمد علي النجار) .

(٩) ارتشاف الضرب لأبي حيان الاندلسي ٣/٢٦٨ - ٣١٩ (تحقيق وتعليق د. مصطفى أحمد النماس) .

(١٠) ينظر الى : دراسات في كتاب سيبويه للدكتورة خديجة الحديثي ص ٨١ - ٨٢ .

(١١) حققه وقدم له المنجي الكعبي / الدار التونسية للنشر ١٩٧١ ، وطبع أيضاً بتحقيق د. محمد زغلول سلام ود. محمد مصطفى هدارة / منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٣ .

(ضرائر الشعر) لابن عصفور الاشيلي (ت ٦٦٩)^(١٢) الذي يعد من المصادر المهمة في الضرورة الشعرية لاحتوائه على كثير منها ، ولغزارة شواهد النحوية التي يحتوي عليها ، ولبنائه على خطة محكمة في التصنيف وترتيب الموضوعات ، كما أن عبدالقادر البغدادي قد عول عليه كثيراً وجعله من المصادر الأساسية في كتابه الكبير (خزانة الأدب)^(١٣) .

وتنبه الباحثون المحدثون على أهمية الضرورة الشعرية في ميادين الأدب واللغة والنحو فألف المرحوم محمود شكري الالوسي كتاب (الضرائر وما يسوغ للشاعر دون النثر)^(١٤) .

وكتبت الدكتورة خديجة الحديثي بحثاً بعنوان (الضرورة الشعرية) في كتابها دراسات في كتاب سيبويه^(١٥) ، وعقد الدكتور خالد عبدالكريم جمعة فصلاً بعنوان (الشعر والضرورة) في رسالته للدكتوراه الموسومة (شواهد الشعر في كتاب سيبويه)^(١٦) .

ومن الكتب المهمة التي عالجت قضية الضرورة الشعرية باعتبارها أثراً للعلاقة بين الشاعر واللغة ومظهراً من مظاهر الارادة الشعرية لفهم العمل الأدبي كتاب (الضرورة الشعرية - دراسة اسلوبية -) للسيد

(١٢) حققه السيد ابراهيم محمد / دار الاندلس / بيروت ١٩٨٠ (الطبعة الاولى ٧)

(١٣) من مقدمة المحقق لكتاب ابن عصفور ص ٧ (الطبعة الثانية ١٩٨٢) .
(١٤) طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة (١٣٤١ هـ) بشرح الاستاذ محمد بهجة الاثري .

(١٥) طبع في القاهرة سنة ١٩٨٠ ونشرته وكالة المطبوعات في الكويت .
(١٦) حصل المؤلف بها على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة سنة ١٩٨٠ وطبعت سنة ١٩٨٠ .

إبراهيم محمد (١٧) .

ومن الدراسات الجامعية التي خصصت لبحث ظاهرة الضرورة رسالة الدكتور عبدالوهاب العدواني الموسومة (الضرورة الشعرية - دراسة لغوية نقدية) (١٨) .

الضرورة عند علماء العربية :

الضرورة لغة اسم لمصدر الاضطرار وهو الاحتياج الى الشيء أو اللجوء اليه ، والضروري : كل ما تمس اليه الحاجة وكل ما ليس منه بد (١٩) . ومنه قولهم (الضرورات تبيح المحظورات أو المحظورات) . ومن هذا المعنى أخذ مصطلح الضرورة الشعرية . . ، وقد أدى إطلاقه على ظاهرة الخروج عما هو مطرد من الاستعمال اللغوي في الشعر الى الربط بين هذا المصطلح ومصطلح (الضرورة الشرعية) ، كما أدى ذلك الى خضوع مسألة الضرورة لفكرة الوزن والقافية ، مما سوغ لبعض النحاة أن يعد مثل هذه الظاهرة أثراً من آثار عجز الشاعر وقصور لغته وافتقاره الى القدرة على الأخذ بناصية اللغة نتيجة الخروج على قواعد النحو وأصوله ، فحصرت الضرورات في الزيادة والنقص والتقديم

(١٧) طبع في بيروت / دار الاندلس ١٩٨٠ ، وهذا الكتاب بحث ممتع وجاد واستطاع فيه مؤلفه أن يتتبع رأي سيبويه في الضرورة ويستجلي الكثير من آراء النحويين الذين جاؤوا بعده ، فربط بين الضرورة والبحث اللغوي والنحوي ، ودرس هذه الظاهرة دراسة أسلوبية .

(١٨) نال بها المؤلف درجة الدكتوراه من كلية الآداب / جامعة بغداد سنة ١٩٨١ .

(١٩) ينظر الى لسان العرب / مادة (ضرر) والمعجم الوسيط مادة (ضرورة) و (ضروري) .

والتأخير وما الى ذلك (٢٠) .

واختلف علماء النحو في معنى الضرورة الشعرية فذهب بعضهم الى أن الضرورة هي ما وقع في الشعر مما ليس للشاعر عنه مندوحة (٢١) ، وذهب آخرون الى أن الضرورة هي ما وقع في الشعر دون النثر سواء كان عنه مندوحة أم لا (٢٢) .

والمتبع لكلام سيبويه في المواضع التي تعرض فيها لذكر الضرورة يرى انه ممن يرون ان الضرورة شيء خاص بالشعر سواء أكان للشاعر عنه مندوحة أم لا ، لأن كثيرا من الشواهد التي أوردها في أقسام الضرورة المختلفة من تلك الشواهد التي وردت فيها روايات أخرى تخرجها من مجال الضرورة ، ومع ذلك لم يذكر سيبويه شيئا من تلك الروايات في كتابه . وعبارة سيبويه (وليس شيء يضطرون اليه الا وهم يحاولون به وجهاً) (٢٣) تدل بوضوح على أن الضرورة ليست شيئا يبتدعه الشاعر ابتداءً ، وانما هي تركيب يضطر اليه الشاعر في سياق العمل الابداعي محاولاً به التعبير عما في نفسه بصورة مخالفة لصور التعبير المألوفة ، دون أن يخرج بذلك عن سنن العربية ، بل لا بد من أن تكون هناك صلة بين ما يقوله - ضرورة - وما يقوله وهو في حال الاتساع ، أي عند استخدامه للكلام المنشور ...

فالضرورة اذن في مفهوم سيبويه ليست شيئا مباحا للشعراء دون

(٢٠) ينظر الى مقدمة كتاب : الضرورة الشعرية للسيد محمد ابراهيم ص ٨ - ٩ .

(٢١) المندوحة معناها السعة والفسحة . / لسان العرب (ندح) .

(٢٢) ينظر الى الضرائر للالوسي ص ٦ - ٩ (المسألة الاولى في تعريف الضرورة) .

(٢٣) الكتاب ٣٢/١ .

صوابه ، بل ينبغي أن تكون هناك حدود فاصلة ، اذا خرج عنها الشاعر صار كلامه بعيداً عن العربية ، داخلاً تحت باب ما يسمى باللحن او الخطأ .

ومما يدل على أن الضرورة عند سيويه لا تصح الا اذا قامت صلات متينة بينها وبين ما يجوز في اللغة ، تلك الاجازات التي أجازها سيويه للشعراء في حال الضرورة دون أن يأتي لها بشواهد من الشعر ، بل قاسها على ما يجوز في كلام العرب المنشور ، وعلى غيرها من الضرورات ، وكان رائده في ذلك كله حساً عميقاً وبصراً باللغة مكيناً (٢٤) .

فالشاعر - عند سيويه - لا يخرج عما عليه الاستعمال اللغوي للفاظ والعبارات الا ليلغ بالتعبير مستوى آخر من مستويات الاستعمال الواقعة في اللغة أي ان الشاعر يظل محدوداً بدائرة اللغة لا يتجاوزها (٢٥) .
ولضرورة - عنده - ترجع الى أمرين هما : المشابهة بين شيئين ، ورد الشيء الى أصله . والى هذا أشار السيوطي بقوله : (علة الضرائر التشبيه لشيء بشيء أو الرد الى الأصل) (٢٦)

ومعظم النحاة بعد سيويه يرون أن الضرورة هي ما وقع في الشعر دون النثر سواء أكان عنه مندوحة أم لا ، ومن هؤلاء ابن جني وابن عصفور وابو حيان وابن هشام وغيرهم . وقد عبر ابن جني نيابة عن الفراء حين سئل الأخير : لم جاز في الشعر ولم يجز في الكلام ؟ فقال أبو عثمان : (ان العرب قد تلزم الضرورة في الشعر في حال السعة ، أنساً بها واعتياداً

(٢٤) ينظر الى شواهد الشعر في كتاب سيويه للدكتور خالد عبدالكريم ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٢٥) ينظر الى : الضرورة الشعرية للسيد محمد ابراهيم ص ١٣ .

(٢٦) الاشباه والنظائر للسيوطي ٢٢٥/١ (الطبعة الثانية / حيدر آباد ١٣٥٩ هـ) .

لها ، واعداداً لها لذلك عند وقت الحاجة إليها (٢٧) .

وذهب نحاة آخرون الى أن الضرورة هي ما وقع في الشعر مما ليس للشاعر عنه مندوحة ، ومن هؤلاء ابن مالك (صاحب الألفية) ورد عليه بعض النحاة منهم أبو حيان فقال : (لم يفهم ابن مالك من قول النحويين في ضرورة الشعر فقال في غير موضع ليس هذا البيت بضرورة لأن قائله متمكن من أن يقول كذا وكذا ، ففهم أن الضرورة في اصطلاحهم هو اللجوء الى الشيء فقال انهم يلجؤون الى ذلك اذ يمكن أن يقولوا كذا) (٢٨) ، كما رد على ابن مالك آخرون لسنا بصدد ذكر أقوالهم ، وسنتبع رأي صاحب الألفية في الضرورة الشعرية من خلال كتابه الألفية والتسهيل وسنشير الى أوجه الخلاف بينه وبين ابن عقيل مشارح ألفيته .

ومن علماء البلاغة والنقد من عد الضرورة رخصة كما فعل ابن رشيق في العمدة وأبو هلال العسكري في الصناعتين ، وعدّها آخرون من عيوب الشعر كما فعل قدامة بن جعفر في نقد الشعر وعلي بن عبدالعزيز الجرجاني في الوساطة بين المتبني وخصومه ، والقزاز في (ما يجوز للشاعر في الضرورة) (٢٩) .

الضرورة الشعرية عند ابن عقيل :

يعد ابن عقيل (بهاء الدين عبدالله بن عبدالرحمن العقيلي المصري

(٢٧) الخصائص ٣/٣٠٣ .

(٢٨) الاشباه والنظائر للسيوطي ١/٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢٩) ينظر الى مواضع هذه الاقوال وأقوال أخرى في كتاب : دراسات في كتاب سيبويه للدكتورة خديجة الحديثي ص ٩٦ - ٩٨ .

الهمداني المتوفى سنة ٦٧٩هـ (٣٠) من أشهر شراح ألفية ابن مالك (الخلاصة) ، وقد اخترنا هذا الشرح لوضوح عبارته وسهولة أسلوبه وكثرة انتشاره حتى عد من مصادر النحو المتداولة لدى قراء العربية وطالبي علومها ، فحقق رواجاً لم يحققه كتاب نحوي آخر ، فاكثفي به عن أكثر شروح الألفية . وكفانا أبو حيان الاندلسي - وهو شيخ ابن عقيل - مؤونة الاستطراد في بيان منزلة الرجل العلمية ومهارته النحوية اذ قال فيه قوله المشهورة : مات تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل .

وسنذكر - فضلا عن شواهد الضرورة عند ابن عقيل - رأي ابن هشام الأنصاري في شواهد الضرورة من كتابه أوضح المسالك ، لأن الشارحين متعاصران وكلاهما شرح الألفية ولكل منهما رأي في مسألة الضرورة الشعرية .

اما رأي ابن مالك فنستخلصه من كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد المدون مع شرح ابن عقيل على التسهيل والمسمى بـ (المساعد) (٣١) .

شواهد الضرورة (٣٢) :

١ - كسر نون جمع المذكر السالم والملحق به :-

(٣٠) ينظر في ترجمته الى بغية الوعاة للسيوطي ٤٧/٢ (تحقيق ابي الفضل ابراهيم / القاهرة ١٣٨٤هـ) . وينظر أيضا الى مقدمة المساعد على تسهيل الفوائد / الجزء الاول ص ز - ط ، ومقدمة شرح ابن عقيل على الالفية ص ٧ - ٩ (تحقيق محمد محي الدين) .

(٣١) طبع المساعد بتحقيق وتعليق الدكتور محمد كامل بركات ونشره مركز البحث العلمي واهياء التراث الاسلامي بمكة المكرمة سنة ١٤٠٠هـ .

(٣٢) لم نخرج أبيات الضرورة الشعرية لكثرة دورانها في كتب النحو

— عرفنا جعفرًا وبني أبيه
وانكرنا زعانف آخسرين

.....

— أكل الدهر حل وارتحال
أما يبقى علي ولا يقيني

وماذا تبقي الشعراء مني
وقد جاوزت حد الأربعين

حق نون الجمع وما ألحق به الفتح وقد تكسر شذوذاً •• وليس
كسرهما لغة خلافاً لمن زعم ذلك^(٣٣) • ويرى ابن هشام أن الكسر جائز
في الشعر بعد الياء^(٣٤) • وعد ابن مالك كسر النون ضرورة لا تسوغ
الا في الشعر^(٣٥) •

٢ - الضمير المتصل بعد الا:

— أعوذ برب العرش من فئة بفت

علي فما لي عوض إلاه ناصر

— وما علينا اذا كنت جارتنا

أن لا يجاورنا الاك ديار

لا يقع الضمير المتصل بعد الا في الاختيار ، وقد جاء شذوذاً في

بدءاً من كتاب سيبويه الى يومنا هذا ، وكفانا المرحوم محمد محي الدين
عبد الحميد صنعاً ، في هامش شرح ابن عقيل المسمى (منحة الجليل)
حين فصل الكلام على الشواهد وعزاها الى قائلها وبين موطن
الاستشهاد فيها •

(٣٣) شرح ابن عقيل ٦٧/١ - ٦٨ •

(٣٤) أوضح المسالك لابن هشام ٤٩/١ •

(٣٥) المساعد ١٠٦/١ •

الشعر^(٣٦) ، والذي عليه أكثر النحويين أن اتصال الضمير بـ الا
ضرورة ، وفي كلام بعضهم ما يقتضي أنه مقيس^(٣٧) . وهو شاذ لا يقاس
عليه عند ابن مالك^(٣٨) ، وضرورة عند ابن هشام^(٣٩) .

٣ - مجيء الضمير منفصلاً مع امكان الاتيان به متصلاً (فصل الضمير في
موضع الفصل) :

— بالباعث الوارث الأموات قد ضمنت

اياهم الأرض في دهر الدهارير

في البيت ضرورة اتفاقاً - عند ابن مالك وابن عقيل وابن هشام -
ولولا الضرورة لقال : ضمنتهم^(٤٠) .

٤ - حذف نون الوقاية مع (ليس ، ليت ، عن ، من وقد)

— عدت قومي كعديد لطيس

إذ ذهب القوام الكرام ليسي

الحذف شاذ عند ابن عقيل^(٤١) ، وجائز عند ابن مالك^(٤٢) ،
وضرورة عند ابن هشام^(٤٣) .

وفي البيت شاهد آخر هو مجيء الخبر ضميراً متصلاً ولا يجوز عند

(٣٦) شرح ابن عقيل ٨٩/١ - ٩٠ .

(٣٧) و (٣٨) المساعد ١٠٦/١ .

(٣٩) أوضح المسالك ٦١/١ .

(٤٠) المساعد ١٠٨/١ - ١٠٩ ، شرح الالفية لابن عقيل ١٠١/١ ، أوضح

المسالك ٦٦/١ .

(٤١) شرح الالفية ١٠٨/١ - ١٠٩ .

(٤٢) المساعد ٩٦/١ .

(٤٣) أوضح المسالك ٧٨/١ - ٧٩ .

جمهرة النحاة الا منفصلا ، فكان يجب عليه أن يقول : (ليس اياي) (٤٤) .

— كمنية جابر اذ قال ليتي
أصادفه وأتلف جلّ مالي

الحذف نادر عند ابن عقيل (٤٥) وجائز عند ابن مالك (٤٦) وضرورة
عند سيبويه (٤٧) وابن هشام (٤٨) .

— أيها السائل عنهم وعني
لست من قيس ولا قيس مني

الحذف شاذ عند ابن عقيل (٤٩) وجائز للضرورة عند ابن
مالك (٥٠) .

— قدني من نصر الخبيين قدي
ليس الامام بالشحيح الملحد

اجتمع الحذف والاثبات ، والحذف قليل عند ابن عقيل (٥١) ، وجائز
للضرورة عند ابن مالك (٥٢) وابن هشام يرى أن الاثبات هو الغالب ،

(٤٤) شرح الالفية (هامش المحقق) ١٠٩/١ - ١١٠ .

(٤٥) المصدر السابق ١١١/١ .

(٤٦) المساعد ٩٦/١ .

(٤٧) الكتاب ٣٧٠/٢ (تحقيق هارون) .

(٤٨) أوضح المسالك ٨١/١ .

(٤٩) شرح الالفية ١١٤/١ .

(٥٠) المساعد ٩٥/١ - ٦٦ . وقال ابن الناظم في البيت المذكور انه من

وضع النحويين وشكك ابن هشام فيه اذ قال : (وفي النفس من هذا

البيت شيء) ، ووجه الشك لديهما هو اجتماع من وعن على لغة غير

مشهورة . ينظر الى هامش شرح الالفية لابن عقيل ١١٤/١ .

(٥١) شرح الالفية ١١٥/١ .

(٥٢) المساعد ٩٦/١ - ٩٧ .

• ويجوز الحذف فيه قليلا ولا يختص بالضرورة خلافا لسيبويه (٥٣) .

٥ - دخول الألف واللام على الفعل المضارع

— ما أنت بالحكم الترضى حكومته

ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

وهذا شاذ عند ابن عقيل ، ومخصوص بالشعر عند جمهور
البصريين (٥٤) ، وعند ابن مالك يكون اختيارا ولا يختص بالشعر ،
وخالف في ذلك النحويين ، وجعله اختيارا لان الشاعر عنده غير مضطر ،
اذ يمكن أن يقول : ما أنت بالحكم المرضي (٥٥) .

٦ - وصل (أل) بالجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) والظرف

— من القوم الرسول الله منهم

لهم دانت رقاب بني معد

— من لا يزال شاكرا على المعه

فهو حر بعيشة ذات سعه

• وهذا شاذ عند ابن عقيل (٥٦) ، وضرورة عند ابن مالك (٥٧) .

(٥٣) أوضح المسالك ٨٦/١ . والبيت من شواهد سيبويه في الضرورة
المختصة بالشعر . قال : وقد جاء في الشعر : قطي وقدي . فأما
الكلام فلا بد فيه من النون ، وقد اضطر الشاعر فقال قدي ، شبهه
بحسبي ، لان المعنى واحد . (الكتاب ٣٧١/٢) .

(٥٤) شرح الالفية ١٥٦/١ - ١٥٨ .

(٥٥) المساعد ١٥٠/١ .

(٥٦) شرح الالفية ١٥٨/١ - ١٦٠ .

(٥٧) المساعد ١٥٠/١ .

جاء التقديم شذوذاً عند ابن عقيل ، لأن اللام لها الصدارة في
٧ - وصل (أل) بالعلم الجنسي وباتمييز الذي يجب أن يكون نكرة •

— ولقد جنيتك أكمؤاً وعساقلا

ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

— رأيك لما أن عرفت وجوهنا

صددت وطبت النفس ياقيس عن عمرو

وهذه الزيادة ضرورة شعرية اتفاقاً ، عند ابن مالك وابن هشام
وابن عقل (٥٨) •

٨ - تقديم الخبر المحصور بـ (الا) على المبتدأ •

— قيا رب هل الا بك النصر يرتجى

عليهم ، وهل الا عليك المعول

جاء التقديم شذوذاً عند ابن عقيل (٥٩) ، وفي غير الاختيار عند ابن
مالك (٦٠) وضرورة عند ابن هشام (٦١) •

والأصل : هل المعول الا عليك ؟

٩ - تقديم الخبر على المبتدأ المتصل بلام الابتداء •

— خالي لأنت ، ومن جرير خاله

ينل العلاء ويكرم الأخوالا

(٥٨) المساعد ١٩٨/١ - ١٩٩ ، أوضح المسالك ١٢٧/١ - ١٣٠ ، شرح
الافية ١٨٢/١ - ١٨٣ ، وفيه أن المبرد زعم أن (بنات اوبر) ليس
بعلم ، فالالف واللام عنده غير زائدة ، وذهب الكوفيون الى جواز
كون التمييز معرفة (طببت النفس) فـ (أل) عندهم زائدة •

(٥٩) شرح الافية ٢٣٥/١ •

(٦٠) المساعد ٢٢١/١ •

(٦١) أوضح المسالك ١٤٧/١ - ١٤٨ •

الكلام (٦٢) •

- ١٠- اثبات تاء التأنيث بعد الفضل بين الفعل والفاعل المؤنث بـ (الا) •

— طوى النحر والأجزاء ما في غروضها
وما بقيت الا الضلوع الجراشع

- عند ابن عقيل والجمهور لا يجوز اثبات التاء الا في الشعر (٦٣) •
واثباتها عند ابن مالك ضعيف ، والأفضل الحذف (٦٤) • وقد تجنى ابن
عقيل على ابن مالك - في هذا الموضع • وألزمه بمذهب معين قد لا يكون
ذهب اليه ، لأن هذه المسألة خلافة بين علماء النحو (٦٥) •

- ١١- حذف تاء التأنيث من الفعل المسند الى ضمير المؤنث المجازي •

— فلا مزنة اودقت ودقها
ولا أرض أبقل ابقالها

- الحذف مخصوص بالشعر عند ابن عقيل (٦٦) • وهو كذلك عند
ابن هشام (٦٧) • واستشهد به سيويه (٦٨) ، وهو في ما يجوز للشاعر

(٦٢) شرح الالفية ٢٣٧/١ •

(٦٣) المصدر السابق ٨٩/٢ - ٩٠ (والمقصود بـ ٢ : الجزء الثاني من
المجلد الاول وليس المجلد الثاني) •

(٦٤) المساعد ٣٨٩/١ • وقال ابن مالك في الفيته (والحذف مع فصل
بـ الا فضلا ...) •

(٦٥) ينظر الى هامش محقق شرح ابن عقيل ٩١/٢ •

(٦٦) شرح الالفية ٩٢/٢ •

(٦٧) أوضح المسالك ٣٥٤/١ •

(٦٨) الكتاب ٤٦/٢ •

عند القزاز (٦٩) .

١٢- انابة الجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول به

— لم يعن بالعلياء الا سيدا

ولا شفى ذا الغي الا ذو هدى

وهذه الانابة شاذة أو مؤولة عند ابن عقيل^(٧٠) ، وغير جائزة عند

ابن هشام^(٧١) ، وغير صحيحة عند ابن مالك — وقد ترد عنده^(٧٢) ،

وجائزة عند الكوفيين والافخش^(٧٣) ، واستدلوا لذلك بقراءة ابي جعفر

« ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون »^(٧٤) .

١٣- حذف حرف الجر ونصب الاسم المجرور . (تعدي الفعل اللازم

بغير حرف) .

— تمرن الديار ولم تعوجوا

كلامكم علي اذا حرام

وهذا الحذف قليل عند ابن عقيل ، وتقديره : تمرن بالديار .

ومذهب الجمهور أنه لا يقاس عليه^(٧٥) . وقد يجرى مجرى المتعدي

شذوذاً أو لكثرة الاستعمال أو لتضمن معنى يوجب ذلك^(٧٦) . والبيت

(٦٩) ما يجوز للشاعر في الضرورة ١٢٣ .

(٧٠) شرح الالفية ١٢١/٢ .

(٧١) أوضح المسالك ٣٧٩/١ .

(٧٢) المساعد ٣٩٨/١ ، واستدلوا بقوله : ولا ينوب بعض هذي ان وجد

في اللفظ مفعول به وقد يرد .

(٧٣) شرح الالفية ١٢١/٢ — ١٢٣ .

(٧٤) الآية ١٤ من سورة الجاثية .

(٧٥) شرح الالفية ١٥٠/٢ — ١٥١ .

(٧٦) المساعد ٤٢٨/١ .

من شواهد ابن عصفور في الضرائر (٧٧) .

١٤- اثبات الضمير العائد الى متأخر وهو ليس عمدة في تنازع العاملين والمعمول واحد .

— اذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب
جهاراً فكن في الغيب أحفظ للمهد

وألغ أحاديث الوشاة ، فقلما
يحاول واش غير هجران ذي ود

اثبات الضمير في مثل هذا الموضع شاذ في الكلام مخصوص بالشعر
عند ابن عقيل (٧٨) ، وعند ابن هشام والجمهور ضرورة (٧٩) ، وهو جائز
عند ابن مالك (٨٠) ، وذكر أبو حيان البيت في شواهد الضرورة ثم قال :
وأجاز ذلك بعضهم في الكلام (٨١) .

١٥- حذف ضمير النصب من العامل الثاني في باب الاعمال اذا أعمل
الأول .

— بكذا يعيش الناظر
من اذا هم لمحو شاعه

حذف الضمير هنا شاذ عند ابن عقيل (٨٢) ، وضرورة عند ابن

(٧٧) ضرائر الشعر ١٤٦ .

(٧٨) شرح الالفية ١٦٣/٢ - ١٦٥ .

(٧٩) أوضح المسالك ٣١/٢ .

(٨٠) المساعد ٤٥٦/١ .

(٨١) ارتشاف الضرب ٢٩١/٣ . والبيت المذكور ضرورة عند الاشموني

أيضا . حاشية الصبان على الاشموني ١٠٥/٢ .

(٨٢) شرح الالفية ١٦٥/٢ .

هشام^(٨٣) ، وجائز عند ابن مالك^(٨٤) . ومن شواهد الضرورة عند أبي حيان الاندلسي^(٨٥) .

١٦- خروج سوى عن الظرفية .

- ولا ينطق الفحشاء من كان منهم
إذا جلسوا منا ولا من سوائنا

- واذا تباع كريمة أو تشتري
فسواك بائعها وانت المشتري

- ولم يبق سوى العدو
ن دناهم كما دانوا

- لديك كفيل بالني لمؤمل
وان سواك من يؤمله يشقى

قال ابن عقيل : ومذهب سيبويه والفراء وغيرهما أن (سوى) لا تكون الا ظرفاً . . . وانها لا تخرج عن الظرفية الا في ضرورة الشعر ، وما استشهد به على خلاف ذلك يحتمل التأويل^(٨٦) .

وذهب ابن هشام الى ما ذهب اليه الرماني والعكبري ما أن (سوى) تستعمل ظرفاً غالباً وكـ (غير) قليلاً^(٨٧) . ورأي ابن مالك أنها كـ (غير) تعامل بما تعامل به (غير) من الرفع والنصب والجبر ، فالأصح

(٨٣) أوضح المسالك ٢٧/٢ .

(٨٤) المساعد ٤٥٦/١ .

(٨٥) ارتشاف الضرب ٣٠٩/٣ .

(٨٦) شرح الالفية ٢٢٦/٢ - ٢٣٠ .

(٨٧) أوضح المسالك ٧٢/٢ .

عنده عدم ظرفيتها ولزومها النصب^(٨٨) .

١٧- دخول حرف الجر (حتى) على الضمير (الكاف) .

— فلا والله لا يلفي أناس

فتى حثاك يا ابن أبي زياد

وهذا شاذ عند ابن عقيل^(٨٩) وهو عند البصريين ضرورة^(٩٠) ،
وعند ابن هشام كذلك^(٩١) .

والبيت من شواهد الضرورة عند ابن عصفور^(٩٢) وأبي حيان^(٩٣) .

١٨- دخول حرف الجر (الكاف) على الضمير (الهاء) .

— خلي الذنابات شمالا كتبها

وأم أو عال كها أو أقربا

— ولا ترى بعلا ولا حلائلا

كه ولا كهن الا حاظلا

وهذا شاذ عند ابن عقيل^(٩٤) ، وهو من شواهد سيويه في

(٨٨) المساعد ٥٩٤/١ .

(٨٩) شرح الالفية / المجلد الثاني (م) / ص ١١ .

(٩٠) المساعد / ٢٧٣/٢ .

(٩١) مغني المليب ١٢٣/١ (تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد / المكتبة التجارية / القاهرة) .

(٩٢) ضرائر الشعر ٣٠٩ .

(٩٣) ارتشاف الضرب ٣٣٨/٣ .

(٩٤) شرح الالفية م ١٣/٢ - ١٤ .

الضرورة^(٩٥) ، وكذلك عند القزاز^(٩٦) وابن عصفور^(٩٧) وابي حيان^(٩٨) .

١٩- تسكين عين (مع) .

— فريشي منكم وهواي معكم

وان كانت زيارتكم لماما

زعم سيبويه أن تسكين العين ضرورة شعرية^(٩٩) ، ورد ابن عقيل عليه زاعماً أن من العرب من يسكنها وهي لغة ربيعة^(١٠٠) .
٢٠- الفصل بين المضاف والمضاف اليه بأجنبي من المضاف .

— كما خط الكتاب بكف — يوماً —

يهودي يقارب أو يزيل

وهذا الفصل ضرورة شعرية — اتفاقاً — عند ابن عقيل وابن هشام وابن مالك^(١٠١) ، وعند سيبويه قبلهم^(١٠٢) ، وهو كذلك في كتب

(٩٥) الكتاب ٣٨٤/٢ - ٣٨٥ وفيه : (ان الشعراء اذا اضطروا أضمرُوا في الكاف فيجرونها على القياس . قال العجاج (الابيات) شبهوه بقوله له ولهن . ولو اضطّر شاعر فأضاف الكاف الى نفسه قال : ما أنت كي . وكى خطأ ، من قبل أنه ليس في العربية حرف يفتح قبل ياء الاضافة) .

(٩٦) ما يجوز للشاعر في الضرورة ١٧٨ - ١٧٩ .

(٩٧) ضرائر الشعر ٣٠٨ .

(٩٨) ارتشاف الضرب ٣٣٨/٣ .

(٩٩) الكتاب ٢٨٧/٣ .

(١٠٠) شرح الالفية م ٧٠/٢ .

(١٠١) المصدر السابق م ٨٣/٢ ، أوضح المسالك ٢٣٢/٢ ، المساعد

٣٦٧/٢ .

(١٠٢) الكتاب ١٧٩/١ .

الضرورة الشعرية (١٠٣) •

٢١- الفصل بين المضاف والمضاف اليه بنعت المضاف •

— نجوت وقد بل المرادي سيفه

من ابن ابي شيخ الأباطح طالب

— ولئن حلفت على يديك لأحلفن

يمين أصدق من يمينك مقسم

وهذا الفصل ضرورة كذلك عند ابن عقيل وابن هشام وابن مالك (١٠٤) •

٢٢- الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالنداء •

— وفاق كعب بجير منقذ لك من

تعجيل تهلكة والخلد في سقر

— كأن برذون أبا عصام

زيد حمار دق باللجام

وهذا الموضع ضرورة - اتفاقا - كسابقه •

٢٣- التوين بالرفع في المنادى المفرد العلم المبني :-

— سلام الله يا مطر عليها

وليس عليك يا مطر السلام

وهذه الضرورة متفق عليها عند النحاة (ابن عقيل (١٠٥) وابن

(١٠٣) ينظر على سبيل المثال - الى ضرائر ابن عصفور ١٩٢ وما يجوز

للشاعر في الضرورة للقرآز ٣٥ •

(١٠٤) ينظر الى الهامش (١٠١) •

(١٠٥) شرح الالفية م ٢٦٢/٢ •

هشام^(١٠٦) وابن مالك^(١٠٧) وغيرهم^(١٠٨) واثبتوها كتب
الضرورات^(١٠٩) .

٢٤- التنوين بالنصب في المنادى المفرد العلم المبني :

— ضربت صدرها الى وقالت :

يا عدياً لقد وقتك الأواقي

وهذه الضرورة متفق عليها أيضاً عند النحاة وأصحاب كتب

الضرورة^(١١٠) .

٢٥- الجمع بين حرف الندال وأل في غير اسم الله تعالى .

— فيا الغلامان اللذان فُرا

ايا كما أن تعقبانا شرا

(١٠٦) أوضح المسالك ٨٤/٣ .

(١٠٧) المساعد ٥٠١/٢ .

(١٠٨) الخليل وسيبويه والمأزني يختارون التنوين بالرفع ، وإلى هذا

يذهب الفراء ويختاره . أما أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب

وعيسى بن عمر وأبو عمر الجرمي فينشدونه بتنوين النصب . ينظر

إلى أمالي الزجاجي ٥٤ (الطبعة الأولى / القاهرة ١٣٢٤هـ) وبيت

الضرورة المذكور من شواهد سيبويه في الكتاب ٢٠٢/٢ ، والمبرد

في المقتضب ٢١٤/٤ ، وتعلب في مجالسه ٩٢ ، ٥٤٢ (تحقيق

هارون / دار المعارف / الطبعة الأولى) .

(١٠٩) ينظر مثلاً إلى ضرائر الشعر لابن عصفور ٢٦ وما يجوز للشاعر

في الضرورة للقرظ ٦١ وخزانة الأدب للبغدادي ٢٩٤/١ (طبعة

بولاقي ٢) .

(١١٠) ينظر إلى المصادر السابقة في الهامشين الآخرين .

وهذا الجمع ضرورة صريحة عند ابن عقيل (١١١) وابن هشام (١١٢) وابن مالك (١١٣) . وفي اجزء هذه الضرورة في الكلام خلاف بين الكوفيين والبصريين (١١٤) .

٢٦- الجمع بين حرف النداء (يا) والميم المشددة التي تأتي عوضاً عنها .

— اني اذا ما حدث ألما

أقول : يا اللهم يا اللهما

وهذا الجمع شاذ عند ابن عقيل (١١٥) ، وضرورة نادرة عند ابن هشام (١١٦) ، وقال فيه ابن مالك (وشذ في الاضطرار : يا اللهم)
قل ابن عقيل : وهذا قول البصريين ، وأجاز الكوفيون ذلك في الكلام لأن الميم عندهم ليست عوضاً (١١٨) .

٢٧- استعمال الأسماء المخصوصة بالنداء في غير النداء .

— تفضل منه ابلي بالهوجل

في لجة أمسك فلاناً عن قل

(١١١) شرح الالفية م ٢٦٤/٢ .

(١١٢) أوضح المسالك ٨٥/٣ - ٨٦ وفيه : (ولا يجوز ذلك في النشر خلافاً للبغداديين) .

(١١٣) المساعد ٥٠٢/٢ - ٥٠٣ وفيه : (لا يباشر حرف النداء في السعة ذا الالف واللام ... خلافاً للكوفيين في اجازة ذلك مطلقاً) .

(١١٤) ينظر الى الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ٣٣٥/١ - ٣٣٦ (تحقيق محي الدين / المكتبة التجارية / ط ٤ / ١٣٨١ هـ) .

(١١٥) شرح الالفية م ٢٦٥/٢ .

(١١٦) أوضح المسالك ٨٤/٣ .

(١١٧) المساعد ٥١١/٢ .

(١١٨) المصدر السابق ٥١١/٢ .

وهذا الاستعمال ضرورة عند ابن عقيل^(١١٩) وابن هشام^(١٢٠) ،
وابن مالك وعبارته الاخير : (أمسك فلاناً عن فل وقعيدته لكاع من
الضرورات)^(١١١) ، وهي اشارة الى بيت الشعر المذكور .
٢٨- زيادة الهاء بعد الالف التي تلحق المندوب .

— ألا عمرو عمراه

وعمر و بن الزبيران

اثبات الهاء ضرورة عند ابن عقيل^(١٢٢) ، ويقاس عليه عند ابن
مالك^(١٢٣) ، وفقاً لمذهب يونس والقراء وبعض الكوفيين ، وذهب سيويه
والخليل وعامة البصريين الى أنه لا يجوز ذلك^(١٢٤) .

٢٩- ترخيم الاسم في غير النداء .

— نعم الفتى تعشوا الى ضوء ناره .

طريف بن مال ليلة الجوع والخصر

وهذه الضرورة جائزة باتفاق النحويين على لغة من لا ينوي رد
المحذوف خلافاً للمبرد^(١٢٥) . وصرح بهذه الضرورة ابن عقيل وابن

(١١٩) شرح الالفية م ٢٧٨/٢ .

(١٢٠) أوضح المسالك ٩٢/٣ - ٩٣ وفيه (قال ابن مالك : هو فل الخاص
بالنداء استعمل مجروراً للضرورة ، والصواب أن أصل هذا (فلان)
وانه حذف منه الالف والنون للضرورة .

(١٢١) شفاء العليل في ايضاح التسهيل لابي عبدالله السلسيلي ٨٢٥/٢ .

(١٢٢) شرح الالفية م ٢٨٥/٢ .

(١٢٣) المساعد ٥٣٨/٢ .

(١٢٤) شفاء العليل للسلسيلي ٨٢١/٢ .

(١٢٥) ينظر الى ضرائر الشعر لابن عصفور ١٣٦ ، وشفاء العليل
٨٣١/٢ .

هشام وابن مالك (١٢٦) .

٣٠- تأكيد الفعل المضارع الواقع بعد (لم) ، والواقع بعد أداة شرط غير (اما) .

— يحسبه الجاهل ما لم يعلم (١٢٧)
شيخاً على كرسية معصما
— من تتقن منهم فليس بآيب
أبدأ وقتل بني قتيبة شافي

وهو قليل، عند ابن عقيل (١٢٧) ، وأقل عند ابن هشام (١٢٨) ، وقليل عند ابن مالك في ألفيته (١٢٩) ، وجائز عنده في تسهيله (١٣٠) . وضرورة عند سيويه (١٣١) وابن عصفور (١٣٢) والقزاز (١٣٣) .

٣١- صرف ما لا ينصرف .

— تبصر خليلي هل ترى من طعائن
سوالك نقباً بين حزمي شععب

(١٢٦) شرح الالفية م ٣٠٩/٢ - ٣١١ ، أوضح المسالك ١٣٤/٣ - ١٣٥ ، شفاء العليل ٨٣١/٢ .

(*) يريد : يعلمن فأبدل النون ألفا في الوقف .

(١٢٧) شرح الالفية م ٣٠٩/٢ - ٣١١ .

(١٢٨) أوضح المسالك ١٣٤/٣ - ١٣٥ .

(١٢٩) استدلالا بقوله في الالفية : ... وقل بعد (ما ، ولم) وبعد (لا) .

(١٣٠) استدلالا بقوله في التسهيل : (ويلحق به النفي بلا منفصلة وبلم) المساعد ٦٦٨/٢ .

(١٣١) الكتاب ٥١٦/٣ .

(١٣٢) ضرائر الشعر ٢٩ - ٣٠ .

(١٣٣) ما يجوز للشاعر في الضرورة ١٦٩ .

أجمع البصريون والكوفيون على هذه الضرورة وهي كثيرة ، وورد أيضاً صرف ما لا ينصرف للتناسب كقوله تعالى « سلالا وأغلالا وسُمعيرا » (١٣٥) . وقال ابن مالك في التسهيل ، (وزعم قوم أن صرف ما لا ينصرف مطلقاً لغة) (١٣٦) : وحكى الأخفش أن من العرب من يصرف في الكلام جميع ما لا ينصرف قال : وكأنها لغة الشعراء ، جرت ألسنتهم في الكلام على ما يضطرون إليه في الشعر (١٣٧) .

٣٢- منع صرف المنصرف .

— ومن ولدوا عام

من ذو الطول وذو العرض

ذكر ابن عقيل أن هذه الضرورة أجازها قوم ومنعها آخرون وهم أكثر البصريين (١٣٨) . وصرح ابن مالك بهذه الضرورة بقوله : (ويمنع صرف المنصرف اضطراراً خلافاً لأكثر البصريين) (١٣٩) وقيل إن أحمد بن يحيى (ثعلب) أشد شعراً فيه منع ما ينصرف فقليل له : هذا موضوع ، لأن فيه منع المنصرف ، فقال هذا جائز في الكلام ، فكيف في

(١٣٤) الآية ٤ من سورة الانسان .

(١٣٥) شرح الالفية لابن عقيل م ٣٣٩/٢ .

(١٣٦) شفاء العليل (شرح التسهيل) ٩١٠/٢ .

(١٣٧) المساعد ٤٤/٣ . وينظر الى ضرائر الشعر لابن عصفور ص ٢٥

وفيه أن الاخفش زعم أنه سمع من العرب من يصرف في الكلام جميع

ما لا ينصرف ، وحكى الزجاجي أيضاً في نوادره مثل ذلك .

(١٣٨) شرح الالفية م ٣٤٠/٢ .

(١٣٩) شفاء العليل ٩١٠/٢ وينظر الى الانصاف في مسائل الخلاف

٤٩٣/٢ (المسألة ٧٠) .

الشعر (١٤٠) ؟

٣٣- فعل الشرط مضارع وجوابه ماض .

— من أكدني بسىء كنت منه

كالشجا بين حلقه والوريد

وهذا قليل عند ابن عقيل (١٤١) ، وجائز في سعة الكلام عند ابن مالك (١٢٤) ، وقليل عند ابن هشام في (اوضح المسالك) وفيه ان ابن مالك رد في هذه الاجازة مع الأكثرين ، اذ خصوا هذا النوع بالضرورة (١٤٣) .

٣٤- فعل الشرط مضارع مجزوم وجوابه مضارع مرفوع .

— يا أقرع بن حابس يا أقرع

انك ان بصرع اخوك تصرع

وهذا ضعيف عند ابن عقيل (١٤٤) وابن هشام (١٤٥) وابن مالك (١٤٦) . واستشهد سيويه باليت على أنه جائز في الشعر (١٤٧) . وهو من شواهد الضرورة (على حذف الفاء) عند ابن عصفور (١٤٨)

(١٤٠) المساعد ٤٤/٣ .

(١٤١) شرح الالفية م ٣٧١/٢ .

(١٤٢) شفاء العليل ٩٦٦/٣ .

(١٤٣) اوضح المسالك ١٩٠/٣ وعبارة التسهيل (ولا يختص نحو ان

تفعل فعلت بالشعر خلافا لبعضهم) شفاء العليل ٩٦٦/٣ .

(١٤٤) شرح الالفية م ٣٧٤/٢ .

(١٤٥) اوضح المسالك ١٩٢/٣ .

(١٤٦) قال في الالفية :

وبعد ماض رفعك الجزا حسن ورفعته بعد مضارع وهن

(١٤٧) الكتاب ٦٧/٣ .

(١٤٨) ضرائر الشعر ١٦٠ .

والقزاز (١٤٩) .

٣٥- حذف الفاء في جواب أما التفصيلية .

— فأما القتال لا قتال لديكم
ولكن سيراً في عراض المواكب

والحذف - عند ابن عقيل - يكون في الشعر والنثر بكثرة
وبقلة (١٥٠) ، وعند ابن هشام في الضرورة (١٥١) ، وابن مالك يرى أن
الفاء (لا تحذف في السعة الا مع قول يغني عنه محكيه .) (١٥٢)

٣٦- مد المقصور (١٥٣)

— يا لك من تمر ومن شيشاء
ينشب في المسعل واللهاء

وهذا الموضع ضرورة عند ابن عقيل ، واختلف في جوازه ، فذهب
البصريون الى المنع وذهب الكوفيون الى الجواز (١٥٤) . ولم يرجح ابن
مالك أو ابن هشام أيهما من الرأيين واكتفيا بأن هذا الموضع فيه خلاف .
والييت من شواهد الضرورة عند ابن عصفور (١٥٥) والقزاز (١٥٦) .

(١٤٩) ما يجوز للشاعر في الضرورة ١١٩ .

(١٥٠) شرح الالفية ٣٩١ - ٣٩٢ .

(١٥١) أوضح المسالك ٢٧/٣ .

(١٥٢) المساعد ٢٣٦/٣ . وحذف الفاء عند المبرد ضرورة . المقتضب

٧١/٢ .

(١٥٣) أما قصر الممدود فلا خلاف بين البصريين والكوفيين في عده ضرورة .

(١٥٤) شرح الالفية م ٤٤٠/٢ - ٤٤١ .

(١٥٥) ضرائر الشعر ٣٩ .

(١٥٦) ما يجوز للشاعر في الضرورة ٩٠ .

٣٧- تسكين عين جمع المؤنث السالم والقياس الفتح •

— وحملت زفرات الضحى فأطلقتها

ومالي بزفرات العشي يدان

وهذا ضرورة عند ابن عقيل (١٥٧) وابن مالك (١٥٨) ، وضرورة
حسنة عند ابن هشام (١٥٩) •

وبعد هذه الجولة في الضرورة الشعرية وشواهدا عند ابن عقيل
وآراء علماء العربية في هذا الباب أقول : ان ابن عقيل استشهد في شرحه
لألفية مالك بالكثير من أبيات الضرورة وكان يطلق على قسم كبير منها
مصطلح (الشذوذ) أو جاء (شذوذاً) في الشعر ، وهذا شاذ لا يقاس
عليه ... الخ ، وقد يصرح بالضرورة في القليل منها ولا سيما في الشواهد
المتفق عليها بين النحاة واللغويين والنقاد ، وهناك - في ما أعلم - فرق بين
الشذوذ والضرورة ، فالشذوذ لا يرجع فيه الى الأصل ولا ينحصر في لغة
الشعر ، وهو (أي : الشذوذ) القليل النادر الذي يشذ عن الأصول ، والذي
أفهمه من الضرورة الشعرية أن فيها رجوعاً الى فكرة الأصل أو المشابهة
بين شيئين - كما صرحنا في بداية البحث - ... ، ويخيل الي من تتبع
كلام سيويه في الكتاب ومن تحليلاته وتعقيباته أن الضرورة ظاهرة لغوية
أدبية كأيّة ظاهرة لا تقوم دليلاً على قصور لغة الشاعر وعجزه عن استيفاء
الحق الأدنى من قواعد اللغة وضوابطها وأصولها في عمله الابداعي
(الشعر) • ولم أجد - وقد أكون على وهم - ما يوحي الي أن الضرورة
الشعرية عند سيويه تعني ضرورة الوزن - كما استتج ذلك بعض
النحاة - ، فلا اعتبار عنده - وهو التلميذ النجيب لمبتدع علم العروض

• (١٥٧) و (١٥٨) شرح الألفية م ٢٠٠/٤٥٠ •

• (١٥٩) أوضح المسالك ٢٥١/٣ •

وواضع أسسه - لفكرة الوزن في الباب الذي أفردده للضرورة وسماه
(باب ما يحتمل الشعر) فضلا عن ذكر الكثير من الشواهد التي يقول
فيها وقد جاء في الشعر ... وهذا مختص بالشعر ... وهذا في
الاضطرار ... الخ •

وخلاصة القول مما تقدم ذكره وما تصورناه أنه لا ضير من مراجعة
أخرى لأفكار سيويه في مسألة الضرورة فقد كان رائدا في تفسير كثير من
ظواهر العربية بعد أن نهل من علم شيخه الخليل وغيره •

وتبقى لي كلمة أقولها قبل أن أنهي البحث وهي أن ابن هشام -
في ما تتبعناه كان أكثر وضوحا من ابن عقيل في مسألة الضرورة ، ولم
يتردد في قولها •

أما ابن مالك فقد كان مجوزاً لقسم من الضرورات ليس في الشعر
فقط بل في سعة الكلام أيضا •

مصادر البحث ومراجعته

- ١ - القرآن الكريم •
- ٢ - ارتشاف الضرب من لسان العرب / ابو حيان الاندلسي / تحقيق د. مصطفى أحمد النحاس / الطبعة الأولى ١٩٨٩ / المؤسسة السعودية بمصر •
- ٣ - الاشباه والنظائر / السيوطي / الطبعة الثانية / حيدر آباد ١٣٥٩ هـ •
- ٤ - الأمالي / الزجاجي / الطبعة الأولى / القاهرة ١٣٢٤ هـ •
- ٥ - الانصاف في مسائل الخلاف / ابن الأنباري / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد / الطبعة الرابعة / ١٣٨١ هـ •
- ٦ - أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك / ابن هشام الأنصاري / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد / الطبعة الخامسة ١٩٦٦ / دار احياء التراث / بيروت •
- ٧ - بغية الوعاة / السيوطي / تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم / القاهرة ١٣٨٤ هـ •
- ٨ - حاشية الصبان على شرح الأشموني / دار احياء الكتب العربية / مصر •
- ٩ - خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب / عبدالقادر البغدادي / طبعة بولاق ١٢٩٩ هـ •
- ١٠ - الخصائص / ابن جني / تحقيق محمد علي النجار / الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ / دار الكتب المصرية •
- ١١ - دراسات في كتاب سيويه / د. خديجة الحديثي / نشر وكالة المطبوعات في الكويت / طبع القاهرة ١٩٨٠ •

- ١٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك / المجلد الأول (الجزء الأول والثاني) / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد / الطبعة ١٦ / دار الفكر / بيروت ١٩٧٤ •
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك / المجلد الثاني / تحقيق محمد محي الدين / الطبعة ١٤ / مطبوع السعادة مصر ١٩٦٥ •
- ١٣- شفاء العليل في ايضاح التسهيل / أبو عبدالله محمد بن عيسى السلسيلي / دراسة وتحقيق د. الشريف عبدالله البركاتي / الطبعة الأولى / بيروت ١٩٨٦ •
- ١٤- شواهد الشعر في كتاب سيويه / د. خالد عبدالكريم جمعة / الطبعة الأولى / القاهرة ١٩٨٠ •
- ١٥- ضرائر الشعر / ابن عصفور الأشيلي / تحقيق السيد ابراهيم محمد / الطبعة الثانية / دار الاندلس / بيروت ١٩٨٢ •
- ١٦- الضرائر وما يسوغ للشاعر دون النثر / السيد محمود شكري الألوسي / شرح محمد بهجة الأثري / المطبعة السلفية / القاهرة ١٣٤١ هـ •
- ١٧- الضرورة الشعرية - دراسة لغوية نقدية / د. عبدالوهاب العدواني رسالة دكتوراه مطبوعة بالآلة الكاتبة قدمت الى جامعة بغداد كلية الآداب ١٩٨١ •
- ١٨- الضرورة الشعرية - دراسة أسلوبية - / السيد ابراهيم محمد / دار الاندلس / الطبعة الثانية / بيروت ١٩٨١ •
- ١٩- طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي / تحقيق محمد شاكر / دار المعارف بمصر •
- ٢٠- الكتاب / سيويه / تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون / الطبعة الثانية ١٩٨٨ / مكتبة الخانجي / القاهرة •

- ٢١- لسان العرب المحيط / ابن منظور / اعداد يوسف خياط / دار
لسان العرب / بيروت •
- ٢٢- ما يجوز للشاعر في الضرورة / أبو عبدالله محمد بن جعفر القزاز /
تحقيق وتقديم المنجي الكعبي / الدار التونسية للنشر ١٩٧١ •
- ٢٣- مجالس ثعلب / أبو العباس ثعلب / تحقيق عبدالسلام هارون / دار
المعارف / النشرة الأولى •
- ٢٤- المساعد على تسهيل الفوائد (شرح التسهيل) / ابن عقيل / تحقيق
د. محمد كامل بركات / نشر مركز البحث العلمي و احياء التراث /
مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ •
- ٢٥- مقني اللبيب / ابن هشام الانصاري / تحقيق محمد محي الدين
عبدالحميد / المكتبة التجارية / القاهرة •
- ٢٦- المقتضب / المبرد / تحقيق محمد عبدالخالق عزيمة / القاهرة
١٩٦٣ - ١٩٦٨ •
- ٢٧- منهاج البلغاء وسراج الأدباء / حازم القرطاجني / تحقيق محمد
الحبيب ابن الخوجه / تونس ١٩٦٦ •

دراسة نفسية

لشخصية المتنبي من خلال شعره

عبدالخالق نجم

د. عبد علي الجسماني

جامعة بغداد

الموضوع وأهميته :

ان القيمة الفنية أو الادبية للاديب ولما ينتج من ادب تتمثل في مقدار ابداعه . وان علم النفس ليعنى عناية خاصة بدراسة العمليات النفسية عند الاديب ، ما دامت النفس البشرية هي المفازة التي تتكون فيها مختلف مبدعات العلم والفن . وان الباحث النفساني يتوخى ان يقسر طريقة تكون العمل الفني وهو في الوقت ذاته يرمي الى ان يكشف عن العوامل التي تجعل من شخص معين اديبا أو شاعرا مبدعا . فالتحليل النفسي الذي تجده في آثار الادباء والشعراء وعلماء الاخلاق هو تحليل مفعم بالملاحظات الصحيحة والايضاحات الدقيقة . ولكن ينبغي ان يعرزه في البرهان قوانين يقينية مستقاة من نوابض النفس بوصفها اصدق في (الافصاح عن ذاتها . وينبغي ان يعد ما يبدهه الشاعر أو الاديب نموذجا تتمثل به نوازه المراد اثباتها . فكل اثر ادبي انما هو مصور جميل لحالة نفسية ، لا بل هو مصدر شخصي تتكشف فيه دواخل الشاعر أو الاديب . فالسايكولوجيا الادبية انما هي عملية ذاتية وموضوعية في آن واحد ذلك لان غاية التحليل الذي تستند اليه ليست استنباط المعاني البسيطة المجردة التي تتألف منها النفس ، وانما هي ابراز حالاتها المشخصة الكثيرة العدد . وهي في

الوقت نفسه جزئية شخصية ، بالإضافة الى كونها كلية عامة ، لان الاديب الذي يصور الظواهر النفسية فيما ينظم شعرا أو فيما يكتب من قصص وروايات لا يمكن بحال من الاحوال ان يكون بمنأى عن تفاعلات الحياة ، ولا قيمة لتحليل المختص بعلم النفس لآثار الاديب من الوجهة الادبية الا اذا نسب ما ابداع من حالات نفسية عامة الى شخص بعينه . فقصاصد المتنبي تتمثل للقارىء بثوب الحياة المتعدد الالوان وجمال شعره يتجلى في المحافظة على ألوان مشخصة في ابداعه :

فغاية الاديب انما هي تحقيق الجمال فضلا عن اظهار نوازع النفس وكل من المحلل النفساني لآثار الاديب والاديب وما ابداع انما يمثلان وحدة متكاملة . وان علم النفس لا يكتفي بالحدس الشخصي بل يعتمد على التحليل الحقيقي وصولا الى العناصر التي تجلت وحدات كلية فيما ابدعه الشاعر أو الاديب .

ولهذا فأن المختص بعلم النفس يهتم بمعالجة مهمات شتى ولكنه في هذا المضمار قد يوجه عنايته الى مهمتين منفصلتين متميزتين ، فضلا عن انه معني بالتعرض لهما بطريقتين مختلفتين اختلافا جوهريا ، وهذا جانب اشار اليه « يونج » (١) . والمسألتان اللتان يتصدى لهما المختص بعلم النفس ، هما ما الذي يجعل الاديب اديبا ؟ وما الذي يجعل الشاعر شاعرا ؟ وان كان عملهما متكاملا ولكن المواهب بين الناس تتفاوت وهذه من مهمات علم النفس ايضا . ويؤكد « يونج » و « ادلر » على سبيل المثال : ان العوامل الشخصية تؤثر في الشاعر تأثيرا كبيرا من ناحية اختياره لمادة نفسه الشعرية . ومما يكاد يجمع عليه النفسانيون هو ان الحرمان والالم ينشطان الموهبة ، ادبية كانت أو شعرية أو فنية . اذ ان الشاعر مثلا يعوض نفسه بشاعريته مما حرمته الحياة . ونحن حين نقرأ عن حياة المتنبي ندرك مقدار المعاناة التي قاساها جراء الاعراض عن مكانته واهميته

المتألفة . ولهذا فهو قد عوض عن ذلك بنشاط اجتماعي وهذا النشاط هو من ابداعه الذي قدمه للحياة الاجتماعية ، فضلا عن كونه صادرا عن ذات تغنت بنفسها وبأمجادها وابداعها . وقد عبر المتنبي عن قابلياته الحسية والعقلية تعبيرا يستحوذ على الاهتمام ويستأثر بالانتباه . فهو تسامى في شعره أحيانا وعبر عن اعتداد بالنفس في مواقف واعرب عن تلاؤم مع الحياة في موطن وتشكى من جور الحياة في مظان واوضح شيئا من النرجسية في بعض مواقف الحياة ، حتى كان يبدو « متكبرا ، شجاعا مغامرا » (٣) . ولا ينكر ان قوة شعره وقوة شخصيته انما ينعكسان في القوة الابداعية التي طاولته فوظفها بحيث راح يؤكد ذاته بالفاظ تمتاح من ينبوع عبقريته . وان علم النفس قد كشف لنا الى حد بعيد عن العلاقة بين شخصية الاديب أو الكاتب أو الشاعر وبين آثاره . وشعر المتنبي مراقب بوسعنا ان ننظر من خلالها الى حقيقة واقع شخصية المتنبي .

وكان العقاد قد اشار الى ذلك حديث قال : (الشاعر الذي لا نعرفه بشعره لا يستحق ان يعرف لان كلام الشاعر هو الصلة الكبرى التي بيننا وبينه وان لم يكن هذا الكلام معبرا عن نفسه . واصفا لها ممثلا لشعورها فليس هو بباطل . وان كان معبرا عن النفس مستجمعا لصفاتها واطوارها فهو حسبنا من معرفة بالشاعر وترجمة لحياته ، لا يزيد عليها التاريخ الا من قبيل التفصيل والتفسير ، أو من قبيل الحشو والفضول) (٤) . وتكأنم العقاد هذا كان قد مهد به الى رأي له عن المتنبي ويناقش فيه رأي الدكتور طه حسين في كتابه الموسوم (مع المتنبي) (٥) . ولكن مدخل كل من الاديبين الى المتنبي ومكانته الشعرية والادبية الرحبية ، هو مدخل من وجهة نظر ادبية خالصة . والمتنبي بوصفه « مالىء الدنيا وشاغل الناس » قد تناوله كثيرون بالبحث والنقد تاريخيا وادبيا ولغويا .

ولكن بحثنا في هذه الصفحات سينصب على شخصية المتنبي من

زاوية نفسية تحليلية استقراءً من شعره وهذا يسمح لنا بولوج براحت
آفاقه الشعرية ومعطيات حالاته النفسية ومرامي متسامقات خيالاته
الذهنية والفكرية انكفاءً على منظومه الشعري المنسلك في عقود نضيده .
اذ ان اهمية دراسة المتنبي من زاوية نفسية تنبجس من اهمية الشاعر
نفسه .

ولهذا فان نتائج السلوك الابداعي ان تكون موضوعاً للدراسة
وبعد الحكم على نتاج معين بأنه (ابداعي) يمكن اطلاق هذه الصفة عليه
وعلى السلوك الذي ابدعه . وهنا نكون بصدد التطبيق العملي للمبدع ولما
ابدع ، وما من احد يشك في جدوى هذا الاتجاه النفسي . واننا لنقرأ في
شعر المتنبي ما نسميه في علم النفس بـ (المرونة التلقائية) من حيث تسمية
الاشياء واستجلاب الاهتمام والقدرة الابداعية واطلاق الشحنات الانفعالية
واثراء اللغة والاصالة . والقدرة التلقائية هنا تتمثل في استعداد المتنبي
على امتياح افكار متجددة مع محاولة التخلص من القصور الذاتي الذي
يحول احياناً دون انطلاق الشاعر أو الاديب أو الفنان . وهنا نجد سمات
شخصية المتنبي متمثلة مجسمة في شعره فالمتنبي ما امثلك ناصية الشهر
لو لم يكن ظاهرة فريدة في بابهِ ، واستثناء متفرداً في شخصيته وفكره
ولبابه .

هدف البحث :

يرمي الباحثان في هذا البحث الى الكشف عن بعض جوانب شخصية
المتنبي استقراءً من شعره ، استهداءً بمعطيات علم النفس تحليلًا
واستنباطاً .

عقدود البحث :

اجريت هذه الدراسة ضمن اطار شعر المتنبي وقد استعان الباحثان

في هذا البحث بقراءة مستأنية لديوان المتنبي وما تناوله بعض الشراح بالدرس والتفسير امثال ابن جني ، وابرقوقي ، اليازجي (انظر الهوامش) .

وان كان ثمة اختلاف بين الشراح المذكورين حول بعض المفردات في شعر المتنبي ، ولنتمثل على سبيل الحصر لا الاطلاق ، اذ نجد اليازجي يذكر « لم يجد فوق نفسه من مزيد » في حين ان البرقوقي يذكر « ٠٠٠ لم يجد فوق نفسه من فريد » . وفي موضع آخر يذكر البرقوقي « وما الدهر الا من رواة قلائدي ٠٠ » الا ان اليازجي يذكر « وما الدهر الا من رواة قصائدي ٠٠٠ » . وان هذا الاختلاف لا يمس بحثنا بشيء ولا يدخل ضمن اختصاصه .

عينة البحث :

اقتصرت عينة البحث على ديوان المتنبي واره بعض الشراح والنقاد كما مر ذلك في حدود البحث .

دراسة الموضوع نفسيا :

حفلت حياة المتنبي منذ صباه بعوامل أثرت في شخصيته تأثرا اضحى واضحا فيما ابدع من شعر . ولتربيته الاولى عند المتتبع لشخصية المتنبي ككل جعلت شعره لا يتخذ صيغة متواترة واحدة ، ولعل التنوع في شعره اضفى عليه عنصر التشويق بعيدا عن الرتابة . وان قراءة شعر المتنبي لتدعو الى التدبر والروية ومراجعة القراءة . واننا لنجد جوانب نفسية كثيرة مبثوثة في شعره تحكي نوازع نفسه الطموحة المتطلعة الى مراقبي الحياة . اذ نجد شعره مليئا بالحب والبغض وتعشق الحرية والمديح والرثاء والهجاء . ولكن النزعة الوجدانية تشغل حيزا فسيحا في منظومة المكتنز بالمعاني التي تنضح تبرما بالحياة أو توجعا من آلام مبرحة

يقاسيها تيقناً منه بان له مكانة مرموقة تغافل عنها اناس كان يتمنى في قرارة نفسه لو انهم أقروا بها ليستيقن بانه لم يبخسه احد قدره في نفسه . وانه ليألم أشد الألم ويمضه أقوى المضاضة اذ يمتحن حدود بيئته التي يسعى في جنباتها فلا يرى هناك من يقر له بحق هو به حقيق . ولهذا فإنه اكثر في شعره من التوكيد على نوازع نفسية بواعثها حصيلة تفاعل نفسي وتربوي واجتماعي كونته مؤثرات بيئية مختلفة . اذ انه قد تقلب في دنياه في بيئات طبيعية ومادية وبشرية تفاوتت مكوناتها فانعكست اثارها عليه على نحو شعوري أو لا شعوري . وحسبنا ان نتناول في هذا السياق بعض الجوانب النفسية التي طفع بها شعره منها مثلاً :

الاعتداد بالنفس :

ان ادبيات علم (١٠) تشير الى ان التمييز بين

Self-Pride	الاعتداد بالنفس
Self-assertion	وتأكيد الذات
Vanity	والغرور
Self-respect	واحترام الذات
Self-reverence	واجلال الذات
Honour	والشرف
egoticism arrogance	والصلف

وستتحدث عن بعض هذه الجوانب في مواطنها المناسبة حيثما اقتضت الضرورة ذلك ، ولكن ما يعنينا من المقال في هذا المجال هو الحديث عن الاعتداد بالنفس كما هو موشى في منظوم التنبي . والاعتداد بالنفس يطلق على شكل من اشكال ترجيح الذات لدى المتكلم وتجعل المتحدث عن نفسه معتداً بها اعتداداً يتصل بطراز الشخصية . ذلك ان هناك طرزاً

متفاوتة ومختلفة للشخصية ، ولكن يجدر التأكيد هنا على طرازين اساسيين هما طراز المستقبل وطراز المنشئ . والطراز المستقبل هو الطراز الذي يتأثر دائما وقد لا يكون مبدعا . اما الطراز المنشئ فانه يعتد بنفسه وقد يتقبل التأثير ولكنه يحاول ان يضيف الاعتداد على البيئة . وقد وجد نتيجة للبحث النفسي المستقصي ان الاعتداد بالنفس هو ادعى الى الظهور وبشكل اوضح لدى الطراز المنشئ . وحينما نقرأ شعر المتنبي نجد ان الاعتداد بالنفس واضح المعالم ومحدد الملامح كقوله مثلا :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي
وبنفسي فخرت لا بجدودي

انا ترب الندى ورب القوافي
وسمام العدى وغيظ الحسود
انا في أمة تداركها الله
في غريب كصالح في ثمود

يستبين المرء من الأبيات الثلاثة الانفة قوة في الشخصية ترتكز الى اعتداد قد تأتي من نوازل الزمان التي احاقت بشاعرنا فوجد نفسه ازاء موقف تملي عليه ان ينبري للتذكير بانه عصامي في التكوين ، وانه حين يعقد بنفسه انما يبتغي اصفاء هذا الاعتداد على ذويه . وهذا يكسبه استشعارا مضاعفا من حيث القوة والتوجه والعطاء وتخطي عوائق الحياة ، بخلاف من يفاخر بجدود ولا يقتحم صعائب دنياه . اذ قد يفخر المرء بماضيه من جهة الجدود والاباء ولكنه يكون قعداً وفي هذه الحالة لا يابه به أحد . بيد ان المتنبي اراد في شعره ان يظهر على من كان يماريه . ولنقرأ قوله الاتي :

ولو برز الزمان الي شخصاً
لخضب شعر مفرقه حسامي
وما بلغت مشيئتها الليالي
ولا سارت وفي يدها زمامي
إذا امتلأت عيون الخيل مني
فويل في التيقظ والمنام

ان المتتبع لشعر المتنبي ينبغي ان لا يكتفي بظواهر اللفظ عنده ،
بل عليه ان يستقرأ ما تمور به نفسه منعكسة في منظوم نصيد ينضح
بنفس تواقه الى المجد والى اغتراف اعتراف الناس به انى حل وحيثما
ارتحل . فأننا نستقرأ هذا من قوله في الأبيات التالية :

ولو لم تكوني بنت أكرم والد
لكان أباك الضخم كونك لي أما
وما الجمع بين الماء والنار في يدي
بأصعب من أن أجمع الجد والفهما
كذا أنا يا دنيا اذا شئت فاذهبي
ويا نفس زيدي في كرائيها قدما
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني
ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما
وكذلك قوله :

يستعظمون أبياتا نأمت بها
لا تحسبن على أن ينام الأسد
لو أن ثم قلوبا يعقلون بها
أنساهم الذعر مما تحتها الحسدا

وكذلك قوله :

فلا أحارب مدفوعاً الى جذر
ولا اصالح مغروراً على دخن

وكذلك قوله :

ان ترمني نكبات الدهر عن كذب
ترم امراً غير رعديد ولا نكسي
فاعتداد المتنبي بنفسه ينطوي على الصورة الكلية - حسب رأي
مدرسة « الهيئة » الجشطالت . في علم النفس - لشخصيته بتكوينها
الكلّي فهي تحمل في ثناياها تفاصيل شتى يمكن للباحث النفساني ان ينفذ
من خلالها الى عالم المتنبي الداخلي والخارجي . وان مدرسة علم نفس
الهيئة ترفدها مدرسة التحليل النفسي . بصدد الصورة التي ينظر الانسان
من خلالها الى نفسه . اذ قد يقيم الفرد نفسه اكثر مما ينبغي وفي هذه
الحالة قد تبعده هذه النظرة عن عالم الواقع وربما ينظر الى ذاته نظرة
دونية فيقصر به الشوط عن ان يكون نافعا في المجتمع وفي الحالين نظرف
يحمل صاحبه على الشطط في السلوك والتصرف .

ولعل أخص الخصائص من وجهة نظر علم النفس هو ان يكون
الانسان متوازناً مع ذاته ومع بيئته « أن (الرأي) ينسجم مع الصورة
التي يكونها الفرد عن العالم ويحدد تفكيره وعاطفته وارادته ونشاطه » (١١)
ولنا مثل في ذلك من شعر المتنبي نفسه كما في الابيات التالية :

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا
بيتاً ولكني الهزبر الباسل
ما نال أهل الجاهلية كلهم
شعري ولا سمعت بسحري بابل

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بآني كامل
وكذلك قوله :

أذاقني زمني بلوى شرقت بها
لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا
وان عمرت جعلت الحرب والدة
والسمهري أخاً والمشرقي أبا
وكذلك قوله :

أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم
وجاهل مده في جهله ضحكي
حتى أتته يد قراسة وفنم
وكذلك قوله :

وأمضي كما يمضي السنان لطيتي
واطوي كما تطوى المجلحة العقد
وقوله :

وفؤادي من الملوك وان كا
ن لساني يرى من الشعراء
وقوله :

وكم من جبال جبت تشهد أنني ال
جبال وبحر شاهد أنني البحر

الاعتداد بالنفس في شعر المتنبي صورة حسية ولفظية . تعكس اركاناً مهمة من اركان شخصية المتنبي اذ انه يتبدى لنفسه من خلال رغبته في ان يراه الآخرون كما يشاء هو اولاً ، ومن حيث تصورنا لحكم الآخرين عليه استنباطاً من شعره هو ثانياً ، وان اعتداده بالنفس لاشك انه حاجة نفسية تبعث في حنايا ذاته شعوراً بالزهو ثالثاً . وان الحاجة الى احساس الانسان بأن يكون شيئاً مذكوراً في حياته يتباين فيه الافراد اذ يمتد بين الحالات المقبولة ويتواصل حتى يبلغ درجة الصلف ، ولكن المتنبي كان بعيداً عن صفة الصلف هذه اذ لو كان في شخصيته شيء منها لما احتل في مجالسته الامراء والقادة في زمانهم . وتاريخ الادب يتضمن شيئاً كثيراً من هذا . واعتداد المتنبي بنفسه كان يدفعه شعورياً أو لا شعورياً الى ان يرى نفسه منعكسة على (مرآة المجتمع) كما يذكر علم النفس الاجتماعي واننا لنرى نمط (الشخصية المنوالية) متمثلة في اعتداد المتنبي بذاته .

ان اعتداد المتنبي بنفسه يعزى الى احساس امرئ عرف قدر نفسه فهو بقدر اعتزازه بنفسه لم يشأ ان يرتكن تواكلاً على محتد مؤثّل بل أنه أراد لنفسه ان يثبت كينونة وجوده بعقله وجدّه وقوة بأسه في مقارعة خطوب الحياة وهذا شأن من يصنع تاريخ مجده بعصاميته . وان من كان هذا منهجه في الحياة فإنه يكون بمنأى عن الصلف والغرور الخادعين واذا كان هناك في شعره ما ينبئ بأنه شيء من غرور فانه يرقى الى مراقبة الاعتزاز بالذات ولا ينسلك في منظومة الغرور القائم على التبجح المتهالك . فشعره في هذه الحالة ينطوي على الم مكظوم سلكه في عقد منظوم يتوجع فيه على حق من حقوقه مهضوم . ولعل الباحث يلتبس له المعاذير لما لحقه من غمط اصابه في صميم الكرامة . ومثل المتنبي قمين بأن ينتفض شعراً هو كالفسي والنبال .

الترجسية في شعر المتنبي :

تحدثات ادبيات علم النفس عن الترجسية على وفاق الشمول وتبيان

ما يكتنف مصطلح (النرجسية narcissin) ، بحيث يتسنى للباحث المتأني ان يحيط - بقدر المستطاع - احاطة تنطوي على الابتعاد عن التغرض وعن النزعة الذاتية فيما ينتوي بحثه . فالنرجسية تعرف احيانا بانها : حب الذات ، أو المغالات في حب الذات . وتبدي النرجسية في مرحلة مبكرة من مراحل النمو النفسي وتتسم بالاهتمام بالنفس وتناقص الاهتمام بمن يحيطون بالفرد (١٢) الذي تأخذ الفرد بناصره . ولعلها تستحوذ احيانا على حياة فرد ما فتكتسب صفة (التثبيت Fixation) ، وعند ذاك يأخذ حب الذات بحياة الفرد من جميع اقطارها فيغدو لا يرى الا ما يتصل بحياته حبا منه لفرديته . بيد أن من النرجسية ما يمكن ان يطلق عليه النرجسية الصحية ، وتقترن هذه باحترام الذات والترفع عما يزري بالنفس وهذا جانب نراه ونجده واضحا في شعر المتنبي كقوله :

قضاة تعلم أني الفتى الـ

لذي آدخرت لصروف الزمان

على أن كل كريم يمان

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء

أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان

أنا ابن الفياfi أنا ابن القوافي

أنا ابن السروج أنا ابن الرعان

طويل النجاد طويل العماد

طويل القناة طويل السنان

حديد اللحاظ حديد الحفاظ

حديد الحسام حديد الجنان

ومجدي يدل بني خندق

يسابق سيفي منايا العباد
اليهم كأنهما في رهان
يرى حده غامضات القلوب
إذا كنت في هبوة لا أراني
سأجعله حكماً في النفوس
ولو ناب عنه لساني كفاني

وقال أيضا :

أي محل أرتقي
أي عظيم أتقي
وكل ما قد خلق
الله وما لم يخلق
محتقر في همتي
كشعرة في مفرقي

فمرجسية المتنبي ذاتية النزعة وليست في عداد المرجسية المرضية التي يشير اليها التحليل النفسي حينما يحاول ان يركز على الاستثناءات دون الالتفات الى المواقف العامة في دنيا الاناسي وهم يخطرون في رحاب المجتمع . ويجدر في هذا السياق ان نميز بين ما هناك من مرجسية اولية ومرجسية ثانوية تطبيقا لسياقات التحليل النفسي ، ففي المرجسية الاولى مثلا تكون الطاقة النفسية المفعمة بشحنات التكوين المزاجي المتضمن في التركيب الفسلجي للمرء موجهة نحو الذات من حيث التركيز ، اذ يثبت الليبيد ونحو ذاتية المرء فتتأى به مع كر الأيام وتواصل النمو البايولوجي عن التفاعل الاجتماعي كما ينبغي . بينما في المرجسية الثانوية يكون حب الذات مكتسبا شيئا من التوجيه الارادي والتربوي والاجتماعي فينزع المرء نزوعا اجتماعيا وذلك عن طريق الاستدماج . وتعزيزا لهذا نتمثل بقول

شاعرنا نفسه :

وكيف لا يحسد امروء علم
له على كل هامة قدم

وقوله :

أعط عنك تشبيهي بما وكأنه
فما أحد فوقني ولا أحد مثلي

وقوله :

اني أنا الذهب المعروف مخبره
يزيد في السبك للدينار دينارا

وهذا مما يسمح لنا بان نتكلم عن المتنبي بأن نرجسيته من الضرب الموضوعي ، اذ ان الطاقة الحيوية (الليبيدو) تنفصل عن مواضيعها في الواقع ، وبعبارة أخرى ان الفرد لا يتمكن من التوجه نفسيا الى موضوع خارجي حيث ان الليبيدو يبقى معلقا بين الموضوع الخارجي وذات الفرد الا انه في نهاية المطاف يرتد الى مصدره الذي يرتبط به وهو الذات (الانا) ، وهذا (الليبيدو الأنوي) ما يطلق عليه في التحليل النفسي (الليبيدو النرجسي) تميزا له عن الليبيدو الموضوعي (١٣) .

وتجدر الاشارة هنا الى حب الذات الثانوي ، فهذا الاخير يمكن ان يكون ستارا من الواقع يستطيع الفرد بواسطته رفض الـ (هم) او (الغير) . كما يمكن ان يكون حب الذات الثانوي محصلة انجازات حقيقية للفرد في حياته ، ويكون مصحوبا باحساس لا شعوري باحترام الذات ، ولا ينسب الى مثل هذه الحالة شيء من الشذوذ أو السلبية . ولكن يمكننا ان نلمس السلبية اذا كان الفرد موغلا في النرجسية ، فهو

يفقد شحنات المحبة عنده تكون من النوع الواهي ، أو انه يحب شخصا ولكن تحت شروط طفولية (١٣) . ومن هنا يمكن القول بان نرجسية المتنبي من النوع الطبيعي بدليل انه احب اباه واحب امه وجدته واصله واصدقاءه . ولغته والطبيعة وجمال الحياة . الخ . والأبيات التالية تعكس نرجسية المتنبي :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بأنني خير من تسعى به قدم

انا الذي نظر الاعمى الى أدبية
وأسمعت كلماتي من به صمم
وكذلك قوله :

ان أكن معجباً فعجباً عجيب
لم يجد فوق نفسه من مزيد

فالوقوف عند المتنبي يعني العجز ، ولهذا فإنه يتمرد على الحجز لكي ينقذ ذاته من الركود الميت ترفعا بها عما قد يشينها ولكي يصلها بالمستحيل . اذ انه يجعل من المصاولة لخطوب الحياة مهذا للمستقبل المستشرف .

فنرجسية المتنبي ليست مما ينال من مكانته الشعرية ولا يمكن أن تضاعف من براعته الفنية . اذ ان ابداعية المتنبي صرح خالد تتكسر عليه عواتي التخرصات التي قد يحاول احيانا بعض حاسديه ان يتدرع بها للافتئات على صولاته الشعرية المعززة لسمو نفسه واثر شعره في الادب العربي . وان نرجسيته لهي طبيعة فنية للموهبة التي تحكي ابداعا قصديا متماسكا بعيدا عن الابداع العرضي الذي تتهافت مكوناته امام

النقد ، فالمتنبي مثلاً قد تجلت عبقريته في التنظيم النفسي لما يتوخى قوله
في المواطن المناسبة .

الارادة والتصميم في شعر المتنبي :

الفعل الارادي will - act من وجهة نظر نفسية يعد تأكيداً
لاشباع دافع تأكيد الذات ، وينطوي على مغزى السلوك الخارجي الذي
ينم عما يعمل داخل الذات . والارادة تنشأ مع الفرد عادة متفاعلة مع
طموحه ومع عزمه ومع ما ينزع من قرار وكل هذا ينسلك في سياق
الاسباب التي تنشأ في بيئة الفرد منذ نشأته فيغدو متطلعا الى افاق في
الحياة عراض . وغالبا ما تكون الدوافع التي تهمز الفرد الى ان ينزع
نزعه يجسم فيها اركان اعتبار الذات كما يكون قد استقاها من منبع
ارومته . والمتنبي واحد من هؤلاء الذين تنبأ اثارهم بان بهم توقانا
مشبوحا الى ان يستلقت الاهتمام الى رفعتها الاجتماعية التي احرزها بفضل
جهاده واجتهاده . وان هذا هو شأن المتنبي . فلنقرأ مثلاً قوله :

ولكن قلبا بين جنبي ماله
مدى ينتهي بي في مراد أحده
يرى جسمه شفوفا تربه
فيختار ان يكسى درعا تهده
وأني اذا باشرت أمرا أريده
قدانت أقاصيه وهان أشده

فالارادة هنا مشبعة بالحزم والعزم والتصدي لخطوب الزمان الذي
يتطلب فعالية انسانية ذات اواليات - ميكانزمات - متعددة الجوانب
يشد بعضها ازر بعض وكلها مفعمة بالارادة ، والارادة في هذا المضمار

ومن احد تعريفاتها هي : عمل موجه نحو غاية حافلة بالتسامي والنزوع الى السمو . و ارادة المتنبي في هذا المجال هي ارادة القوة في الشخصية وفي المقصد وهي ارادة الحياة ولا تخرج عن سمة الاخلاق . وفي علم النفس الذي يهتم بموضوع الارادة والاخلاق نجد ما يشير الى ان فعل الانسان الذي يسعى فيه الى خير لذاته ولحياته ولكانته الاجتماعية ولمجتمعه ، ينطوي على كل ما يسمو بالانسان وكل ما يشيع في ثنايا نفسه شعورا فتتجلى ارادة القوة في نفسه ، فيرى نفسه متمثلة سلوكا ملحوظا أو ملفوظا واليك هنا قول المتنبي :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيدا وما قولي كذا ومعى العبر'

وأشجع مني كل يوم سلامتي
ولا ثبتت الا وفي نفسها أمر

تمرست بالآفات حتى تركتها
تقول أمات الموت ام دعر الذعر

وأقدمت اقدام الاتي كأن لي
سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر

وانى امتزجت الارادة بالاخلاق ، وتفاعلت الاخلاق مع الارادة في مسيرة الانسان الحياتية فانها لا تزري بصاحبها حين تهمس في جنباته نياته النزاعة الى اثبات وجوده وهو له حق منحه اياه الحياة . والحياة السامية تحدد بصاحبها الى ان يلج منافذ دنياه حتى من اضيق ابوابها كي يجني الوجود اسمى ما فيه عندما ينشد حقا له مشروعا . ولنا ان نتمثل هنا بقول المتنبي عن نفسه :

ان نيوب الزمان تعرفني
أنا الذي طال عجمها عودي
وفي ما قارع الخطوب وما
آنسني بالمصائب السود

وكذلك قوله :

أبدأ أقطع البلاد ونجمي
في نحوس وهمتي في سعود

وكذلك قوله :

كأني دحرت الارض من خبرتي بها
كأن بنى الاسكندر السد من عزمي

وكذلك قوله :

قد هون الصبر عندي كل نازلة
ولين العزم حد المركب الخشن

فالتصميم في الابيات الخمسة آنفة الذكر بائن عند المتنبي وغايته
الانسانية هي خلق انسانيته وتحديد معالمها امام الآخرين وكأنه يريد ان
يقول لهم ان من أولى غايات الوجود الانساني ان يكون ذا ارادة متبصرة
وتصميم يرتقي به الى ما يسمو بشخصيته تأكيداً لارادته وتحقيقاً لذاته
ولنا هنا ان نتمثل بقوله :

يحاذرني حتفي كأني حتفه
وتنكرني الأفعى فيقتلها سمي
طوال الردينيات يقصفها دمي
وبيض السريجات يقطعها لحمي

وقوله :

ومرهف سرت بين الجحفلين به
حتى ضربت وموج الموت يلتطم
الخيـل والليل والبـداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقوله :

تحقر عندي همتي كل مطلب
ويقصر في عيني المدى المتطاوـل
وما زلت طودا لا تزول مناكبي
الى أن تبدت للضيم في زلازل
فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا
قلاقل عيس كلهن قلاقل

وقوله :

الي لعمري قصد كل عجيبة
كأني عجيب في عيوب العجائب
فالمتنبي في الابيات الانفة يـجـرد من ذاته ذاتا اخرى تلاحظ الذات
الداخلية عنده فتكون (الانا) هنا هي المضمـار الذي ينبغي ان ينصب
عليه اهتمام الباحث في شعر المتنبي بصورة عامة ومن ينقب في ثناياه عن
ارادته الصلبة بصورة خاصة . وان من يقرأ شعر المتنبي بحثا عن العزم
والتصميم وقوة الارادة ليتراعى له (التـداعي الطليـق) في شعره ينـثـال انـثـيـلا
فيـسـطـر بنات أفكاره في عقود يحار من يتملاها ايها يختار وايها يستثني .
وان المختص بعلم النفس حين يقرأ شعر المتنبي يقف على حقائق الـوشـائـج
الوطيدة بين (الهذا) أو (الهو) أو (الهـي) المتأصلة في رواسخ ذاته من

جهة وبين (اناه العليا) من جهة أخرى ، وفي ما بين هذين النسقين من جبلته بحدودها المرسومة تتجلى المعالم الإدراكية الخاصة بهذا الشاعر العلم .

اتهام المتنبي بالغرور :

الغرور في علم النفس ، رضا عن الذات مبالغ فيه ، في الوقت الذي لا يملك الفرد من المقومات ما يجعله على ان يرى ذاته أكبر مما هي عليه في واقعها الحقيقي . ولعل الفرد يكون مدفوعا بدوافع لا شعورية الى ان يعوض عن قصور يحسه في دواخل نفسه . وانه في الغالب ليمثل احساسا بالذات يتجاوز فيه صاحبه المؤلف فيبلغ مبلغ التطرف وهذا يتكون في واقعه من عناصر ترسبت في أعماق النفس فكونت متراكمات لا شعورية تتبدى في السلوك على صورة تصرف يجانق المؤلف ويجانب جادة القيم والصواب بصورة مغالى فيها ، وكثيرا ما يكون هذا تعبيرا عن مشاعر تنم عن شعور بالقصور . وتدل على ضعف في ثنايا شخصية الشخص الذي تنساب هذه الجوانب الى ثنايا تكوينه الشخصي ، فتتسربل شخصية الشخص بخصال وسمات لا يسيغها الذوق . ان مكونات الغرور تنشيء عن تداخل يشمل الجوانب الفطرية عند الفرد والتنشئة التربوية والاجتماعية . ففي الغرور اذاً يكمن تحبيذ الذات وترجيح كفتها . فان حصل ترجيح يبلغ حد المغالاة التي تنحدر الى مهاوي الصلف فيكاد يختلط الغرور بالصلف ما ينفر الناس من الفرد الذي تتمثل فيه مظاهر الغرور ، الذي تتلاشى فيه الفواصل بينه وبين الصلف .

بيد ان ما يرمي به المتنبي احيانا من غرور يستشفه القارئون في بعض قصائده لا يمكن بحال من الاحوال ان يحسب من نوع الغرور الذي تتمثل فيه خصله السماجة . وان غرور المتنبي هو غرور شخص اخنى عليه الدهر بكللكه فناءت نفسه باثقال الهموم . اذ وجد المتنبي نفسه في

اوساط ارتحل فيها وضرب فيها بالتطواف واحس ان الزمن لم ينصفه
وهو - كما يعرف الجميع - ذو النفس التواقه الى المجد ، فأراد ان يتحدى
الزمان فجاء شعره يجاهر فيه التمرد على قسوة الحياة - فقوله مثلا :

وما أنا الا سمهري حملته
فزين معروضا وراع مسددا
وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا
وغنى به من لا يغني مغردا
أجزني اذا أنشدته شعرا فانما
بشعري أتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتي فأنني
أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

ان ما ينبىء من غير موارد عن الطماح وعن رغبة جامحة في الاستئثار
بانتباه كل من في عصر المتنبي ولم يقر له بفضل شاعريته وابداعيته ،
فغروره اذن هو غرور بوجه ما يصول به المصاولون وهو تحد لما ينكره
المنكرون ويجاول به ما يرجف به المرجفون ويرد به على الكاشحين - فهو
انسان قدر حق نفسه وهو يعلم في قرارة ذاته مقدار مكانته لدى الجماهرة
من الناس ولكن ما كان يبرز ويرمض جوانح نفسه ، اذ لم يجد من يردد
كثيرا صوت التمداح بحقه واننا لنستقرئ مبلغ مرارته في قوله :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر
ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل
وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل

وأتعب من ناداك من لا تجيبه
وأغيط من عاداك من لا تشاكل
وما التيه طبي فيهم غير أنني
بغيض الي الجاهل المتعاقل

ثمة بين الباحثين والمفكرين - ومنهم العقاد مثلا - من يجعل بين
الغرور والامل وشيجة ويجعلها صنوين بل توأمين ، فالعقاد مثلا يقول :
« لولا الغرور لما كان امل ، ولولا الامل ما كان غرور وقد يمر الانسان بما
يأمل الانسان لانه مغرور بنفسه ولا يزال ينطلق مع الامل الى المقام الذي
يرضيه (١٥) » . ورأي العقاد هنا ينطبق تمام الانطباق على مواقف المتنبي
في الحياة ولاشك في ان الاختلاف بين كل من الغرور والامل هو اختلاف
بين الطيشة والحصافة ، وهو الفرق بين الجهل والعلم . ولا يتماهى اثنان
في ان الغرور طيش وجهل وان المغرور يتحاشاه الناس ويتحاماه الذوق ،
في حين ان الامل كله رصانة واحتشام واخلاص ونحن نعرف من خلال
ما يذكره تاريخ الادب العربي عن المتنبي ومن قراءة شعره ان السمات
الرصينة تكون سلوكيته وتوشي بافواف المحاق شخصيته ، فهو اذن
ما ابعد عن الغرور . ولنا من قوله ما يعزز هذا الرأي اذ يقول :

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم
ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي
أنا الثريا وذان الشيب والهزم

وكذلك في قوله :

أرى المتشاعرين غروا بذمي
ومن ذا يحمد الداء العضالا

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرأ به الماء الزلالا

وقالوا هل يبلغك الثريا
فقلت نعم اذا شئت استغلا

وفي قوله أيضا :

ضاق ذرعا بأن أضيق به ذر
عا زماني واستكرمتني الكرام

واقفا تحت أخصي قدر نفسي
واقفا تحت أخصي الأنام

يستبين القاريء أن صاحب الغرور كثيرا ما يحاول أن يختصر الطريق على حساب كرامته وامتهان الوسيلة التي بها يتوصل الى هدف يراه مواثما في عين نفسه ولكنه هدف غير محمود في اعين الناس ، والمتنبى بمفازة عن ان يرمى بالغرور فهو صاحب امل اذ انه لا يغالط نفسه في مقياس المعايير الانسانية ولاسيما حينما نعرف له مكانته في مجتمعه وبين قومه . وعلم النفس يؤكد حقيقة هي ان المغرور لا يتجاوز فيما يسعى اليه تخوم نفسه ، اما صاحب الامل فمرايمه عراضا وتنطوي في ثناياه على حب الخير وحب الناس وحب الوطن وحب المجتمع وحب الحياة من غير ما شراهة أو تبدل . والمتنبى كان يعد نفسه صاحب رسالة شعرية اراد ان يرتقي بها عن طريق ارتقائه بذاته الى ذرى المجد الشعري والادبي (١٦) . وكان به طموح يحفز بهاميز التواصل الارتقائي لكي يجعل الابداع الشعري في المكانة التي ينبغي فيها منبر القريض اذ انه شاء ان ينتزع الاعجاب انتزاعا بجديته وابداعيته ، واذا كان لم يتحقق له كله في زمانه فحسبه ان يكون مطمحه قد تمكن من نفوس عارفي فضله غب اوانه .

فماذا يتوقع المرء من شاعر في قمة الشاعرية والابداع كالمتنبي ، وهو الشخص الذي كان يعتقد في قرارة نفسه بانه مغموط الحق وانه منكور عليه الاعتراف كشاعر تسامى في شعره الى أعلى المراتب ؟ فهو في هذه الحالة لم يبق امامه الا ان يرسل بشعر ذخيرته الحية فيه الفاظ كالشواظ يرسلها للدلالة على مكانته من جهة وهي لنبصير من كانوا يريدون ان يلتونه حقه .

مناجاة النفس وندب الذات :

ان من يقرأ شعر المتنبي يكتشف فيه مادة غزيرة ما احرى المختصين بعلم النفس بان يعكفوا على دراستها ، لان المتنبي شاعر قد اغنى العربية بفنه الشعري المتعدد الجوانب . وان طبيعة العمل الشعري من حيث مكوناته وعناصر التأثير فيه هو ابداع وفن وهو مرآة اجتماعية في المستطاع الافادة منها في المعرفة النفسية وصولا الى جلائل الابداعات الفنية في شعر المتنبي .

وحين نتحدث عن التشكيل في الشعر يجدر ان لا يغرب عن الذهن التمييز بين فن الكلمة وموسيقاها وعن تصويرها ومغزاها . وان من يعنى بدراسة اللغة لا يغفل بحال من الاحوال حقيقته تكاد تكون بدائة الالمام الشامل تلك هي ان اللغة حقاً اداة زمانية وهي في الوقت ذاته تصور المعطيات المكانية ، فدلالات الالفاظ في اللغة العربية ، بوصفها لغة مرنة يمكن ان تحمل في طياتها وفي تضاعيفها الدلالات الظاهرة والمستترة والشاعر حين ينظم الكلم انما يستبطن ذاته ويناجي وينادي بيئته وهو في هذا وذاك يناجي نفسه ، ولعله احيانا يندب ذاته . وان ندب الذات هو ان ينحي المرء على نفسه (باللائمة) . اذ تتوزع ذاته بين مناجاتها وكأنه يجرد من نفسه نفسا اخرى يحادثها بشأن افاعيل الزمان وصروف الحياة وبخاصة حينما تحول عوائق الدنيا فتصبح من عناصر الاحباط له اذ تحول

دون ما ينزع اليه من طموح . ولكي يخفف آصار الاعباء التي ترزىء بها
نفسه يناجي ذاته اذا ما حسب ان الصعائب ليست من قصور في جهده .
ومناجاة المتنبي لنفسه تنتظم في هذا المضمار الرحيب فهو مثلا حين يقول :

أنا السابق الهادي الى ما أقوله
اذ القول قبل القائلين مقول
أعادي على ما يوجب الحب للفتى
وأهدأ والأفكار في تجول

وكذلك قوله :

فالموت اعذر لي والصبر اجمل بي
والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

وبندب الذات تستكمل مناجاة النفس استحضار جيشان الروح
والانفعالات الناجمة عن الموقف المشبط . وان المرء ليندب ذاته حين يحس
في اعماقه احيانا بأنه لم يأل جهدا في جده واجتهاده في مسعاه بيد ان حظه
من الفوز بمبتغاه قد قصر عن ادراك المبتغى . فالمتنبي يعكس هذا على
شكل واضح في قوله :

ألح علي السقم حتى ألقته
ومل طبيبي جانبي والعوائد

أهم بشيء والليالي كأنها
تطاردني عن كونه وأطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة
اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقوله :

كأن الجو قاسى ما أقاسى
فصار سواده فيه شحوبا
كأن دجاء يجذبها سهادي
فليس تغيب الا أن يغيبا
أقلب فيه أجفاني كأني
أعد به على الدهر الذنوبا
عرفت نوائب الحدثان حتى
لو انتسبت لكنت لها نقيبا

فنظرته الى الحياة في الأبيات الآتية تعكس مقدار اظلام ثنايا نفسه
فعكسها شعرا يندب فيها ذاته ويتحسر على حياة لم ينل منها مرماء وهو
الشاعر ذو النفس الأبية ، وكان يحسب ان مكانته الشعرية ستحله مكانا
رفيعا . وندب الذات في هذا المجال لا تنفعل بها نفس الشاعر الا عندما
تتأرجح بين الصورة المحسوسة احساسا ادراكيا وبين التجريد المتزج
بالخيال المخلق . والمتنبى يكاد يكون نسيج وحده في هذا الشأن اذ هو
يتحسر على نفسه التي اضنتها روازح دنياه . فأستبطن نفسه وكأنه يرى
صورتها مجسمة بانسان هو المتنبى فوصفها :

روح تردد في مثل الخلال اذا
أطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولا أنني رجل
لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقال :

وشكيتي فقد السقام لأنه
قد كان لما كان لي أعضاء

هيم الليالي أن تشكك ناقتي
صدري بها أفضى أم البیداء ؟

والمتنبى في قصيده يتوخى - كما اسلفنا - التشكيل الزماني والمكاني في شعره . اذ انه يجعل للمفردات الواقعة في المكان تكاد تكون ملموسة للحواس بحيث انه يشرك مع نفسه كل ما يحيط به ، حتى جواده الذي يقطع على ظهره الفيافي متجولا في المقاوز الشواسع بحثا عما عساه ان يرأب صدع نفسه التي تكاد تتمزق حسرة ولوعة ، والنفس المتأججة الملتهبة حين تضطرم فيها اللوعة فانها تبدع . فيكاد القارئ يراه وكأنه شرر يتطاير ولا سيما اذا كان صاحب الكلم مقتدرا على الابانة عما يعتلج في ثنايا نفسه . والمتنبى اقدر على الافصاح عما تمور به نفسه ، ولنقرأ قوله :

من نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد

بقلبي وان لم أرو منها ملالة
وبي عن غوانيها وان وصلت صد

فالطابع النفسي في شعر المتنبى يستبينه القارئ الذي يروم اعطاء صورة ايقاعية للحالة الشعورية التي تتجس معان تكاد تكون كلها سمة طاغية على الفن الشعري عند المتنبى . وهو صورة مؤثرة وصادقة لتكوينه الوجداني العام وقد مكنته لغته العربية - وهو من ابنائها - بحكم طبيعتها ان يؤثر في قارئيه ويكاد يستدرجها ليعايشوه في نفس العصر وهذه قدرة قلما تأتت لشاعر غيره بحيث يؤثر فيمن يقرأ شعره يحس باحاسيسه . وشعر المتنبى في هذه الحالة هو في صورة ايقاعية ترسم ملامح شخصيته وتحدد معالم سجاياءه اذ هو تمكن من ان يعكس دواخله النفسية مصوغة بالفاظ هي غاية في الدقة والتحديد .

خاتمة تحليلية

يستدل على الاديب من اثاره • والتحليل النفسي يستهدى به في هذا المجال بوصفه وسيلة تتحرى ابعاد النفس من حيث هي نفس واقعية ومن حيث هي نفس مثالية ومن حيث كونها نفسا اجتماعية ، والنفس المبدعة - ونفسية المتنبي هنا مضرب يمكن الركون اليه بكل اطمئنان - تنهض دليلا شاخصا على صاحبها • وان التحليل النفسي يلقي اضواء على العمل الذي يحكي شخصية الفرد الذي حقق ذلك العمل الايجابي البناء • وهنا يمكن ان نثير سؤالا بين شخصية المتنبي ومضمون انتاجه الشعري ، وفي هذا المجال يمكن ان نقول بان اراء التحليل النفسي تؤكد على العلاقة بين القيم المتضمنة في شعر المتنبي وبين شواخص ذاته النزاعة الى الطموح • وعندما ندرس جانب الابداع عند المتنبي نجد انه قد تعددت منادحه وكل نهج من هذه المنادح ارتبط بعقريية المتنبي من ناحية ، وبنظرته التبصيرية الاجتماعية فيما كان ينزع اليه • فالحرمان والموهبة عنصران اساسيان في ذات المتنبي لاريب • وقد نشطت الموهبة فابدى شعرا ، ولكن شعره يمكن ان يعد مادة تستقطب المختصين من الدراسات النفسية مثلما هي عنصر استقطاب للمختصين في الادب العربي • اذ ان المتنبي كان يسعى من خلال خياله الخصب الى ارواء ضمائه النفسي المشبع برغباته وطموحاته وفي هذه الحالات نجد ان المتنبي قد تسامى في شعره في مواطن وتآلم في مواطن وندب ذاته في مواقف • وان ما جاء به من خلق في شعره كأنه اراد ان يعوض به عن (عوز الحياة) وكأنه كان يرمي الى اطلاق شحنات نفسية حبيسة تتراعى متأججة بحيث نجد الصياغة من القوة المتناهية مما يعكس قوة شخصية المتنبي ، ذلك لان التحليل النفسي يقول ان قوة الاثر الادبي والفني والفكري انما يعكس شخصية صاحبه • وقد اراد المتنبي بشعره ان يخفف على ذاته شقاء الحياة • وقد يكون هناك

من الادباء أو الشعراء من يجعل شعره وقاءً يتوارى خلفه فهو يستمد مادته من الحياة ولكنه يحجب بشعره رؤيته عن واقع الحياة .

اما المتنبي فإنه جعل من شعره اطلالة ينفذ من خلالها الى معترك الحياة ، ولهذا فهو قد مزج بين اعتقالاته النفسية وبين العنت الذي لاقاه في الحياة . وكثيرا ما نجد (الانا العليا) عند المتنبي متفاعلة على نحو يكاد ينطقه بالشعور بالهجر من الآخرين وبالامان من الحياة وبالقصور لعدم تحقيقه مطامحه وبالشك والريبة فالتقصير الذاتي واشتطاط الحياة ولكنه يلتفت الى ذاته فينضو عنها ، هذه الغباشات فيلقي بها الفاظا يرشق بها اولئك الذين حولوا دون طموحاته . وكان من قوته البيانية ومطاوعة اللغة لفكره قد هيأت له سلاحا يدرأ به تخرصات خصومه ، ولهذا فإنه كان في بعض المواقف يكاد يتطرف في اثبات قوة شخصيته .

ومن يقرأ شعره لا يعدم على ذلك التمثل بالامثال الكثيرة . ونجد احيانا تجانسا بين شخصيته وقوله ، ونجد احيانا نوعا من التناقض ، وفي الامثلة التي كنا قد اشرنا اليها من قبل ، وفي ديوانه ما يعزز هذا الرأي . فعلم النفس في هذه الحالة يؤمن على موهبة المتنبي ، وهو في الوقت نفسه يكشف عن منازع الانا الاعلى عنده الذي يجعله يعيش حياة نفسية قد يتمثل فيها التجانس والانسجام احيانا وقد يبدو عليها شيء من الصراع النفسي الذي ينعكس على علاقته الاجتماعية وعلى صلته بالحياة من جهة أخرى .

الدراسات النفسية للآثار الادبية تستلهم جميع النظريات السايكولوجية التي تعنى بدراسة الفن او الادب أو الشعر واختلاف هذه النظريات يرجع الى وجهات نظر القائلين بها ، فنظرية يونج مثلا تخالف نظرية فرويد وادلر ، ونظرية ادلر تؤكد على جانب يغاير ما اكد عليه كل من فرويد ويونج . واصحاب النظرية الاجتماعية المحدثين ومنهم مثل أريك فروم واريك اركسن تباين نظريات النفسانيين المذكورين من قبل . وان كثيرا من الدراسات السايكولوجية للآثار الادبية تعنى بالربط بين الاثر

الادبي وشخصية مؤلفه وان في الكاتب المبدع نجد دائما صبوة الى الانطلاق من شخصيته اذ انه يحاول التحرر كثيرا او قليلا من اهابه ليندس في ذوات غيره وكأنه يريد ان يستقرأ بواطن الناس ويريد ان يجسم مشاعرهم واحاسيسهم على هذا الاساس . ولهذا فان اثره كثير اما تمثل اكثر من شخصيته كما يمكن ان تكون اكثر من شخصيته أو أقل منها . ورب وجوه من الحياة النفسية يصورها مبدع كالمُتنبي ويتجاوز فيها المدى أو يقصر به الشوط ولكن المتنبي كان دائما من حيث الخيال والطموح ابعد من المرامي التي كان يتوقعها . ولهذا جاء شعره مصداقا لانطلاقات نفسه وهنا نجد ان علم النفس الذي يوصف احيانا بـ (علم الطباع) يعبر عن مكنونات دفينة قد يحاول الشاعر أو الاديب ان يرسمها رسما باللفظ ولكنه لفظ رمزي وهذا ما نجده لدى المتنبي اذ انه صرح اطوارا ولح احيانا وهو يتوخى الرفعة الاجتماعية لشخصيته ارضاء لما كان يرمي اليه ولهذا فانه كان في شعره مفرطا في الفعالية وحيانا في الانفعالية بعيدا عن اللافعالية وهذا مما يتيح لنا ان نصف شعره بانه من النوع المقعم بالنزعة الهجومية التهجمية وقد اشرنا من قبل الى ان هذا النوع من المنحى السلوكي انما يكشف عن احباطات لكنها احباطات جاءت تعبيرا عن ابداع وكان يحلم في حياته في ان يتبوء ما كان يرمي اليه ولكن سعيه المتعجل احيانا قد يكون سببا في قتل الحلم الذي وُثِد في نفسه بعد ان كان يتوخى له الانطلاق في دنيا الحياة . وكانت نفس المتنبي تواقا الى أن تستجمع في هويتها الروح العلمية غير انه واجه ما حال في الحياة دون ما يسمى في علم النفس (بالطموح المتشوف) . بيد أن تساميه قد خلق من فطرته فضلا ، وجسده من شخصه ثيلا ، وجعل من سلوكه اعتدالا . ومن روض نفسه من الناس على ارتضاع محامد المعالي بأباء وشمم يكن له في تصفية الاخلاق وتزكية الضمير ما يشفع له في درء تخرصات الخراصين المتقولين ممن ينفسون عليه نعمة الوجاهة من الحاسدين .

الهوامش

- ١ - يونج ، كارل كوستاف . الخلق والابداع . نيويورك ، ١٩٣٢ ،
انظر كذلك :
- ٢ - الدروبي ، سامي . علم النفس والادب . دار المعارف . مصر ،
١٩٧١ .
- ٣ - سعيد ، علي احمد (ادونيس) . ديوان الشعر العربي ، الكتاب
الثاني . المكتبة العصرية . بيروت . الطبعة الاولى ، ١٩٦٤ .
- ٤ - العقاد ، عباس محمود . ساعات بين الكتب (مع المتنبي) . دار
الكتاب العربي . بيروت ، ١٩٧٠ .
- ٥ - د . حسين ، طه . مع المتنبي . دار الكتاب اللبناني . المجلد
السادس . بيروت ، ١٩٨٣ .
- ٦ - الملاح ، عبدالغني . المتنبي يسترد اياه . بغداد ، ١٩٧٥ .
- ٧ - ابن جني ، ابي الفتح عثمان . ديوان ابي الطيب . دار الشؤون
الثقافية . بغداد ، ١٩٨٨ .
- ٨ - البرقوقي ، عبدالرحمن . شرح ديوان المتنبي ، الجزء ١ ، ٢ ، ٣ ،
٤ . دار الكتاب العربي . بيروت ، ١٩٣٠ .
- ٩ - اليازجي ، ناصيف . العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب .
دار القلم . بيروت .
- ١٠ - سوينف ، مصطفى . مقدمة لعلم النفس الاجتماعي . مكتبة الانجلو
المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- ١١ - ادلر ، الفريد . معنى الحياة . ترجمة محمود هاشم الودرني .
مؤسسة دار الكتاب الحديث . الطبعة الاولى ١٩٨٤ .

١٢-

12— J. P. Chaplin, Dictionar psychology. Dell, publishing House, New york (1970).

١٣- فرويد ، سيجموند • ثلاث مباحث في نظرية الجنس • ترجمة جورج طرابيشي • دار الطليعة • بيروت • الطبعة الاولى ، ١٩٨١ •

١٤- د • اي • شنايدر • التحليل النفسي والفن • ترجمة يوسف عبدالمسيح ثروة • دار الشؤون الثقافية • بغداد ، ١٩٨٤ •

١٥- العقاد ، عباس محمود • ساعات بين الكتب (الغرور) •

١٦- فرويد ، آنا • الأنا والاليات الدفاع • ترجمة جورج طرابيشي • دار الطليعة • بيروت • الطبعة الاولى ١٩٨٣ •

١٧- د • ياسين ، عطفوف محمود • دراسات साيكولوجية معاصرة • مؤسسة نوفل • بيروت • الطبعة الاولى ١٩٨١ •

المنشورات

دراسة نفسية تحليلية

كامل علوان الزبيدي

الاستاذ المساعد في قسم علم النفس

المقدمة :

تعتبر المنشورات العسكرية (الحربية) احدى وسائل الحرب النفسية في عالم اليوم المليء بالصراعات العسكرية . ويعد احيانا من اهمها . واستخدمت المنشورات بشكل فعال ومؤثر في مختلف الحروب ابتداء من الحرب العالمية الاولى والى يومنا هذا ، وتفنن الخبراء في تصميمها واعدادها ، وشهدت بعض الحروب تقنيات مختلفة جديدة على عكس ما هو مألوف منها . وفي هذا البحث ضوء ينير الطريق لكل من له علاقة بميدان الحرب النفسية ويبغي التعرف على هذا الاسلوب (المنشور) من اساليبها من حيث الاسس النفسية المعتمدة في اعدادها وتصميمها واخراجها وقذفها على الخصم .

الفصل الاول

اهمية البحث :

تفرز الحياة واحداثها مشكلات تضع الانسان امام حالة من التحدي

في كيفية النظر اليها ومعالجتها ، ويمكن القول ان الحربين العالميتين الاولى والثانية هما أهم حدثين فرضا على المشتغلين في علم النفس تنظيم المعرفة في مجالات مختلفة ومنها مجال الحرب النفسية ، وقد تجمع على ما يزيد عن خمسين سنة خبرات ومعارف نظرية وميدانية في هذا المجال الحيوي ، وان من أهم العوامل التي ساعدت في ذلك تطور وسائل الاعلام وتقدمها بشكل كبير جدا ، حيث اصبحت تسهم اسهاما كبيرا في توجيه الافراد بشكل أو بآخر ، ومن العوامل الاخرى التي ساعدت في ذلك هو تطور وتعقد الوسائل العسكرية الحديثة .

ان وسائل الحرب النفسية عديدة ومختلفة والبحث الحالي سيركز على واحدة من هذه الوسائل ، الا وهي (المنشورات العسكرية) أو (المنشورات الحربية) والفرق في تسميتها يعود الى ان المنشورات الحربية كانها تستخدم وقت الحرب فقط ، بينما المنشورات العسكرية تستخدم وقت الحرب أو السلم . ولما كانت المنشورات العسكرية هي رسائل اعلامية ، اذن تبرز الحاجة بشكل كبير الى استخدام كل المعطيات العلمية في مجال الاعلام وبالاخص معطيات علم النفس ، حيث ان مادة المنشورات مهما اختلفت مفرداتها تسعى الى احداث تغيرات مرغوبة في نفوس الخصم . ولا يصح لنا عدم الاخذ بعين الاعتبار خصائص نشاط الانسان النفسي تلك الخصائص التي تحدد استعداداه أو عدم استعداداه لتقبل الافكار والتوجيهات والنظريات وقابلية ادراكه على استيعابها ولا يتطلب هذا الاستيعاب الحفظ الآلي أو الاستظهار ، بل يتطلب تغلغل الاراء والافكار والتوجيهات الى وعي الانسان ونفسيته وبعد ذلك تتحول الى قناعات خاصة . (جيهان ، ١٩٧٨ ، ص ٣١٥) (كامل ، ١٩٨٩ ، ص ٣٠٦) (محمد ، ١٩٧٢ ، ص ١٣٩) .

وفي ظروف الحرب تشتد الحاجة اكثر لخبرة علماء النفس وخاصة في مجال الحرب النفسية وبكافة أساليبها ، ورغم ان الحرب النفسية استخدمت منذ اقدم العصور ، الا انه يمكن القول ان الخبرة المكتسبة من الحروب القديمة والحديثة لها اثر فعال في تنوع أساليبها . فهي سلاح فعال ووسيلة تدعم وتعزز وسائل القتال الاخرى ، كما انها توفر الكثير من الخسائر في الرجال والعتاد والاموال والامور الاخرى ، اذا احسن استخدامها . ولكن الشيء الجديد فيها هو تطور اساليبها وفق قواعد منظمة ومدروسة . (مصطفى ، ١٩٦٧ ، ص ١٢) .

لقد استخدمت اساليب الحرب النفسية في مختلف الحروب وخاصة المنشورات حيث استخدمت في الحرب العالمية الاولى والثانية والحرب الكورية وحرب فيتنام وغيرها من الحروب في بقاع كثيرة من العالم . ولعبت المنشورات دورا مهما لما لها من قوة التأثير الانفعالي التي تؤدي الى خفض الروح المعنوية للخصم . وتزيد في افراده الشعور بالخوف والقلق والملل والتعب وتولد لديهم طاقات جديدة ورغبة واضحة تدفعهم لعدم القتال والهرب والاستسلام والتمرد ونبذ الحرب . في حين ان منشورات أخرى قد تفعل فاعلها المباشر في تغيير الاتجاهات وزعزعة الثقة في النفوس (عبداللطيف ، ١٩٦٨ ، ص ١٦١) (Doob, 1948, p. 250)

لذا فان الدراسة العميقة للجوانب الانفعالية للخصم مهمة عند التوجه لمخاطبتهم ، فالمنشورات لا بد وان تعتمد على الاسس الاتية :-

- ١ - الواقع الذي يعيشه الخصم حاليا .
- ٢ - استقرار الخصائص النفسية لافراد الخصم .

٣ - استغلال الاحداث والمواقف المختلفة التي تمر بالخصم .

٤ - استغلال قدرات وابداعات الذين يسهمون في اعداد وتصميم المنشورات .

٥ - استغلال الوقت المناسب واللحظة القاتلة لايصال المنشورات الى افراد الخصم . (كامل ، ١٩٨٦ ، ص ٦) .

وتسهم المنشورات الى جانب اساليب الحرب النفسية الأخرى الى مس واثارة عواطف افراد الخصم من خلال مادتها . لان الاثارة الانفعالية هي التي تشق الطريق نحو تصرفات الخصم المقبلة ، وكلما كان المنشور يحمل اخبارا منتقاة ومنسقة ومعدة وفق اسس نفسية وقادرة على النفاذ الى عقول ونفسيات الخصم كلما كان اثره واضحا في تصرفاتهم اللاحقة ، لذلك نرى بعض المنشورات تشبع حاجات معينة ومنشورات أخرى تشبع حاجات أخرى ، ولكي يتحقق هذا الاشباع فان من واجبات علماء النفس الاستفادة من مزايا كل موقف غامض بالنسبة لافراد الخصم الذين تكون لديهم الرغبة في التعرف على حقيقة هذا الموقف الغامض وبالتالي تشبع حاجاتهم حول هذا الموضوع .

هدف البحث :

يستهدف البحث الحالي التعرف على الاسس النفسية التي يتم بموجبها تصميم واعداد المنشورات .

تجديد المصطلحات :

المنشورات « رسائل اعلامية واسلوب من اساليب الحرب النفسية تستخدم اللغة المكتوبة على أوراق بأحجام وألوان مختلفة تقذف على الخصم

لزعزعة معنوياته وتغيير اتجاهاته ودعوته للهرب والاستسلام » (كامل ، ١٩٨٩ ، ص ٣٠٨) .

حدود البحث :

يقتصر البحث الحالي على تحليل عينة من المنشورات الحربية التي استخدمت في بعض الحروب والمذكورة في الفصل الثاني .

الفصل الثاني

نماذج من المنشورات :

- فيما يلي نماذج من المنشورات التي استخدمت في بعض الحروب :-
- ١ - ظهر منشور في الحرب الكورية وفي الشهر الاخير من السنة الميلادية يمثل صورة لمجموعة من الجنود الامريكان وزوجاتهم وأطفالهم وصديقات لهم حول شجرة عيد الميلاد وكتبت العبارة الآتية تحت الصورة : (لماذا انت هنا في كوريا تعاني البرد القارس والكآبة ارجع الى بلادك واترك كوريا للكوريين) .
 - ٢ - منشور اصدره الفلبينيون ووقعوه باسم الجيش الامريكي باغين من وراءه تصعيد حالة الكراهية ضد الامريكان وفحوى هذا المنشور (احترس من الامراض الزهرية ، حيث ظهرت مؤخرا زيادة كبيرة في عدد الاصابات بالامراض الزهرية بين ضباطنا وجنودنا نتيجة للعلاقات الجنسية مع النساء الفلبينيات ذوات الطبيعة غير الواضحة ، فقد أخذت النساء الفلبينيات نتيجة للظروف المعاشية القاسية بسبب احتلال الجزر تدهور حالتهم الصحية لقلة الطعام . ومن الضروري في مثل هذه الاحوال اتخاذ اجراءات الحيلة والحذر باستعمال الادوية الوقائية ، ومن الافضل الاتصال بالزوجات أو الفتيات الباكرات أو النساء المحترمات ، ونتيجة لزيادة المحبة بين السكان تجاه الامريكان فان كثيرا من النساء الفلبينيات مستعدات

لعرض انفسهن للجنود الامريكان ، ونتيجة لعدم معرفة الفلبينيين لقواعد الصحة تحمل الفلبينيات كثيرا من الجراثيم وعليه يجب اتخاذ الحيطة) .

٣ - منشورا أصدره الامريكان ووعدوا كل طيار يأتي بطائرة نفثة مقاتلة يعطوه خمسين الف دولار وقد طبع هذا المنشور بعدة لغات (الروسية والصينية والكورية) .

٤ - ومن المنشورات الالمانية منشور بوجهين الوجه الاول يحمل صورة لامرأة على فراش النوم وبجانبها زوجها يمد يده الى ساعة التوقيت ليسكت جرس الساعة بينما تنهض الزوجة لاحتضار الفطور ، وفي الصفحة الثانية من المنشور كتب للجندي الامريكي يانه سيواجه حرب العصابات والغابات المخيفة في الشرق وعليه ان يبعد الامل في الرجوع الى الاهل والوطن .

٥ - واصدر الالمان منشورا يفضح نوايا البريطانيين في السيطرة على العالم ، ويظهر هذا المنشور بريطانيا بهيئة جندي طويل الساقين قصير اليدين يحاول جاهدا ان يغطي بجسمه أجزاء كبيرة من العالم وهو يتسائل :- الى متى يمكنني البقاء على هذه الحال ؟ . الشكل (١) .

٦ - ومن منشورات الالمان الاخرى والتي القيت على القطعات الفرنسية عند الحدود الشرقية ، منشور طبع على ورق اسمر شبيه بالنحاس الذي يعلوه الصدا وعلى شكل أوراق أشجار وكان يحمل رسما لجمجمة مرتدية خوذة فرنسية وقد كتب المنشور باللغة الفرنسية وفحواه :- لقد حل الخريف وبدأت الأوراق تتساقط وسنسقط نحن كذلك ، الأوراق تموت الان لان الله يريد ذلك ، اما نحن فسوف

How much longer can I keep this up...?



شکر ()

نسقط لان الانكليز يريدون ذلك وعندما يحل الربيع القادم سوف
لن يتذكر احد الاوراق الميتة أو الجنود الموتى • الشكل (٢) •



The propaganda leaflet at
its most persuasive the
French text translates:
"Autumn, the leaves are
falling We will fall with
them The leaves die
because God wants it, but
we fall because the English
want it Next Spring Nobody
will remember either the
dead leaves or the dead
soldiers." All photos by F. J.
Stephens, courtesy R. G.
Auckland collection

شكل (٢)

٧ - ومن المنشورات الانكليزية منشور يدعو الى مساعدة الطيارين الذين يهبطون في الصحراء ، وان هذا المنشور موجه الى العرب وكذلك به تعليمات للطيارين البريطانيين حيث يأمر هذا المنشور الطيار البريطاني ان يخلع حذائه عند الدخول الى الخيمة العربية كذلك يأمره ان يتجنب النظر الى النساء الاعرابيات وكذلك يرشده الى بعض الكلمات المفيدة ، وكذلك يطلب من العربي معاملة هذا الضابط معاملة جيدة ، حيث انه صديق للعرب ويطلب منهم تقديم الطعام والشراب له وارشاده الى اقرب معسكر بريطاني ويعدهم بتقديم مكافأة مالية .

٨ - ومن المنشورات الالمانية التي كانت تهدف الى تحطيم معنوية الجنود الامريكان ، منشور فيه كلمات (لروزفلت) يقول فيها (اني اؤكد لكم اليوم وابدأ ان امريكا سوف لا تفقد شبابها في معارك خارج حدودها وقد قال هذا الكلام في آب من عام ١٩٤٠) .
(كامل ، ١٩٨٩ ، ص ٣٠٩ - ٣٢٠) (عبدالاله ، ١٩٨٥ ، ص ٩٤)
(لايمبرغ ، ١٩٦٢ ، ص ٣٣٦) .

ومن خلال الاطلاع على هذه المنشورات وتحليل مضامينها نجد انها ركزت على مضامين مختلفة ومن هذه المضامين :-

- ١ - التفكير بالاهل والزوجة والاطفال والحياة الاعتيادية البعيدة عن الحياة العسكرية وجو الحرب .
- ٢ - مس المشاعر العاطفية بشكل او بآخر .
- ٣ - الخداع في تسمية الجهات التي تصدر المنشورات .
- ٤ - استخدام الاسلوب المادي كعنصر من عناصر اشباع الحاجات الانسانية .

- ٥ - محاولة التذكير بالجرائم التي ترتكبها بعض الدول بحق شعوب الدول الاخرى من خلال السيطرة عليها .
- ٦ - استخدام الاشكال والالوان والصور لتعزيز تقبل فحوى المنشور .
- ٧ - محاولة التأثير على المعنويات بشكل أو بآخر .
- ٨ - اعتماد الاسس النفسية بشكل تام من خلال دراسة شخصية الخصم .
- ٩ - بث الخوف والذعر في النفوس ودعوة للهرب أو الاستسلام وعدم القتال .
- ١٠ - بث الحقد والكراهية تجاه الخصم .

الفصل الثالث

لتحقيق هدف البحث تمت الاجراءات الاتية :

١ - اهداف المنشورات :

من خلال تحليل مضامين المنشورات وجد انها تحمل مضاميناً مختلفة ولها أهداف متنوعة ويمكن اجمال اهداف المنشورات بشكل عام الى ما يأتي :-

- آ - بث الخوف والذعر في نفوس افراد الخصم .
- ب - دعوة افراد الى الهرب من ساحات المعارك أو الاستسلام .
- ح - محاولة تغيير اتجاهات افراد الخصم حول مختلف القضايا .
- د - تبصير افراد الخصم ببعض الحقائق الخافية عنه .
- هـ - زعزعة الايمان بالمبادئ والاهداف وذلك عن طريق اثبات استحالة تحقيقها .
- و - اضعاف جبهة الخصم الداخلية .
- ز - التقليل من أي نصر سياسي أو عسكري .

- ح - تضخيم الخسائر التي يتكبدها الخصم .
- ي - ابراز الأخطاء وتضخيمها التي يقع بها الخصم .
- ك - التشكيك بالحلفاء والموالين للخصم .

٢ - مادة المنشور :

ولغرض ان نبدأ باعداد المنشور لابد ان نتعرف على حقيقة معينة وهي ان لكل منشور مادته واهدافه مهما كان هذا المنشور صغيرا أو كبيرا وتعتمد الوسائل الاتية في جمع مادة المنشورات :

- آ - ما تجمعه الاجهزة المختصة .
- ب - ما يمكن الحصول عليه من افراد الخصم الذين يقعون اسرى .
- ح - من يلجأ اليك هربا من بلاده .
- د - ما تنشره وتذيعه صحف واذاعات الخصم .
- هـ - ما يمكن الحصول عليه من معلومات عن الخصم خارج بلاده .
- و - تحليل مختلف الاخبار العسكرية والسياسية والاقتصادية والصحية والاجتماعية الخاصة بالخصم .

٣ - تصميم المنشورات :

على الرغم من ان العديد من المنشورات هي افكار فردية لبعض الأفراد ، ولاقت نجاحا وحقت أهدافها الا ان هذا يقضي بالضرورة ان تشكل لجان خاصة لاعداد المنشورات تضم بعض المتخصصين في علم النفس والاجتماع والاعلام والسياسة والدين واللغة والتاريخ الى جانب المتخصصين من العسكريين . وعند البدء بتصميم المنشور يراعى ما يأتي :

- آ - اختيار موضوع المنشور .
- ب - جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول هذا الموضوع .
- ح - انتقاء المعلومات المباشرة والقابلة للاستساغة النفسية .

د - تحديد الكلمات والجمل المطلوب التركيز عليها وملاحظة تكرارها .
هـ - اختيار الصورة المناسبة لموضوع المنشور ان كانت هنالك حاجة لذلك .

و - الايجاز في كلمات المنشور كلما امكن .

ز - تحديد حجم ولون وسمك الورق المستخدم .

ح - استخدام لغة الاقناع واللغة البسيطة المفهومة لدى أكثرية افراد الخصم .

ط - استخدام اسلوب الترغيب .

ي - اعتماد عنصر التشويق من خلال الاخراج الفني للمنشور باستخدام الاشكال والزخارف والخطوط وغيرها .

ك - تحديد رقعة القاء المنشور .

ل - تحديد الزمان .

م - اختيار الواسطة لقذف المنشور .

٤ - انواع المنشورات :

تقسم المنشورات الى أنواع منها :-

آ - منشورات الاخبار : وهي منشورات تبرز بعض الاخبار لبعض المواقف المعينة والتي تتعلق بحلث معين وقد تكون هذه الاخبار خافية عن افراد الخصم أو انها اخبار مشوهة .

ب - منشورات الاستسلام : وهي منشورات تدعو الى عدم القتال والاستسلام وتستخدم عنصري الترغيب والتهديد .

ح - منشورات التحذير : وهي التي تحاول ان تخاطب افراد الخصم وتحذره من تصرفاته .

د - منشورات الحقائق وهذه المنشورات قريبة الصلة بمنشورات الاخبار ولكنها أكثر دقة ووضوحا في معلوماتها من حيث صحتها .

هـ - منشورات القصص : وهي من المنشورات المطولة وتدور حول قصة معينة من خلال سرد احداثها .

ز - المنشورات الموقفية (الموقعية) : وتهدف الى مخاطبة افراد الخصم في موقع معين أو من خلال موقف معين .

ح - منشورات بطاقات المرور وهي من المنشورات التي تساعد وتشجع على الهرب وتمنح الامان وفيها تعليمات تدعو الى تقديم المساعدة واخلاء من يحملها من اماكن الخطر .

ط - منشورات الخداع . وتهدف الى اسلوب الايهام بان ما مدون في المنشور هو من قيادته .

ي - المنشورات العاطفية . وهي من المنشورات التي تهدف الى مس المشاعر الوجدانية من خلال التذكير بالاهل والأطفال والمناسبات المختلفة .

ك - منشورات الوثائق : وهي من المنشورات المهمة وتهدف الحصول على بعض الوثائق السرية من الخصم وطبعها على شكل منشورات . (كامل ، ١٩٨٩ ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦) .

٥ - وسائل توزيع المنشورات :

هنالك عدة وسائل لتوزيع المنشورات على الخصم منها :-

آ - الدوريات : تكلف مجاميع معينة بحمل هذه المنشورات ورميها في أرض الخصم أو في اماكن معينة .

ب - البالونات : وتكون على شكل رزم وترتفع مع ارتفاع البالون ولكن ما تقع هذه المنشورات في اماكن بعيدة عن الموقع المخصص لها أو قد يحملها الهواء باتجاه من قذفها .

ج - المدافع : صممت مدافع خاصة لاطلاق المنشورات وعلى مديات مختلفة .

د - الطائرات : وتستخدم الطائرات برمي المنشورات على المدن أو على مواقع افراد الخصم .

الاستنتاجات :

في ضوء ما ورد في البحث من معلومات حول أهمية المنشورات في الحروب واعتبارها من اساليب الحرب النفسية المهمة لذا فان من الضروري الاهتمام بهذا الاسلوب بشكل فعال وتطويره والاستفادة من معطيات العلوم المختلفة وبالاخص علم النفس والتركيز على دراسة شخصية الخصم ومعرفة كل شيء عن هذه الشخصية ، وكذلك الاهتمام بالوسائل الفنية في عملية اعداد وتصميم المنشورات .

التوصيات :

في ضوء معطيات البحث فقد بات من الضروري اعتماد الاسس الاتية :

١ - تشكيل لجنة متخصصة لذلك تضم الاختصاصات المتوه عنها في متن البحث .

٢ - التركيز على لغة المنشور وخاصة معرفة لغة الخصم ، والايجاز بكلمات المنشور واعتماد مبدأ التكرار لبعض الكلمات .

٣ - اتباع أساليب جديدة في تصميم المنشورات غير الاساليب التقليدية (اسلوب الورق) مثل علب السكاثر والاقلام واللعب والهدايا المدون عليها مادة المنشور .

المصادر

- ١ - جيهان احمد رشتي ، الاعلام ونظرياته في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٧٨ .
- ٢ - عبدالاله مصطفى الخزرجي ، تحليل لغة الدعاية ، مطبعة التوجيه السياسي ، بغداد ١٩٨٤ .
- ٣ - عبداللطيف حمزة ، الاعلام والدعاية ، بغداد ١٩٦٨ .
- ٤ - محمد عبدالقادر حاتم ، الاعلام والدعاية ، نظريات وتجارب ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢ .
- ٥ - مصطفى سعيد ، فن الدعاية ، بغداد ١٩٦٧ .
- ٦ - كامل علوان الزبيدي ، السوق الاعلامي والنفسي في تصميم المنشورات ، التوجيه السياسي ، بغداد ١٩٨٦ .
- ٧ - كامل علوان الزبيدي ، علم النفس العسكري ، جامعة بغداد ، مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٩ .
- ٨ - لاينبرغ ، بول ، الحرب النفسية ، ترجمة حميد الرشيد ، مطبعة النجاح ، بغداد ١٩٦٢ .
- 9 — Doob, Leonard. Public opinion and propaganda, Henryholt, Newyork, 1948.

المضامين والابعاد الاجتماعية

لتحويل العمال الى موظفين

الدكتور احسان محمد الحسن

قسم الاجتماع - كلية الآداب

جامعة بغداد

أ - مقدمة تمهيدية :

يعد قرار تحويل العمال الى موظفين من القرارات التاريخية الثورية ومن المنجزات الحضارية والانسانية المتميزة ومن التحولات الاشتراكية النوعية التي وضعت أسسها الثابتة والأصيلة قيادة الحزب والثورة وعلى رأسها الرفيق القائد صدام حسين (حفظه الله) في محاولة منها لتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية بين منتسبي القطاع الاشتراكي كافة بغض النظر عن طبيعة الأعمال التي يقومون بها والخلفيات الاجتماعية والمهنية التي ينحدرون منها والمستويات الثقافية والعلمية التي يتمتعون بها . أن قرار تحويل العمال الى موظفين في القطاع الاشتراكي جاء منسجما مع أديولوجية الحزب القائد حزب البعث العربي الاشتراكي ومنطلقاتها الفكرية والمبدئية ، ومع الظروف والمعطيات العملية للانتاج الاجتماعي ومع مستلزمات الاقتصاد القومي للقطر العراقي ، الاقتصاد الذي يتوخى سد متطلبات التنمية والبناء وسد متطلبات التقدم الاجتماعي والحضاري (١) ، وإعادة بناء المجتمع في فترة ما بعد الحرب وتثوير قطاعاته البنيوية وتطويق مشكلاته الآنية والمستقبلية .

أن اديولوجية الحزب القائد لا تؤمن بالانحياز الى طبقة اجتماعية واحدة أو الى طبقتين طالما أن حزب البعث العربي الاشتراكي لا ينحدر من طبقة اجتماعية معينة ولا يناصر طبقة دون الطبقة الأخرى بل أنه ينحدر من كافة الطبقات والفئات الجماهيرية والشعبية ويكافح من أجل رفاهيتها وسعادتها وعزتها وتقدمها في كافة مجالات الحياة وتخصصاتها(٢) .

وبناء على هذا التوجه الفكري بادرت قيادة الحزب والثورة الى مساواة العمال بالموظفين اذ جعلتهم يقفون على خط شروع واحد لخدمة الوطن والامة(٣) . وساوت بينهم في الواجبات والحقوق الاجتماعية . زد على ذلك أن تحويل العمال الى موظفين يتجاوب مع توجهات قيادة الحزب والثورة في زيادة الانتاج كمّاً ونوعاً ، وفي تكييف كافة المنتجين سواء كانت واجباتهم فكرية أو يدوية الى الظروف والمعطيات الجديدة للعمل التقني . ذلك أن هذه الظروف والمعطيات تستلزم قيام كل من الخريج وغير الخريج بتشغيل وإدارة وصيانة الماكينة ومشاركة جميع المهنيين والحرفيين في اتخاذ القرار الذي يضمن استمرارية العمل الانتاجي وزيادة الكفاءة الانتاجية وقدرة المؤسسات والمشاريع الانتاجية والخدمية على تحقيق الأهداف الاقتصادية النوعية للمجتمع الكبير .

أن دراسة المضامين والأبعاد الاجتماعية لتحويل العمال الى موظفين تركز على ثلاثة محاور أساسية هي :

- ١ - التحولات الاجتماعية للعمال في ظل ثورة ١٧ - ٣٠ تموز القومية الاشتراكية .
- ٢ - الاساس الفكري والعملي لتحويل العمال الى موظفين مع اشارة خاصة لنظرية العمل البعثية .
- ٣ - الدلالات الاجتماعية والانسانية لتحويل العمال الى موظفين . والان نود دراسة وتحليل هذه المحاور بالتفصيل .

ب - التحولات الاجتماعية للعمال في ظل ثورة

١٧ - ٣٠ تموز القومية الاشتراكية :

لقد عانى العمال والفلاحون والكسبة في قطرنا خلال عهود الاقطاع والدكتاتورية والرجعية من شتى أشكال الظلم والقهر والتعسف والاستغلال الطبقي والاجتماعي والسياسي . ومثل هذه المعاناة والظروف الصعبة التي عاشتها هذه الفئات الاجتماعية قد حولتها آنذاك الى جماعات ضعيفة ومبعثرة ومغلوبة على أمرها (٤) . فقد كانت البطالة مستفحلة بين أفرادها والأمية متفشية بين صفوفها والفقير مسيطرا على جموعها ، والمرض منتشر بين عائلاتها . ونتيجة للظروف الصعبة والمشكلات المزمنة التي كانت تعاني منها هذه الجماعات والفئات ظهرت الفوارق الاقتصادية والاجتماعية الواضحة بينها وبين بقية فئات المجتمع الأخرى خصوصا الفئات المرفهة والميسورة . ومثل هذه الفوارق هي التي جعلت الفئات العمالية والفلاحية غير قادرة على تحسين أحوالها وإزالة مشكلاتها وأداء دورها الفاعل في المجتمع آنذاك .

وعند قيام ثورة ١٧ - ٣٠ تموز القومية الاشتراكية تحققت الكثير من المكاسب للعمال . فعلى الصعيد الاقتصادي دأبت الثورة منذ بدايتها الى خلق العمل الانتاجي والحرفي بأنواعه الماهرة وشبه الماهرة وغير الماهرة وتوفيره للعمال وتمكينهم من اشغاله والاستفادة منه في تحسين واقعهم الاجتماعي والمعاشي (٥) . ومثل هذا الاجراء ساعد على زيادة الطلب على القوى العاملة بحيث استطاع المجتمع التحرر من مشكلة البطالة والفقير وجمود الموارد البشرية . كما قامت الثورة بزيادة أجور العمال ورفع قوتهم الشرائية وتحسين أحوالهم المعاشية (٦) وتطوير مناطقهم السكنية وجذبهم على اقتناء واستهلاك المواد الغذائية الغنية بالفيتامينات وارشادهم على التدبير والاقتصاد في النفقات والابتعاد عن ممارسات الاستهلاك المظهري .

وفي الجانب الاجتماعي بادرت الثورة الى ضمان الحقوق الاجتماعية للطبقة العاملة انطلاقاً من المبادئ الانسانية التي تؤمن بها وحرصاً منها على تحقيق رفاهية الطبقة العاملة وتثبيت موقعها المتميز في المجتمع الجديد ذلك أن الطبقة العاملة هي الطبقة المسؤولة عن قضايا الانتاج والتنمية والطبقة التي تعرضت للظلم الاجتماعي والقهر الطبقي أكثر من غيرها من بقية الطبقات والفئات الاجتماعية(٧) كما يشير الى ذلك تاريخ الانسانية بصورة عامة وتاريخ المجتمع العراقي بصورة خاصة . لكن الحقوق الاجتماعية التي ضمنتها القيادة السياسية للطبقة العاملة في القطر تتجسد في التشريعات العمالية وفي بلورة ونشر مبدأ تكافؤ الفرص الاجتماعية بين العمال وغيرهم من أبناء المجتمع . فقد شرعت الثورة قانون العمال رقم ١٥١ لسنة ١٩٧٠ وقانون التقاعد والضمان الاجتماعي للعمال رقم ٣٩ لسنة ١٩٧١ . وبموجب هذه القوانين سمح للعمال بالمشاركة في مجالات التخطيط والتنفيذ وتحمل المسؤوليات كاملة أزاء تنفيذ خطط العمل(٨) . اضافة الى منح الحريات لمثلي الطبقة العاملة بالمساهمة في نشاطات الهيئات واللجان العليا للدولة كمجلس التخطيط والمجلس الزراعي . وقانون التقاعد والضمان الاجتماعي للعمال ساهم مساهمة فعالة في حماية العمال ضد المرض والبطالة والشيخوخة والتعرض للحوادث المؤسفة ، وساعد على رفع مستوياتهم المعاشية والاجتماعية .

وقد اعتمدت الثورة مبدأ تكافؤ الفرص الاجتماعية في التعامل مع أبناء الطبقة العاملة وبقية المواطنين من الفئات والشرائح الاخرى التي يتكون منها المجتمع العراقي . فقد سمح لأبناء الطبقة العاملة بالدخول الى كافة المعاهد والكليات والجامعات والقبول في البعثات العلمية ونيل الزمالات الدراسية داخل وخارج القطر ، وسمح لهم بأشغال كافة الوظائف والمهن الحساسة في الدولة والمجتمع . بينما في العهود الاقطاعية

والدكتاتورية والرجعية كانت المعاهد العالية والجامعات والبعثات والزمالات الدراسية احتكارا لأبناء الطبقات الوسطى والمرفهة (٩) . كما كان أبناء الطبقة العاملة محرومين من اشغال الوظائف المهمة والحساسة في الدولة والقوات المسلحة . أن مقاييس القبول في المعاهد والكليات والجامعات ومقاييس الدخول الى المهن والوظائف الحساسة في مجتمعنا الثوري المعاصر انما هي التأهيل العلمي والكفاءة على اشغال الادوار والمناصب الوظيفية وليس الانتماءات الطبقية والانحدارات الفئوية والولاءات الاقليمية كما كان ذلك قبل الثورة . وهذه الحالة الاجتماعية التي يشهدها مجتمعنا في عصر الثورة والتحرر هي النهوض الحضاري والتقدم الاجتماعي بعينهما .

واهتم الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله) بالعمال وقضاياهم من خلال أحاديثه عنهم وزياراته الميدانية لمواقع العمل الانتاجي وتشجيعه للعمال على زيادة الانتاج كماً ونوعاً ومشاركته الفاعلة في حل مشكلاتهم . ففي أحد أحاديثه الموجهة للعمال يربط الرئيس القائد بين العمل الجيد والشرف وبين العمل الجيد وتحقيق الأهداف التي يناضل العمال من أجلها . يخاطب الرئيس القائد صدام حسين العمال فيقول « نريد منكم أن تجعلوا من العمل شرفكم الحقيقي وليس شعارا معلقا في الدوائر فقط ، فالعامل يجب أن يجعل من العمل شرفا حقيقيا له ويحس انه عندما يعمل بدقة كأنما يدافع عن شرفه . أن المكاسب والمنجزات العظيمة التي قدمتها ثورة ١٧ - ٣٠ تموز الى العمال واهتمامات القيادة بالعمل والعمال قد أدت دورها الفاعل في تنمية وتطوير العمال بحيث أصبحوا اكثر فاعلية وتأثيرا في مسيرة المجتمع الانتاجية والتنموية من ذي قبل (١٠) .

وعلى الرغم من الجهود والاهتمامات التي بذلتها الثورة فإن الفوارق ظلت شاخصة بين العمال وبقية فئات المجتمع الأخرى خصوصا الموظفين

والمهنيين الى أن صدر قانون مجلس قيادة الثورة في يوم ١١/٣/١٩٨٧ والقاضي بتحويل العمال الى موظفين . وفي ظل هذا القانون تساوى العمال مع الموظفين في اللقب وفي الواجبات والحقوق وبدأوا يقفون على خط شروع واحد ينطلقون من خلاله نحو العمل المثمر والانتاج الوفير والخدمة الجيدة التي تطور المجتمع وتمكنه من بلوغ أهدافه القريبة والبعيدة .

ج - الأساس الفكري والعملية لتحويل العمال الى موظفين مع اشارة خاصة لنظرية العمل البعثية :

من الأسباب الجوهرية التي دعت قيادة الحزب والثورة الى تحويل العمال الى موظفين السبب الفكري والادبيولوجي الذي يكمن في نظرة الحزب القائد حزب البعث العربي الاشتراكي الى الفئات والشرائح والطبقات الاجتماعية نظرة واحدة لا تميز بين فئة وفئة أخرى أو بين طبقة وطبقة أخرى طالما أن الحزب هو حزب الجماهير العربية كلها (١١) . فالمنتسبون له ينحدرون من كافة فئات وشرائح المجتمع ، وانه يعمل لهذه الفئات والشرائح الاجتماعية ويهدف الى تحسين أحوالها ومعالجة مشكلاتها وتحقيق طموحاتها ضمن التوجهات المركزية والمبدئية لأهدافه في الوحدة والحرية والاشتراكية (١٢) . وعندما يكافح الحزب من أجل تنمية وتطوير أحوال الجماهير كافة فلا غرابة ان يساوي بين العمال والموظفين في اللقب والاحترام والتقدير والحقوق والامتيازات وأن يتيح للجميع فرصة مزاولة الأعمال التي تنسجم مع قدراتهم ومؤهلاتهم وميولهم واتجاهاتهم . علما بأن الأعمال التي يتطلب أداؤها التدريب الطويل والمهارة والموهبة والجهود المضنية والمسؤولية الكبيرة يتقاضى افرادها امتيازات مادية ومعنوية تزيد على تلك التي يتقاضاها الافراد ذو المؤهلات البسيطة والمسؤوليات المحدودة (١٣) .

وتحويل العمال الى موظفين انما ينطلق من المبدأ الاشتراكي الذي يؤمن به الحزب ، ذلك المبدأ الذي يؤكد ضرورة تقليص الفوارق الاقتصادية

والاجتماعية والثقافية والسياسية بين الأفراد والجماعات . فعندما يتساوى العامل مع الموظف في الواجبات والحقوق الاجتماعية ، ويمنح كل فرد حرية التعبير عن امكاناته وطاقاته ومواهبه الذاتية التي من خلالها يخدم الدولة والمجتمع ويشارك في عملية البناء والتنمية الشاملة فإن ظروف العامل الاقتصادية لابد أن تتحسن وتصبح مشابهة لظروف الموظف لأن الاثنين يتقاضيان امتيازات واحدة في حالة تساوي المهام والأعمال التي يقومان بها .

وعندما تتحسن الظروف الاقتصادية للعامل وعائلته نتيجة تحويله الى موظف فإن مكانته الاجتماعية لابد أن ترتفع وتصبح مشابهة لمكانة الموظف لاسيما وأن المجتمع يحترم الموظف ويقيمه أكثر من العامل (١٤) . ومن الجدير بالذكر أن تحسن الظروف الاقتصادية والاجتماعية للعامل نتيجة تحويله الى موظف سيمكنه من رفع مستواه الثقافي والعلمي لاسيما وأن الدولة تشجع الجميع على الاستفادة من التسهيلات الثقافية والعلمية المتيسرة في المجتمع . زد على ذلك ان ثقافة العامل ووعيه التربوي والعلمي نتيجة لتحويله الى موظف لابد أن يعمق وعيه السياسي والفكري بحيث يكون مستوعبا للمرحلة السياسية التي يمر بها المجتمع ومدركا لطبيعة ظروفها الموضوعية والذاتية وملماً بماهية الأخطار والتحديات السياسية والأمنية المحيطة بالمجتمع (١٥) .

وينطلق قرار تحويل العمال الى موظفين من مبدأ آخر الا وهو مبدأ تحقيق الموازنة بين الواجبات والحقوق . فتحويل العمال الى موظفين في مؤسسات القطاع الاشتراكي لابد أن يجعل المنتجين والمهنيين والخدميين كافة يقفون على صعيد واحد في الواجبات والحقوق . وهذا ما تقره نظرية العمل البعثية ، تلك النظرية التي تعني كيفية وضع مبادئ وأهداف حزب البعث العربي الاشتراكي وثورته في القطر العراقي موضع التطبيق في

الميادين كافة بشكل سليم ووفق ضوابط أساسية تؤدي في المحصلة التي تحقيق تلك المبادئ والأهداف (١٦) .

وأهم ما تتميز به نظرية العمل البعثية الموازنة بين الحقوق والواجبات ، ولكن في الحالات الاستثنائية كظروف العدوان الإيراني على العراق يميل ذراع الموازنة لصالح الواجبات . وتأكيد نظرية العمل على مبدأ الموازنة بين الواجبات والحقوق إنما ينطلق من اعتبار الإنسان ، مهما يكن عمله ولقبه ومستواه المهني والعلمي ، قيمة عليا في المجتمع إذ أنه وسيلة العمل وغايته (١٧) . لذا تنعكس نظرية العمل البعثية في الواجبات والحقوق التي تنسب للدور الوظيفي وتستنبط من الواقع ، فالواقع يغني النظرية ويطورها مثلما تساعد النظرية على تطوير الواقع . أن نظرية العمل البعثية التي تتطرق الى موضوع الواجبات والحقوق يمكن معرفتها واستيعاب مضامينها الموضوعية والذاتية من خلال مبدأ الموازنة بين الواجبات والحقوق لأن الواجب الوطني والمفاهيم الجديدة لبناء المجتمع كما يقول الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله) تقتضي أن نجري موازنة دقيقة بين الحقوق والواجبات وان نتجنب الميل على حساب الحقوق لصالح الواجبات والعكس بالعكس الا في ظروف معينة كظروف الحرب مع العدو الإيراني مثلا (١٨) .

ولا يستند قرار تحويل العمال الى موظفين الى الأساس الايديولوجي فحسب بل يستند أيضا الى الأساس العملي . فالقرار يشجع العمال الذين تحولوا الى موظفين على زيادة حجم الانتاج وتحسين نوعيته . فعندما يشعر العامل بأن القيادة والمسؤولين وضعوه موضع المساواة مع الموظفين في الامتيازات المادية والمعنوية وفتحوا الطريق أمامه بمزاولة العمل المناسب ومنحوه حق الترقية والترفيه فإنه سيكون مندفعاً الى الاخلاص في العمل والتفاني في اداء الواجب وتحقيق اغراض المؤسسة التي يعمل فيها . وهنا

تزداد كمية الانتاج وتحسن نوعيته ويعم الرفاه الاقتصادي والاجتماعي في ربوع المجتمع . وهذا ما يحتاجه العراق في الوقت الحاضر لاسيما وأن مسؤولياته لا تقف عند حد التنمية والبناء بل تتجاوزه الى اعادة بناء ما دمرته الحرب واعادة تنظيم القوات المسلحة وتطويق آثار الحرب طويلة الأمد . علما بأن زيادة الانتاج كمّاً ونوعاً انما تؤدي الى زيادة الرواتب والأجور وارتفاع القوة الشرائية للمواطنين وتحسين أحوالهم المعاشية (١٩) .

وأخيراً علينا القول بأن قرار تحويل العمال الى موظفين يتجاوب مع ظروف العمل الصناعي الحديث ، هذه الظروف التي تكون فيها مهام عمل المهني أو المهندس أو المشرف على العمل تقريبا متشابهة مع مهام عمل العامل . فالجميع سواء كانوا مهندسين أو مشرفين أو عمال يعملون على الماكينة ويهتمون بتشغيلها وادارتها وصيانتها . بينما الظروف الكلاسيكية للعمل الصناعي كانت تقسم الملاكات الانتاجية الى صنفين هما صنف المسؤولين الصناعيين كالمدرء والمهندسين والمشرفين وصنف العمال . فالمدرء والمهندسون والمشرفون لم يكونوا مسؤولين عن تشغيل وصيانة الماكينة بل كانوا مسؤولين عن مهام الادارة والتنظيم والاشراف الصناعي (٢٠) .

أما تشغيل وصيانة الماكينة فكانت من واجبات العمال . وبعد تحويل ظروف العمل الصناعي من شكلها التقليدي الى شكلها الحديث أصبحت الفوارق الفنية والمهنية والاجتماعية بين المدرء والمهندسين والمشرفين من جهة والعمال من جهة أخرى هامشية وثنائية (٢١) . ذلك أن كلا الجماعتين تحتاجان الى الدراسة والتدريب وتؤديان تقريبا أعمال متشابهة بالرغم من تباين المسؤوليات والأدوار الوظيفية التي يشغلونها (٢٢) . تحت هذه الظروف ارتأت القيادة في قطرنا ضرورة تحويل العمال الى موظفين انسجاماً

مع المعطيات الفنية المتغيرة للمؤسسات الانتاجية . وفي هذا السياق يقول الرئيس القائد صدام حسين « لقد سهل هذا القانون عمل أي اختصاص علمي مهما كانت درجته على الآلة جنباً الى جنب مع زميله الموظف المكلف بعمل يدوي فحسب ، أو عمل يدوي وذهن في آن واحد » (٢٣) .

د - الدلالات الاجتماعية والانسانية لتحويل العمال الى موظفين :

ان لقرار تحويل العمال الى موظفين العديد من المعاني والدلالات الاجتماعية والانسانية المتعلقة بالفرد والجماعة والمجتمع على حد سواء . ويمكن تحديد هذه المعاني والدلالات بالنقاط التالية :

- ١ - دور تحويل العمال الى موظفين في توازن الواجبات والحقوق لكافة منتسبي الدولة .
- ٢ - دور تحويل العمال الى موظفين في ترسيخ مبادئ العدالة الاجتماعية .
- ٣ - دور تحويل العمال الى موظفين في زيادة الانتاج الاجتماعي كمّاً ونوعاً .
- ٤ - دور تحويل العمال الى موظفين في تغيير معالم البناء الاجتماعي .
- ٥ - دور تحويل العمال الى موظفين في تسريع عمليات البناء والتحول الاشتراكي .

والان علينا شرح هذه الدلالات الاجتماعية والانسانية لقرار تحويل العمال الى موظفين .

١ - دور تحويل العمال الى موظفين في توازن الواجبات والحقوق

لكافة منتسبي الدولة :

ان عملية تحويل العمال الى موظفين تساوي بين الجميع في الواجبات التي يقدمونها للمجتمع وفي الحقوق التي يحصلون عليها من المجتمع . فالكمل يقفون عند خط شروع واحد ، غير ان عملهم أو عطاءهم هو الذي

يميز بعضهم على بعض ، والتمييز يرجع الى ما يقدمه كل واحد منهم من جهود وخدمات مثمرة للمجتمع الكبير . فالتمييز هو ذلك الشخص الذي يعطي اكثر من غيره للمجتمع ، وعطاؤه هو الذي يحدد كمية حقوقه المادية والمعنوية (٢٤) . أما الشخص الذي يتلكأ أو ينخفض انتاجه فيأخذ أقل من الشخص المنتج ، وهنا يتساوى الموظفون عند خط الشروع ، غير أن عملهم بعد فترة من الزمن يميز أحدهم على الآخر . علما بأن العمل الجيد والانتاج الوفير هما اللذان يؤديان الى خلق الثروة وزيادة الرفاهية المادية والاجتماعية وتمكين الأفراد من تحقيق طموحاتهم وأهدافهم القريبة والبعيدة .

ولما كانت إحدى سمات الاشتراكية التي يؤمن بها الحزب القائد حزب البعث العربي الاشتراكي أنها تحاول خلق الثروة لا توزيعها فقط ، فإن ذلك يتطلب جهودا استثنائية من قبل كافة أبناء المجتمع في مختلف القطاعات من أجل خلق القاعدة المادية للاشتراكية . وتحويل العمال الى موظفين يشجع الأفراد على مضاعفة الانتاج وزيادة الثروة القومية وتسريع عملية بناء القاعدة المادية للاشتراكية . وهذا الشيء يلزم في هذه المرحلة أن تميل ذراع الموازنة لصالح الواجبات على حساب بعض الحقوق . ولكن ذلك يعتبر أمرا مؤقتا حين لا تلزمه الضرورة . فكما يقول الرفيق القائد صدام حسين في كتابه « الثورة والتربية الوطنية » أن المجتمع والثورة والدولة قد تمر بحالات تتطلب أن يميل فيها ذراع الموازنة لصالح الواجبات على حساب بعض الحقوق (٢٥) . ولكن لا ينبغي اطلاقا أن تكون هناك ظاهرة في المجتمع يميل فيها ذراع الموازنة لصالح الحقوق على حساب الواجبات .

وتحويل العمال الى موظفين يمنح العمال بعض الحقوق التي تسهم في تعزيز قدراتهم وتنمية شخصياتهم عن طريق ارتباطها بحق المجتمع

ككل . وهذا ما يمنع الاستغلال في المجتمع ، أي أن كل صيغ التعبير عن حقوق الانسان تأخذ معناها من جوهر واحد أساسه أن يضمن المجتمع في حركته حقوق الفرد في أن يعيش حراً . ولكن ليس بمفرده وإنما بالتفاعل مع حرية الآخرين وحقوقهم . لكن الحقوق التي يحصل عليها الأفراد تتوازن مع المرحلة التي يقطعها المجتمع على طريق تحقيق أهدافه . وهذا يعني أن الحقوق تمنح على أساس طبيعة المرحلة التي يمر بها المجتمع ، وهذه الحقوق بدورها هي التي تحدد الواجبات التي يؤديها الأفراد من أجل الحصول على حقوقهم .

وترتبط الحقوق الممنوحة للعمال الذين تحولوا الى موظفين بنوع العمل المبذول وزيادة الانتاج وتحسين نوعيته ، أي ان الحق المضاف لن يمنح للمواطن دون أن يؤدي واجبا مضافا ومتطورا (٢٦) . فالزيادة في الأجور أو الرواتب لا يمكن أن تحدث دون زيادة الإنتاجية كما ونوعاً . وزيادة الإنتاجية وتحسين نوعيتها لابد أن تشارك في تنمية المجتمع وتطوير قطاعاته وتحقيق أهدافه القريبة والبعيدة ، أي مضاعفة السرعة التي يتم فيها صنع التجربة المتميزة للأمة العربية والانسانية جمعاء . ويعتبر الحافز المادي أحد الحوافز الأساسية وليس الحافز الوحيد لمضاعفة عمل العامل الذي تحول الى موظف بموجب بنود القرار الأخير . لأنه اذا اعتبر كل شيء في منطق العمل الثوري فأن هذا يعني الرجوع الى الرأسمالية . ذلك ان النظام الرأسمالي قائم على مبدأين في مسألة زيادة الإنتاجية وتطوير العمل . مبدأ الثواب عن طريق الحافز المادي ومبدأ العقاب عن طريق التسريح من العمل (٢٧) .

والنظام الثوري في العراق المحصن بالمبادئ والقيم القومية والاشتراكية والانسانية يعتبر الانسان قيمة عليا في المجتمع . فهو وسيلة الثورة وغايتها (٢٨) . وعلى هذا الأساس فأن العامل المادي لا يمكن أن

يكون هو الحافز الأوحد برغم أهميته . وهنا لابد من التأكيد على العوامل التربوية والاجتماعية واعتبار رضا المجتمع والحزب عن عمل الانسان وساما كبيرا ومحفزا مستمرا من أجل زيادة الانتاج خصوصا بعد تغيير لقب العامل الى موظف .

٢ - دور تحويل العمال الى موظفين في ترسيخ مبادئ العدالة الاجتماعية :

أن قرار تحويل العمال الى موظفين يتجاوب كل التجاوب مع مبدأ العدالة الاجتماعية . ذلك ان القرار ساوى بين الأفراد كافة من حيث الحقوق والامتيازات المادية والمعنوية التي يتمتعون بها ومن حيث الأعباء والمسؤوليات التي يتحملونها . فالمكافأة المادية والمعنوية التي تمنح للفرد بغض النظر عن انحداره الاجتماعي ولقب عائلته وميوله واتجاهاته الفكرية ومعتقداته الدينية تعتمد على مقدار عطاءاته للمجتمع ، فمن ينتج أكثر يأخذ أكثر ومن ينتج أقل يأخذ أقل (٢٩) وتوفر مثل هذه المقاييس في المجتمع يجعل الأفراد يشعرون بعدالة واستقامة مجتمعهم ، وشعورهم هذا يحفزهم على البذل والعطاء والتفاني في سبيل خدمة المجتمع بحيث يستطيع الأخير تقديم المزيد من المكاسب والمنجزات للأفراد والجماعات .

وعدالة قرار تحويل العمال الى موظفين ينطلق من جانب آخر الا وهو منح مكاسب للعمال من خلال تغيير لقبهم الوظيفي من لقب عامل الى لقب موظف ، مع تمكين الموظف من الحفاظ على لقبه السابق والذي هو حق من حقوقه المشروعة والثابتة . فالثورة أعطت مكسبا للعمال بتغيير لقبهم الوظيفي ، ولم يكن المكسب الذي حصله العمال على حساب شريحة أو فئة أخرى تلك هي شريحة أو فئة الموظفين . لذا فانتقال العمال الى موظفين هو انتقال رأسي ينجم عنه مساواة كافة العاملين في القطاع الاشتراكي في مجال الحقوق والواجبات . علما بأن قرار تحويل العمال الى موظفين هو

أكثر عدالة وقانونية من قرار تحويل الموظفين والمهنيين الى عمال في الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي . ففي الاتحاد السوفيتي يلقب المهني كالطبيب والمدرس والمهندس والموظف الإداري بلقب عامل ، ولقبه هذا لا يختلف من حيث النظرة والتقييم عن لقب العامل اليدوي (٣٠) . وهذه الحالة تعني خسارة المهني للقبه الوظيفي الذي حصل عليه بأتعابه وكفاحه وجهوده لأنه انخفض الى مرتبة العامل . لكن هذا الاجراء يتلاءم مع الايديولوجية الماركسية التي تعتقد بضرورة حكم المجتمع من قبل العمال وتكوين الدكتاتورية العمالية التي من خلالها يمكن تحقيق العدالة والديمقراطية والمساواة (٣١) . لكن هذا التوجه الايديولوجي في النظرية الماركسية يستند الى تعصب الفكر الماركسي للطبقة العاملة واهماله للفئات والطبقات الأخرى . بينما يتسم الفكر القومي الاشتراكي بالواقعية والعلمية والبراغماتية لانه لا ينحاز الى طبقة أو فئة اجتماعية بل ينحاز الى الجماهير العربية كلها بصورة عامة .

اذن تجاوب قرار تحويل العمال الى موظفين مع مبادئ العدالة والمساواة يمكن تفسيره بتحقيق نوع من التكافؤ الاجتماعي بين صنوف العمل العقلي واليدوي مع ترحيل العمال الى مرتبة الموظفين وأخيرا الإبقاء على القاب الموظفين لأنها حق من حقوقهم . وفي هذا الصدد يقول الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله) « كانت كل تدابير الثورة تأخذ مسار تصحيح الانحراف ، ليس عن طريق انتزاع حق او مكسب من الآخرين ، وانما بأعطاء المحرومين المكاسب التي يستحقونها والتي يمكن اعطاؤها بضوء ظروف الثورة وامكانياتها . وعليه وبدلا من أن ننتزع لقب وصفة وتسمية الموظف منحناها للعمال فأصبح الجميع موظفين ، وبذلك اصطفوا جميعا عند خط تقييم واحد في القيمة الاجتماعية وعند خط شروع واحد في تقييم العمل ومردوداته » (٣٢) .

٣ - دور تحويل العمال الى موظفين في زيادة الانتاج الاجتماعي كما ونوعاً :

أن المساواة في اللقب بين الأفراد العاملين في القطاع الاشتراكي يدفعهم الى العمل الصادق والنزاهة والمثمر . فالأفراد في ظل الظروف الجديدة مهما يكن عملهم يدويا أو فكريا لابد أن ينتجوا أكثر ويعملوا بدقة واخلاص لأن أسباب التحيز ضدهم قد زالت والنظرة المتدنية التي يحملها بعض الناس تجاههم قد تغيرت . علما بأن زيادة الانتاج كما ونوعاً لابد أن تترك مردوداتها الاقتصادية والاجتماعية عليهم وعلى مجتمعهم . فالانتاجية العالية تسبب زيادة رواتبهم وتحسين ظروفهم وتوفير السلع في الأسواق وشيوع الرفاهية المادية في ربوع المجتمع . وإذا ما تحسنت الظروف الاقتصادية للأفراد فإن معطيائهم الاجتماعية لابد أن تتطور ، وبالتالي يكون الجميع محترمين ومقيمين . وهنا تتولد النواة الأساسية للتماسك والوحدة. ويتحرر المجتمع من أسباب الفرقة والانقسام .

ولكن كيف يؤثر قرار تحويل العمال الى موظفين في زيادة انتاجية الفرد ؟ الجواب على هذا السؤال هو أن اكتساب العامل للقب موظف سيدفعه الى العمل الجدي والمثمر لأنه يعمل تحت أجواء انسانية وديمقراطية تقيم عمله وتعززه به وتعتبره حجر الزاوية في بناء ونهوض وتقدم المجتمع . كما ان اكتساب العامل للقب موظف لابد أن يمنحه فرصة التعليم والتدريب والتأهيل التقني ، هذه الفرصة التي تساعد على استعمال المكننة الحديثة في عمليات الانتاج . علما بأن التعليم واكتساب المهارة والخبرة التقنية ، اضافة الى استعمال المكننة الحديثة في الانتاج تؤدي كلها الى زيادة الانتاج الاجتماعي كما ونوعاً (٣٣) . واكتساب العامل للقب موظف سيحفزه على اكتساب الثقافة الذاتية أو الثقافة الجماهيرية والوطنية التي تزيد من درجة وعيه الاجتماعي والسياسي وتجعله انسانا وطنيا مدفوعاً الى خدمة وطنه وأمه خدمة صادقة وأمينه .

زد على ذلك أن تحويل العامل الى موظف لابد أن يطور الاحوال الاقتصادية للفرد من خلال زيادة مدخولاته الشهرية أو السنوية خصوصا بعد ارتفاع مستوى انتاجيته . وتطور الاحوال الاقتصادية للفرد لابد أن ينعكس انعكاسا ايجابيا على ظروفه السكنية والبيئية والصحية ، وفي ذات الوقت يشجعه على تحقيق الموازنة بين أنشطة العمل وأنشطة الفراغ والترويح وممارسة الأنشطة الترويحية الايجابية التي تطور شخصيته وتفجر طاقاته المبدعة والخلاقة وتساعد على التكيف لمجتمعه المحلي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه (٣٤) . علما بأن تحسين الأوضاع المجتمعية للفرد واستقراره وتكيفه لبيئته والتحرر من مشكلاته الذاتية والموضوعية لابد أن تؤدي الى زيادة انتاجيته وبالتالي ارتفاع معدل دخله ورفاهيته المادية التي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الرفاهية المادية للمجتمع الكبير . اذن زيادة الانتاج الاجتماعي للفرد بسبب تحويله من عامل الى موظف لا تعود مردوداتها للفرد فحسب بل للمجتمع الكبير أيضا .

٤ - دور تحويل العمال الى موظفين في تغيير معالم البناء الاجتماعي :

لابد أن يؤدي قرار تحويل العمال الى موظفين الى تغيير معالم البناء الاجتماعي . فالبناء الاجتماعي هو تكامل المؤسسات الوظيفية الست بطريقة تمكن المجتمع الكبير من تحقيق أهدافه (٣٥) . أن لكل مؤسسة وظيفية واجباتها وأغراضها وبرامجها وهيكل عملها وأدوارها التي تختلف في المنزلة والجاه الاجتماعي . فهناك المؤسسات الاقتصادية والمؤسسات الدينية والمؤسسات الأسرية والمؤسسات التربوية والتعليمية والمؤسسات السياسية (٣٦) . والمؤسسة الواحدة تكون على شكل هرم أو مثلث تتوزع عليه الأدوار الوظيفية التي تتباين في طبيعة الأداء الوظيفي وفي الحقوق والامتيازات التي تتمتع بها . لو أخذنا المؤسسة الاقتصادية كالمصنع مثلا

لشاهدنا بأنها تتكون من ثلاثة أنواع من الأدوار الوظيفية وهي الأدوار القيادية والأدوار الوسيطة والأدوار القاعدية (٣٧) . وهناك علاقة تكاملية وعضوية بين هذه الأنماط من الأدوار الوظيفية .

قبل تحويل العمال الى موظفين كانت هناك صنوف مختلفة من المراكز الوظيفية التي توجه بينها الحواجز النفسية والاجتماعية . وهذه الحواجز محكومة بالتعليمات والنظم البيروقراطية للمؤسسة الانتاجية . ومثل هذه الحواجز النفسية والاجتماعية تسيء الى العلاقات الانسانية بين الادارة والعمال بحيث لا تفهم الادارة العمال ولا يفهم العمال الادارة . اضافة الى أن وجود مثل هذه الحواجز يضعف صيغ التعاون بين الادارة والعمال بحيث تتعثر العملية الانتاجية ويخفق المصنع في تحقيق أهدافه الاقتصادية والتنموية . ان المؤسسات الانتاجية قبل قرار تحويل العمال الى موظفين كانت تتكون من سلسلة من المراكز الوظيفية الرأسية ، فهناك المدير العام ومدير الشعبة والمهندس والمشرف على العمل والعامل الأقدم وأخيرا العامل الذي يعمل على الماكينة في ورشة العمل (٣٨) . ولكن بعد تحويل العمال الى موظفين تغيرت صورة البناء الاجتماعي للمصنع حيث قصرت سلسلة المراكز الوظيفية الرأسية وانحصرت بمراكز معينة كمركز المدير العام ومركز مدير الشعبة ومركز الموظف الذي قد يكون مشرفا على الماكينة أو مشرفا على عملية الانتاج أو خبيرا في صيانة الماكينة واعدادها للعمل الانتاجي المستمر .

وعندما قصرت سلسلة المراكز الوظيفية الرأسية في المؤسسات الانتاجية نتيجة لقرار تحويل العمال الى موظفين فأن سرعة الانتاج تكون أعلى مما كانت عليه سابقا بسبب تجاوز الروتين والبيروقراطية والتحرر من المشكلات الناجمة عن كثرة المراكز الوظيفية وما تنطوي عليه من تقاطع وتناقض . زد على ذلك أن الاستغناء عن بعض المراكز الرأسية بعد نقلة

العمال الى موظفين ومنحهم حق المشاركة في ادارة المشروع الصناعي واتخاذ القرارات المتعلقة بسياسته الانتاجية والتنموية سيجعل المصنع منظمة اجتماعية موحدة وكفوءة في اداء عملها . علما بأن وحدة وكفاءة المؤسسة الانتاجية تؤثران في انتاجيتها تأثيرا ايجابيا يمكنها من بلوغ أهدافها القريبة والبعيدة .

اذن نقلة العمال الى موظفين تغير صورة الهرم الوظيفي للبناء المؤسسي للمنظمة الانتاجية بصورة خاصة ، وتغير صورة الهرم الطبقي للبناء الاجتماعي بصورة عامة . فتحويل العمال الى موظفين يؤدي الى انصهار قاعدة الهرم الوظيفي للبناء المؤسسي وذلك من خلال نقلة أعضاء القاعدة الى السفوح ونقطة بعض مراكز السفوح الى قمة الهرم الوظيفي . وما ينطبق على المؤسسة الانتاجية التي تعتبر جزءاً من المؤسسة الاقتصادية ينطبق على المؤسسات الوظيفية الأخرى طالما أن الأخيرة تتكون من مراكز قيادية ووسطية وقاعدية . علما بأن تغيير صورة البناء الاجتماعي نتيجة نقلة الأفراد ينسجم مع المبادئ الديمقراطية والانسانية التي يقود انتشارها الى الرضا والاستقرار والطمأنينة .

٥ - دور تحويل العمال الى موظفين في تسريع عمليات البناء والتحول الاشتراكي :

أن تحويل العمال الى موظفين لا يؤدي الى نشر مبادئ المساواة والعدالة الاجتماعية في ربوع المجتمع فحسب بل يؤدي أيضا تسريع عمليات البناء والتحول الاشتراكي . فتحويل العمال الى موظفين يشجع العمال المرحلين الى موظفين على زيادة الانتاج كماً ونوعاً ، وزيادة الانتاج توفر السلع في الأسواق وتمكن الأفراد من شرائها والحصول على أكبر كمية من الأشباع منها . وزيادة الانتاج تقود الى زيادة الاجور والارباح وشيوع

الرفاهية المادية في ربوع المجتمع والقضاء على الفقر والحرمان المادي . كما أن تحويل العمال الى موظفين يقلل الفوارق الاجتماعية الطبقية ويزيل الاستغلال والظلم والاحتكار الذي تعرضت له الطبقة العاملة في العهود السابقة ويخلق نمطا جديدا من المرونة الاجتماعية بين الفئات والجماعات هذه المرونة التي تسرع عملية الانتقال الاجتماعي التي تنسجم كل الانسجام مع ظاهرة التحول الاشتراكي .

زد على ذلك أن تغيير لقب العامل الى موظف لابد أن يمنح العامل درجة من القناعة والرضا والثقة العالية بالنفس التي تمكنه من تقييم ذاته على نحو ايجابي ومتميز . ذلك انه يشعر بأنه يقف على صعيد واحد مع أي مهني في الدولة . كما ان تقييم الآخرين له بعد تغيير لقبه يكون تقييما ايجابيا ينتج في رفع سمعته وقيمته في المجتمع بحيث يستطيع تحقيق طموحاته وأهدافه الذاتية والاجتماعية بسهولة . واذا ما نجح العامل الذي تغير لقبه الى موظف في تحقيق طموحاته وأهدافه فإنه يتكيف للمحيط الاجتماعي تكيفا ايجابيا وبالتالي يكون عنصرا فاعلا في الدولة والمجتمع .

وتحويل العمال الى موظفين لابد أن يغير المواقف السلبية التي يحملها بعض الأفراد ازاء الاعمال اليدوية أو الأعمال الحرة . فعندما يرى هؤلاء الأفراد بأن شاغلي الاعمال اليدوية أو الانتاجية هم موظفون لا يختلفون عن موظفي الدولة الاخرين فأنهم يبدأون باحترامهم وتقديرهم ووضعهم في المكان المناسب . ومثل هذا الاحترام والتقدير سيدفع العمال المرحلين الى موظفين الى اكتساب المزيد من الخبرات والمهارات التكنولوجية وتعلم الكثير من الفنون الانتاجية التي تعود مردوداتها الايجابية الى المؤسسة الانتاجية والمجتمع على حد سواء . أن تدريب الموظف الحرفي على فنون الانتاج الحديث واتقانه لمهام عمله ومواصلته لعملية التزود بالمعرفة والخبرة والاختصاص لابد أن تحوله من منتج غير ماهر أو شبه ماهر الى منتج

ماهر • وهنا تقلص الفوارق بين الافراد ، الفوارق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمهنية ، وتقليصها يسبهم في تسريع عملية البناء والنمو الاشتراكي (٣٩) •

وأخيرا ينسجم قانون تحويل العمال الى موظفين كل الانسجام مع القيم والممارسات الاشتراكية التي يعتمدها حزب البعث العربي الاشتراكي في عملية التحويل الاشتراكي وتقليل الفوارق الموضوعية والذاتية بين الأفراد والجماعات • فالاشتراكية بنظر الرئيس القائد صدام حسين هي وسيلة لتقدم وتطور الحياة يستطيع الانسان من خلالها بلوغ السعادة والازدهار والرفاهية ، والاشتراكية ليست قيدا وانما وسيلة حياة وفهم للحياة على نحو جديد مناقض لحالة الاستغلال والقهر والظلم (٤٠) •

فقانون تحويل العمال الى موظفين وان كان يهدف الى تحقيق المساواة بين العمال والموظفين بحكم وضعهم عند خط شروع واحد فإنه في ذات الوقت يميز بين الموظف المنتج والموظف غير المنتج ، ويميز بين الموظف المبدع والموظف غير المبدع ، ويميز بين الموظف الذكي والموظف محدود الذكاء •

لذا فالقانون ينطلق من الاشتراكية التي تضمن حقوق الجميع ، وفي ذات الوقت تميز بين شخص وآخر بناء على مقدار العطاءات والمنجزات التي يقدمها كل منهما للمجتمع الكبير • اذن قانون تحويل العمال الى موظفين هو قانون يشجع المبدعين والمنتجين والمتميزين ويطور المجتمع وبممكنه من بلوغ أهدافه القريبة والبعيدة •

هـ - الخاتمة :

تتناول دراسة المضامين والابعاد الاجتماعية لتحويل العمال الى موظفين ثلاثة محاور أساسية هي التحولات الاجتماعية والحضارية للعمال في ظل ثورة ١٧ - ٣٠ تموز القومية الاشتراكية ، والأساس الفكري والعملي لتحويل العمال الى موظفين مع اشارة خاصة لنظرية العمل البعثية ، وأخيرا الدلالات الاجتماعية والانسانية لتحويل العمال الى موظفين . وهذه الدلالات تتجسد في تساوي الواجبات والحقوق لكافة منتسبي الدولة ، ونشر وترسيخ مبادئ العدالة الاجتماعية ، وزيادة الانتاج الاجتماعي كما ونوعاً ، وتغيير معالم البناء الاجتماعي المؤسسي ، وأخيرا تسريع عمليات البناء والتحول الاشتراكي .

ومن الجدير بالذكر أن التطبيق الدقيق لقانون تحويل العمال الى موظفين سيحدث ثورة شاخصه في مؤسسات وبنى المجتمع العراقي التحتية منها والفوقية ، ويخفف الفوارق الاجتماعية بين الافراد والجماعات ، ويسرع عملية التنمية والبناء الاشتراكي في ضوء النظرية الاشتراكية للحزب القائد بما فيها نظرية العمل البعثية ، ويدعم دور الفرد في المجتمع بأعتبره وسيلة الثورة وغايتها . ناهيك عن أهمية القانون في الغاء الأفكار والمواقف والممارسات المتخلفة التي يحملها البعض ضد العمال وطبقتهم الاجتماعية .

الا أن تنفيذ القانون على نحو جدي وفاعل يتطلب شرح مضامينه وأبعاده للمواطنين من خلال وسائل الاعلام الجماهيرية ، وتوضيح فوائده المادية والحضارية ، وربطه بظروف ومعطيات الفئة الاجتماعية التي يخصها القانون ، وأخيرا متابعة وتقويم القانون لكي يسهم في أحداث التغيير الثوري المتوقع ، التغيير الذي ينقل المجتمع العراقي برمته من مرحلة حضارية معينة الى مرحلة أخرى تتسم بالموضوعية والعقلانية والتشعب والتكامل والقدرة على الفاعلية والداينميكية .

انتهوامش والمصادر :

- (١) الداهري ، عبدالوهاب مطر (الدكتور) . اقتصاد الحرب والمهمات القومية ، مجلة البحوث الاقتصادية والادارية العدد الاول ، المجلد التاسع ، كانون ثادني ١٩٨١ ، ص ٢٢ - ٢٣ .
- (٢) الاستاذ ميشيل عفلق (القائد المؤسس) . في سبيل البعث ، بغداد دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٤ ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .
- (٣) الرئيس القائد صدام حسين . لماذا حولنا العمال الى موظفين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ١٧ .
- (٤) الأستاذ ميشيل عفلق (القائد المؤسس) في سبيل البعث ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .
- (٥) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) . الثورة والقادسية الجديدة ، مطبوعات مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٤٢ .
- (٦) نفس المصدر السابق ، ص ٣١ .
- (٧) فرح ، الياس (الدكتور) . تطور الايديولوجية العربية الثورية ، الفكر الاشتراكي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٥٢ .
- (٨) الثقافة العمالية ودورها في التوعية الوطنية والقومية ، مكتب العمل للدراسات والبحوث ، بغداد ، ١٩٧٩ .
- (٩) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) . التحول الاجتماعي في المؤسسات الثقافية والتربوية في العراق ، جريدة الجمهورية البغدادية ، تاريخ ١٩٧٨/٩/٢٦ .
- (١٠) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) . الثورة والتنمية والتحديث . بحث منشور في مجلة كلية الآداب ، المجلد ٢٣ ، العدد (٢) كانون اول ١٩٨٢ .

(١١) الطبقة والانتماء الطبقي عند البعث ، الثورة العربية ، مكتب الثقافة والأعلام ، العدد السابع ، السنة الحادية عشرة ، تموز ١٩٧٩ ، ص ٥١ .

(١٢) نفس المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(١٣) الجوهري ، محمد (الدكتور) . علم الاجتماع الصناعي ، القاهرة دار الحمامي للطباعة ، ١٩٧٥ ، ص ٢٣١ .

(١٤) الرئيس القائد صدام حسين . لماذا حولنا العمال الى موظفين ، ص ١٦ .

(١٥) فرح ، الياس (الدكتور) . الأبعاد السياسية للحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية في العراق ، مؤتمر بغداد لمحو الأمية ، ١٩٧٦ ، ص ١٠١٨ .

(١٦) سليمان ، قحطان أحمد . نظرية العمل في فكر الرئيس القائد

صدام حسين ، الموسوعة الصغيرة ، عدد ٢٣٧ ، ١٩٨٦ ، ص ٥ .

(١٧) الكبيسي ، طراد . التجربة الخلاقة : قراءة جديدة في فكر الرئيس

صدام حسين ، منشورات وزارة الاعلام ، ١٩٨٤ ، ص ٧٦ .

(١٨) الرئيس القائد صدام حسين . الثورة والتربية الوطنية ، بغداد ،

مطابع الحرية ، ١٩٧٧ ، ص ١٣ .

(١٩) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) . دور الواجبات والحقوق

الاجتماعية في نظرية العمل البعثية ، دراسة منشورة في جريدة

الجمهورية البغدادية ، الصفحة الثالثة بتاريخ ١٩٨٤/٦/٢٣ .

(٢٠) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) . علم الاجتماع الصناعي ،

مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٧٠ - ٧٢ .

(٢١) الجوهري ، محمد (الدكتور) . علم الاجتماع الصناعي ، ص ١٩٠ .

(٢٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

(٢٣) الرئيس القائد صدام حسين . لماذا حولنا العمال الى موظفين ؟ ،
ص ١٨ .

(٢٤) حسن ، كامل سركك . بعض المشكلات الاجتماعية والحضارية التي
يعاني منها الشباب وطرق علاجها . رسالة ماجستير غير منشورة ،
الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٢ ، ص ٨٦ .

(٢٥) الرئيس القائد صدام حسين . الثورة والتربية الوطنية ، ص ١٣ .
(٢٦) الرئيس القائد صدام حسين . لماذا حولنا العمال الى موظفين ، ص
١٧ - ١٨ .

(٢٧) البروفسور دينكن ميشيل . معجم علم الاجتماع ، دار الطليعة ،
بيروت ، ١٩٨٦ ، الطبعة الثانية ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢٨) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع لحزب البعث العربي
الاشتراكي ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ١٧١ .

(٢٩) الرئيس القائد صدام حسين . الثورة والنظرة الجديدة ، دار الحرية
للطباعة ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٤٧ .

(٣٠) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) . البناء الاجتماعي والطبقية ،
بغداد ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٨٥ ، ص ٦٧ .

(٣١) نفس المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٣٢) الرئيس القائد صدام حسين . لماذا حولنا العمال الى موظفين ،
ص ١٧ .

(٣٣) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) . أثر محو الأمية الحضارية في
عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ص ١٣٤ .

(٣٤) خطاب ، عطيات محمد (الدكتور) . أوقات الفراغ والترويح ،
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٣٨ .

- (٣٥) بدر ، غسان زكي (الدكتور) . النظام الاجتماعي ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٣ ، ص ٢٥ .
- (٣٦) نفس المصدر السابق ، ص ٢٣ .
- (٣٧) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) البناء الاجتماعي والطبقية ، ص ١٩ .
- (٣٨) الحسن ، احسان محمد (الدكتور) . علم الاجتماع الصناعي ، ص ٧٠ .
- (٣٩) كوندرا تيف . ام . مشكلات التصنيع في البلدان النامية ، دار التقدم موسكو ، ١٩٧٤ ، ص ٤٤١ .
- (٤٠) الرئيس القائد صدام حسين . طريقنا خاص في بناء الاشتراكية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ .

الانطلاق والتحرر من قيد البيت العمودي

الدكتور حبيب حسين الحسني

كلية الآداب - جامعة بغداد

بدأ بعض الشعراء المعاصرين ، منذ أوائل هذا القرن بالتحرر والانطلاق من قيد البيت العمودي ، حيث حبذوا الشعر المقطوعي أو تغيير الوزن والقافية . ويتمثل هذا التحرر عند شعراء المهجر مثل ايليا ابوماضي والياس فرحات وجورج صيدح وشفيق معلوف ونسيب عريضة وغيرهم من هؤلاء الشعراء . وتأثر بهؤلاء الشعراء بعض شعراء البلاد العربية الآخرين ، فسلكوا مسلكهم ، واتخذوا طريقتهم في نظم قصائدهم العمودية، بأن جعلوا قصائدهم عبارة عن مقاطع ذات وزن واحد مع تغيير القوافي لكل مقطع . وشمل هذا التحرر في الشعر المعاصر عدا القافية المختلفة والمتعددة، عدد التفعيلات التي يحويها الشطر الشعري العمودي ، اذ استطاع بعض الشعراء أن يقلل من تفعيلات الشطر أو يزيد عليها قليلا أو يأتي بعدد من التفعيلات لم نجدها في بحور الخليل بن أحمد . وكذلك شمل هذا التغيير تطورا في استخدام بعض الأعاريض والأضرب لقسم من قصائد الشعراء . واتخذ هذا التحرر أشكالا متنوعة مختلفة سنعرض لبعضها فيما يأتي من البحور التي نظموا فيها قصائدهم :

١ - البحر الطويل : للشاعر حسن عزة قصيدة عنوانها (خذوا عني الدنيا) (١) تحوي اثني عشر بيتا من هذا البحر ، وقد جعل لكل ثلاثة

(١) دموع وأشواق : ٧٣ .

أبيات قافية موحدة واستخدم للأبيات الثلاثة الأولى الضرب التام
(مفاعيلن) ، بينما استخدم لبقية أبيات القصيدة الأخرى الضرب المقبوض
(مفاعلن) . والخروج من ضرب الى ضرب يسمى عند العروضيين
(بالتحريد) وهو عيب من عيوب الشعر . قال حسن :

ألا أيها العذال ان مدامعي
تنبئكم ألا سبيل الى الرشـد

وآهاتي الحرى تخبر أنني
نبئت النهى للشوق والصبر للوجد

فلا ترهقوني بالعتاب كفاكمو
دعوني الى الأشواق أحملها وحدي
مفاعيلن (.....)

خذوا عني الدنيا خذوا كل طارف
خذوا عني الماضي الرقيق المطالع
مفاعلن

دعوني اليه يلهب الشوق خافقي
وأحرق قربانا لعينيه فاديا
مفاعلن

ألا فخذوا مني الأمان لقلبه
خذوا لتفاويه جميع خواطري(٢)
مفاعلن

(٢) القصيدة ذات أربعة مقاطع وقد ذكرنا لكل مقطع بيتا واحداً عدا
المقطع الأول الذي ذكرناه .

٢ - البحر البسيط : نظم الأستاذ المرحوم ابراهيم الواصل قصيدة في هذا البحر ، وقد جعلها ذات ستة مقاطع من الشطور ، اذ بدأها ببيت واحد من الشعر العمودي هو :

ردي الي ترانيمي وأقداحي
فقد ظمئت الى الأنغام والراح

وجعل قوافي المقاطع موحدة ، ما عدا قافية آخر شطرين من كل مقطع ، حيث جعلها كقافية البيت العمودي . واستخدم لها الضربين (فعلن وفعلن) المخبون والمقطوع ، مع تكرار صدر البيت العمودي في كل مقطع ، فقال (٣) :

هجرتني وزويت الكأس والنغما
فعدا قلبي كالقيثار منحطما
ماذا عليك - اذا ما الدهر قد أثما -
لو تطفئين من الأنفاس ما اضطرما
فعلن

يا جنتي وخيالاتي وأفراحي
ردي الي ترانيمي وأقداحي
فعلن

ردي الي زبيعا كان مزدانا
وجنة عبقت بالسحر ألوانا
أيام كنت بعيد الهم جذلانا

(٣) ديوان الواصل - القسم الثاني - قصيدة أحلام : ٢١ - ٢٣ نظمت سنة ١٩٤٨ القاهرة .

كالطفل يبسم للأطياف وسنانا
وأنت لحن أماسي واصباحي
ردي الي ترانيمي وأقداحي
فعلن

... الخ (٤)

٣ - البحر الكامل : نظم الشعراء المعاصرون بعض قصائدهم في هذا
البحر ، ولم يتقيدوا بقافية موحدة لقصائدهم . واستخدم بعضهم مع هذا
البحر مجزوءه المرفل وأشطراً تحوي تفعيلتين . قال الشاعر (٥) :

في البرعم الغافي وفي الهدب المبلل بالدموع
في الصمت في الأحلام في الشفق المخضب في الربيع
متفاعلاتن

روحي تفر اليك مني
ثعلبي يجنحها التمني
واذا أفقت وأنت عني
في معزل وأنا بسجني
رجعت الي تقول : غن

(٤) تنظر قصيدة أنور خليل في ديوانه (من أصداء المعترك - يا بؤس
يا ظلم ... ص : ١٨ - ١٩ سنة ١٩٤٦ م ، فقد استخدم لها شطوراً
من هذا البحر واستخدم لها قوافي مختلفة مع الضربين (فعلن)
و (فعلن) . وتنظر قصيدة الشاعر موسى النقدي (عوالق) فقد
جعلها ذات ثلاثة مقاطع من الشطور واستخدم لها الضربين (فعلن
وفعلن) مع قافية موحدة لكل مقطع - ديوان أجنحة النور ص :
٢٥ - ٢٦ .

(٥) ملائكة وشياطين قصيدة (أغنية ص : ٦٨ - ٦٩ القصيدة مقطعان
متشابهان .

متفاعلاتن

ما زلت نشوان الخواطر تائهاً
في الوهم أضرب كالفراش الحائر

ماضي يجذبني اليك بلهفة
ويكاد في عينيك يشعل حاضري

ويهز في أعماق روحي صورة
في سر أحلامي وفرحة خاطري

لولا سناها ما عرفت حقيقتي
ونشيد انشادي وكنه مشاعري
متفاعلن

لقد تحرر بعض الشعراء من عدد التفعيلات في بعض قصائدهم ، ولم يلتزموا العدد المعين من تفاعيل البحور التي وضعها الخليل بن أحمد ، حيث وجدها في شعر العرب ، وهذه التفاعيل ثابتة باقية حتى يومنا هذا في البحور الشعرية المختلفة ، ولقد أشارت نازك الملائكة الى ذلك فقالت : (وكل ما نصنع نحن الآن ، أن نتلاعب بعدد التفاعيل وترتيبها) (٦) . وعدت نازك هذا اسلوباً جديداً يطلق الشاعر من قيده فقالت : (انني أحسست أن هذا الاسلوب الجديد في ترتيب تفاعيل الخليل يطلق جناح الشاعر من ألف قيد) (٧) وادعت أنه ليس خروجاً على طريقة الخليل فقالت : (وينبغي ألا ننسى أن هذا الاسلوب الجديد ليس خروجاً على طريقة الخليل ، وإنما هو تعديل لها يتطلبه تطور المعاني والأساليب خلال

(٦) شظايا ورماد - المقدمة ص : ١١ .

(٧) شظايا ورماد - المقدمة ص : ٨ .

العصور التي تفصلنا عن الخليل (٨) .

قالت نازك في قصيدتها (لحن النسيان) (٩) وقد استخدمت
لشطورها هذه التفعيلات :

١ متفاعلان	لم يا حياه
٣ متفاعلان	تدوي عذوبتك الطرية في الشفاء
٣ متفاعلان	لم وارتطام الكأس بالفم لم يزل
٢ مستفاعلان	في السمع همس من صدهاء ؟

.....

١ متفاعلان	ولم الملل
٣ متفاعلان	يبقى يعيش في الكؤوس مع الأمل
٣ متفاعلان	ويعيش حتى في مرور يدي حلم
٢ متفاعلان	فوق المباسم والمقل

.....

٤ - البحر الهزج : ومن القصائد التي جعل الشعراء لصدورها قافية
موحدة ولأعجازها قافية موحدة قول الأستاذ المرحوم ابراهيم الواصل في
قصيدته (يا قلب) (١٠) :

نسيم الصبح قد رقا
يحيي الزنبق الباسم

-
- (٨) شظايا ورماد - المقدمة ص : ١٠ .
(٩) قرارة الموجة ص : ١٣٢ - ١٣٦ - القصيدة ٩ مقاطع مختلفة القوافي
ومسكنة . استخدمت الشاعرة لها الضربين (متفاعلين ومتفاعلان) .
تنظر قصيدة (نداء ص : ٣٦ - ٣٧ في ديوان أفياء) إذ استخدم لها
الشاعر تفعيلة واحدة وتفعيلتين وثلاث تفعيلات واستخدم لها الأضرب
(متفاعلين ومتفاعلان ومتفاعلاتن) .
(١٠) ديوان الواصل : ١٠٠/١ نظمها في سنة ١٩٤١ م بغداد .

فيا قلبي كم تشقى
بأفق موحش قاتم

.....

أفق يا قلب فالفجر
تجلى من ثنياته
وقد هام به الزهر
يحياه بياقاته
وهذا الحسن والعطر
فنون من حياته
وها قد صفق النهر
يحياه بموجاته
أفق يا قلب من نومك
مع الصادح اذ هبنا
وخل الناس في لومك
وخل اللوم والعتبا
فما تحصد من يومك
سوى الشوك وما العقبي
وماذا نلت من قومك

وقد ضلوا بك الدربا(١١)

وللشاعر عدنان الراوي قصيدة (العبد السيد) (١٢) التي نظمها في
هذا البحر وقد بدأها بثلاثة أشطر يحوي الشطر الأول والثاني تفعيلة

(١١) تنظر قصيدته (في العيش لنا حق في ١/١٨٥ - ١٨٦) فهي من
الهمز وتحوي ٥ مقاطع اذ بدأها ببيتين لهما قافية موحدة ، وجعل
كل مقطع ذا قافية موحدة .

(١٢) من العراق ص : ٧٧ - ٧٨ .

واحدة ويحوي الشطر الثالث تفعيلتين • وجعل الشاعر الأشطر الخمسة بعدها ذات قافية موحدة • وهي شبيهة بالمخمس • قال الشاعر :

أنا العبد	١ مفاعيلن
ولي قيد	١ مفاعيلن
فأين العز والمجد	٢ مفاعيلن

وقومي من همو قومي
أباة النذل والضيم
لقد كانوا وبالرغم
أصاخوا اليوم للظلم

وذاقوا لذة السلم	٢ مفاعيلن
فأين العز والمجد	٢ مفاعيلن
ولي قيد	
أنا العبد	

لنا أهل وأسماء
وألقاب وعلياء
لنا دين وآراء
وفي الدينا أذلاء
فقولوا ما هو الداء الخ (١٣)

٥ - مجزوء الرمل : نظم الشعراء قصائد في مجزوء الرمل • وهذه قصيدة استخدم لها الشاعر الضرب (فاعلان) وهو استخدام جديد في هذا الباب • وكذلك استخدم لها أبياتا وشطورا ، واستخدم للشطور

(١٣) هذه القصيدة ذات ٤ مقاطع متشابهة تماما • تنظر قصيدته (يأس ص : ٨١ - ٨٢ في الديوان نفسه) فهي مثلها تماما وذات ٣ مقاطع •

الأضرب (فاعلاتن وفاعلان وفاعلن) • قال الشاعر في قصيدته (من رأى
الشاعر تاب) (١٤) :

كذب الواشي وخاب
من رأى الشاعر تاب
عمره فجر من الحب
وليل من شراب
فاعلان

كيف أصبحو ؟ خمرتني من شفتيك
والمنى تضحك لي في ناظريك
وأناشيد الهوى في أذنيك
همسات القطر بل رنات أيك
٣ فاعلاتن

غنني يا بليلي
واسقني يا جدولي
الليالي الحمر لي

٢ فاعلن
١ فاعلاتن
٢ فاعلان

يا سليمي
كذب الواشي وتاب
رددني ذكرى لقانا الأول
وتساقينا كؤوس الغزل
وافتراش العشب عند الجدول
أنا لا أنسى وقد غنيت لي

(١٤) الهوى والشباب ص : ١٤٧ - ١٤٩ •

٣ فاعلن

عندما الليل احتوانا

كيف سالت دمعانا

وتلاقت شفتانا

٢ فاعلاتن

١ فاعلاتن

يا سليمى

... الخ (١٥)

٦ - البحر السريع : نظمت نازك الملائكة قصيدة في هذا البحر وقد
تحررت من قيد العروض والضرب على السواء . وكذلك من قيد القافية .
فاستخدمت للعروض (فاعلن وفاعلان ومفعول وفعلن) وللضرب (فاعلن
وفاعلان ومفعول وفعلن) . قالت نازك في قصيدتها (رماد) (١٦) :

أهكذا داست علينا الحياه

لم تبق منا صدى

فاعلن

لم تبق الا الندم الأسودا

وصوت واخيبتاه

فاعلان

.....

ونحن ما زلنا نجر الحنين

والأمس والذكريات

(١٥) القصيدة ٤ مقاطع .

(١٦) شظايا ورماد ص : ١٥٦ - ١٦٠ - القصيدة ٢٣ مقطعا ، وكل مقطع
يحتوي بيتين . جعلت الشاعرة الصدر ذا ثلاث تفعيلات والعجز ذا
تفعيلتين .

أقيادنا مثقلة بالحياة
ونحن في الميتين
٢ فاعلان

.....

وبعث ماضى لون أركانه
من مزق الأحلام
٢ مفعول

أمسى رهيباً تنكر الأيام
مفعول

مماري جدرانه
٢ فاعلن

والريح لم تبق على بابه
حاروف أسمائنا

لم تبق حتى وقع أقدامنا
في جو محرابه
٢ فاعلن

اشباحنا حافرة في ارتعاد
مقبرة الذكريات
لا صورة تنبض فيها حياة

٢ فاعلان

لا شيء غير الرماد
٢ فاعلان

تنصت في رعب وفي اعياء
عند السياج الحزين
٢ فاعلان

فلا تعي الا بقايا أنين
ترسله الأقباء
٢ مفعول

... الخ (١٧) .

٧ - البحر المنسرح : نظم الشعراء في هذا البحر قصائد قليلة .
وهذه القصائد اختلط قسم منها بالسريع والرجز . والقصائد التي
وجدناها من هذا البحر هي منهوك المنسرح ذو التفعيلتين . قال الشاعر
أنور العطار في قصيدته (المدينة المسحورة) (١٨) :

زنبقة / الصيحاء
يا فتنة الوجود
نشرت في الفضاء
روائح الخلود
٢ فاعلان

سربت في الأفكار
روحا يفيض عطفًا

(١٧) تنظر قصيدة (شعب سجين ص : ٢٧ - ٢٩ في ديوان من أصدقاء
المعترك) فهي تشبه قصيدة نازك ، الا أنها ذات أربعة أبيات مع
شطر منفرد . استخدم لها الشاعر العروض (فاعلان) عدا مقطع
واحد منها استخدم له العروض (فاعلن) . أما الأعجاز ففيها تفعيلتان
اثنتان فقط وضربهما (فعلن) والقصيدة هذه ستة مقاطع .
(١٨) ظلال الأيام ص : ٦٤ - ٦٥ .

وغيبت في الأنظار
طيفا يذوب لطفها
فعولن

يا متحف الدهور
ومعرض الألباب
خبأت للعصور
سلافة الأحقاب
مفعولن

وقاسيون لاحا
وأنكت بين سسوحه
مترعة ~~مراحمها~~
تلعب في سفوحه
فعولن

وهاهنا الآباد (مفعول) لم يطوها الفناء
تكلم الجماد واختلج العفاء
فعول

دمشق أنت مأوى
للحسن والفنون
عشت الدهور نجوى
للشاعر المفتون
مفعول

... الخ (١٩) .

(١٩) القصيدة تحوي ٢٩ مقطعا وكل مقطع بيتان .

استخدم الشاعر هنا للأبيات الأعاريض (مفعولن ومفعول وفعلون وفعلون وفعل) والأضرب (مفعولن وفعلون ومفعول وفعل) . وجعل لكل صدرين قافية موحدة ولكل عجزين قافية موحدة .

٨ - البحر الخفيف : نظم الشعراء أيضا في هذا البحر قصائد ذات أبيات وشطور ، واستخدموا قوافي مختلفة متعددة لقصائدهم . قال الشاعر في قصيدته (ذكرى الشويحات) (٢٠) :

صبح المزن بالشويحات دارا
وسقى القطر غيدها والعذارى
وكساها من النعيم ازدهارا
وحباها من الربيع اخضرارا
وسلاما ونضرة ونعيما
قد قضينا من الدهر حولا
كان من سائر الليالي أحلى
فسرقنا فيه اللذات عجلي
ورشفنا من المرافف طلا

وعصرنا من الثغور الكروما

كم نعمنا بفاتر الطرف خاذل
كاد من وطأة البرى والخلاخل
صاح يدمى وفي اللمى خمر بابل

(٢٠) دموع وأشواق ص : ٧٩ - ٨٠ .

عتقتها يد التقدير العادل
للذي ضيع الحياة هموما

... الخ (٢١) .

٩ - البحر المتقارب : نظم الشعراء في هذا البحر قصائد كثيرة ، ولم يلتزموا بقافية موحدة لكل قصيدة . وكذلك لم يلتزموا بعروض وضرب الأبيات والشطور ، ولم يلتزموا بعدد التفعيلات في الأبيات والشطور . وهذه قصيدة (خيوط الذهب) (٢٢) التي جعل الشاعر للصدر قافية موحدة لأربعة أشطر وللعجز قافية موحدة لكل شطرين فقال :

دعي شعرك الحلو مسترسلا
كشلال تبر على كتفيك
كبركان نار جرى مثقبلا
وأبطأ في منحني ساعديك
فعولن

كريف بلادي ما أجملا
حقول بلادي وقت المساء
تموج السنابل فيها على
رفيف النسام ودفق الضياء
فعول

(٢١) القصيدة ذات ٥ مقاطع متشابهة . تنظر قصيدة (العميان ص : ٣١ - ٣٢ في ديوان الجداول) فهي ثمانية مقاطع وكل مقطع يحوي ٣ أشطر وبيتا من الشعر كاملا من البحر الخفيف . وجعل الشاعر لكل ٣ أشطر قافية موحدة . أما البيت الشعري في كل مقطع فله قافية موحدة أيضا .

(٢٢) قبل لا تنتهي ص : ٢١ - ٢٣ القصيدة تحوي ٣ مقاطع .

دعي شعرك الحلو مستسلما
الى كتفي باقة من حرير
أعي فيه هدأة صحو السما
وأبصر وجه الربيع النضير
وأسرح في غابة مغرما
بنفح الظلال وهمس الورود
وأرجع ظمآن ما للظما
أليس له في ضلوعي حدود
فعول

... الخ (٢٣) .

وهذه قصيدة غريبة نادرة من هذا البحر . استخدم الشاعر لكل بيت منها (١٠) تفعيلات ، وهو شاذ ، ثم أورد بعد هذه الأبيات بيتين يحويان (٤) تفعيلات ثم بيتا واحدا يحوي (٣) تفعيلات ، ثم بيتا آخر يحوي تفعيلتين فقال (٢٤) :

تحيرت أختاه لا الأنجم الساطعات
ولا الخابيات يخبرنني عن غدي
أرى مقلتين بعيداً وراء الضباب
تريقان دمعاً على الأفق المرعد

(٢٣) تنظر قصيدته (نزهتي في الشتاء ص : ٤٩ - ٥٠) فهي خمس مقاطع ذات بيتين في كل مقطع . وهي تشبه هذه القصيدة ، الا أن الشاعر جعل لكل صدرين قافية موحدة ولكل عجزين قافية موحدة في كل المقاطع مع اختلاف القوافي في المقاطع . واستخدم الضربين (فعول وفعل) .

(٢٤) طبول الرعب - قصيدة (حشرات ص : ٥٠ - ٥١) . ٤

وقلبا طريحا يحشرج والأمنيات
سجدن ينحن على أمسه الأبعد
وأسمع همساً حزينا جريح الصدى
يغمغم : يا أمسيات الغرام اشهدي
تفانى وحشرج في حبها (فعل)
ولا هيئة عنه تستمتع

لها كل يوم حبيب جديد فعول
بأبواب أهوائها يقرع
فعل

وتحت الظلام العميق فعول
على شفقتها بريق
فعول

دماء الضمير يلوع فعول
وسرب الدموع
فعول

فيا للعذاب فعول ... الخ (٢٥)

١٠ - البحر المتدارك (المحدث) : نظم الشعراء قصائد قليلة جدا
في هذا البحر . ولقد وجدنا للاستاذ المرحوم ابراهيم الوائلي قصيدة من
منهوك هذا البحر ذات تفعيلتين في الصدر وتفعيلتين في العجز . وهي ذات
مقاطع ، يحوي كل مقطع منها أربعة أبيات وشطرا كرره في المقاطع كلها .

(٢٥) القصيدة ٣ مقاطع . استخدم الشاعر لكل مقطع قوافي متعددة .
وجعل عروض الأبيات الأربعة (فعولن) عدا البيت الرابع فعروضه
(فعل) . وجعل ضرب الأبيات هذه (فعل) .

قال الواصل في قصيدته (تحت ظل القمر) (٢٦) :

في ثغور الربى
بين زهو الشجر
لذ كأس الشراب
طاب ليل السمر
فاعلن

تحت ظل القمر
في بساط الزهور
قد تجلى الجمال
في غناء الطيور
ألهوى والوصال
فاعلن

ما أرق الثغور
حيث يجلي الكدر
فاعلن فاعلان - فاعلن فاعلن

تحت ظل القمر
عطر الياسمين
كل هني السهول
سلوة العاشقين
بين تلك الحقول
ليس يجدي الحنين

(٢٦) ديوان الواصل : ٦٦/١ - ٦٧ - القصيدة ذات ٦ مقاطع . نظمها
في سنة ١٩٤٠م .

شاعراً في الطلوع

فاعلن فاعلان - فاعلن فاعلان

نغمة الشاعرين

في غناء الوتر

فاعلن

تحت ظل القمر

فاعلن

.....

كم درسنا الغرام

في الربى الزاهية

فالهوى والهيام

نغمة الشاعرين

والمنلى والسلام

نسمة البادية

رق كأس المدام

طاب نيل الوطر

فاعلن فاعلان - فاعلن فاعلن

تحت ظل القمر

فاعلن

- لقد استخدم الشاعر هنا العروض (فاعلن) في البيت الأول فقط .
واستخدم لبقية الأبيات (فاعلان) . أما الضرب فقد استخدم له التفعيلتين
(فاعلن و فاعلان) (٢٧) .

(٢٧) ينظر المقطعان الرابع والخامس ف ضربهما (فاعلن) . تنظر قصيدة
نازك الملائكة (جحود ص : ٧٤ - ٧٧ في ديوانها شظايا ورماد)
ففيها شبه بهذه القصيدة . نظمها الشاعرة في سنة ١٩٤٧ م .

المصادر والمراجع

- ١ - أجنحة النور - ديوان شعر لموسى النقدي - مطبعة الزهراء ١٩٥٢
بغداد .
- ٢ - أفياء - ديوان شعر لأمين مرعي - دار الريحاني للطباعة بيروت
١٩٥٦ م .
- ٣ - الجداول - ديوان شعر لايلى أبو ماضي - المطبعة العربية بغداد
١٩٥٢ م .
- ٤ - دموع وأشواق - ديوان شعر لحسن عزة - مطابع دار الكشاف
بيروت ١٩٥١ .
- ٥ - ديوان الواثلي ، القسم الأول والقسم الثاني - دار الرشيد للنشر
١٩٨١ م .
- ٦ - شرح تحفة الخليل في العروض والقافية - تأليف عبدالحميد الراضي
مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٥ م .
- ٧ - شظايا ورماد - ديوان شعر لنازك الملائكة - مطبعة المعارف بغداد
١٩٤٩ م .
- ٨ - طبول الرعب - ديوان شعر لعلي حساني الكردي - المطبعة العربية
بغداد ١٩٥٦ م .
- ٩ - ظلال الأيام - ديوان شعر لأنور العطار - مطبعة البرهاني دمشق
١٩٤٨ م .
- ١٠ - قبل لا تنتهي - ديوان شعر لكمال فوزي الشرايبي - المكتب التجاري
لنطبة والنشر بيروت ١٩٦١ م .

- ١١- قرارة الموجة - ديوان شعر لناذك الملائكة - دار الآداب بيروت
١٩٥٧ م .
- ١٢- ملائكة وشياطين - ديوان شعر لعبدالوهاب البياتي - مطابع دار
الكشاف بيروت ١٩٥٠ م .
- ١٣- من أصدقاء المعترك - ديوان شعر لأنور خليل - مطبعة المعارف
بغداد ١٩٥٢ م .
- ١٤- من العراق - ديوان شعر لعدنان الراوي - مطابع دار الكشاف
بيروت ١٩٤٩ م .
- ١٥- الهوى والشباب - ديوان شعر لبشارة الخوري - دار المعارف
١٩٥٣ م .

اثر استخدام التمارين العامة والخاصة

على بعض فعاليات الساحة والميدان

بحث تجريبي على تلاميذ المرحلة الابتدائية

١٠ - ١٢ سنة

السيدة ايمان شاكر محمود
مدرس مساعد

الدكتور الاستاذ قاسم حسن حسين

الباب الاول

المقدمة ومشكلة البحث

١ - ١

يتفق معظم الخبراء بان لكل فعالية أو لعبة رياضية متطلبات بدنية ومهارة يجب ان يتميز بها الرياضي من فعالية الى أخرى مستدين في ذلك على الدراسات والبحوث العلمية ذات النتائج الدقيقة لتقديم أنسب الحلول للمشاكل المراد بحثها عن الفعالية أو اللعبة ، اذن فلبناء قاعدة متينة لرياضينا ولاعدادهم الاعداد المدروس علميا لتطوير صفاتهم البدنية والنفسية لمراحل الطفولة المختلفة والتي تعد اساسا هاما الواجب علينا دراسته والاهتمام به للوصول الى الحلول المناسبة وهذا ما يؤكد باوزفليد (١٩٨٨) « ان مرحلة التدريب الاساسي من الامور الهامة في اعداد الاطفال والتي تعتمد على التمارين العامة المتعددة الجوانب في العاب الساحة والميدان ويضيف أيضا ان الوصول الى قابلية المستوى يتم بواسطة تعدد الجوانب في مرحلة التدريب الاولى أي استخدام المبادئ الاساسية للوحدة بين التكامل العام

والخاص في مرحلة التدريب الاساسي (٢ : ١٢٣) كما يؤكد (GROSSER 1981) هذه الفأحية أيضا « ان اكتساب المعلومات عند الاطفال في عمر (١٠ - ١٢) سنة يتطلب التطور العام والشامل المتعدد الجواب - (١٠ : ١٣٠) •

مما تقدم يرى الباحثان ان مرحلة (١٠ - ١٢) سنة من الالهمية دراستها حيث وجداهما بأنها لم تأخذ حقها في التطور والدراسة الميدانية في هذا المجال ولكي يتأكد من حل المشكلة بشكل علمي ودقيق على هذه المرحلة العمرية التي تعد أهم مرحلة في التعلم السريع والقاعدة المتينة ، قاما باجراء تجربتهما العلمية باختيار تلاميذ من عمر (١٠ - ١٢) سنة والتي يمكن بواسطتهما التنبؤ بالمستويات والقدرات توجيهها مستقبلا الى الفعالية أو اللعبة التي تتفق وامكاناتهم وقابلياتهم لتحقيق المستوى الرياضي في سنوات تدريسية مقبلة •

١ - ٢ أهداف البحث :

١ - تحديد التمارين العامة والخاصة في فعاليات الساحة والميدان والتي تساهم في تحقيق الانجاز الافضل عن التخصص المبكر للمرحلة العمرية (١٠ - ١٢) سنة •

٢ - تحديد الالاب والفعاليات الرياضية المختلفة التي تساهم في تحقيق الانجاز الأفضل عن التخصص المبكر للعبة - أو الفعالية في تدريب الالاب وفعاليات الساحة والميدان •

١ - ٣ فروض البحث :

ان استخدام التدريب الشامل والعام المتعدد الجوانب يحقق تطور أفضل في مستوى الانجاز في المراحل العمرية (١٠ - ١٢) سنة عن التخصص المبكر للفعالية أو اللعبة في فعاليات والالاب الساحة والميدان •

١ - ٤ مجالات البحث :

- المجال البشري : (٤٢) تلميذ.أو تلميذة •
- المجال لزماني : من ١٠/١٦ - ١٩٨٨/١٢/٢٠ •
- المجال المكاني : مدرسة المنصور التأسيسية الابتدائية - بغداد •

الباب الثاني

١ - الدراسات النظرية :

٢ - ١ تدريب المبتدئين :

يؤكد العديد من الباحثين والمهتمين بشؤون التدريب الرياضي على موضوع تدريب المبتدئين كوسيلة لرفع المستويات العليا والتنافس في المجال الدولي ، وتعد الكثير من الازمات في مجال رياضة المستويات العليا الى عدم توفر قاعدة من تلاميذ المدارس (المبتدئين) مما حدى الى هبوط المستويات من تلك الدول بينما تفوقت الدول التي اهتمت بالتلاميذ (المبتدئين) وطرق تدريبهم بدنيا ونفسيا مما أدى بالتالي الى تحقيق المستوى ويرى هنا ماتيف (١٩٨٨) أهمية « تحقيق الوحدة بين الاعداد العام والخاص (أي فهم فكرة تبادل الربط بين التخصص الرياضي والتطور العام المتعدد الجوانب) وان نجاح التخصص الرياضي يرتبط بتقدم الرياضي ولكن ليس بتخصصه في الفعاليات والالعب الرياضية فقط ، بل مزاوله الكثير من الفعاليات والالعب » (٦ : ٨٨) لذا يتعلق مستوى التخصص في أي فعالية بأهمية ربطها والتطور البدني والنفسي ... الخ من الجوانب الاخر لتحقيق البناء الاساسي للوظائف البدنية المختلفة بشكل متناسق • ويرى هنا باوزفيلد (١٨٨) ان استخدام عدد من التمارين الشاملة المتعددة الجوانب يحقق هدف تعدد جوانب التدريب الاساسي ، لذا تستخدم التمارين البدنية في الفعاليات والالعب الرياضية الاخرى لتحقيق مبدأ الشمول في

التدريب على فعاليات الساحة والميدان ويضيف : ان التمارين المستخدمة في الالعاب الرياضية ذات الصفة الثنائية تحقق تعدد جوانب التدريب من الالعاب اساحة فمثلا :-

— انقفز والرمي - تمارين قوة الارتقاء •

— نطح الكرة من انقفز عن كرة القدم او استخدام كرة اليد أو السلة وسرعة الركض كما ان هناك تمارين تشابه في مسارها الحركي وفعاليتها بعض فعاليات الساحة والميدان ولكنها غير متشابه التركيب مثلا :-

— تمارين تقوية الذراعين - تمارين قوة الدفع •

— السباحة - الركض الدائم - ركوب الدراجات الهوائية •

— انقفز في الجمباز على الارض - تمارين قوة الارتقاء •

اما التمارين التي تحقق الانفعال العالي فهي العاب الصغيرة وتمرارين المناسبات (كالركض والهبوط والصعود (٢ : ١٢٦) ويؤكد August (1974) « ان استخدام التمارين التي على شكل العاب مهمة عند تدريب التلاميذ من المراحل العمرية (١٠ - ١٢) سنة مع التأكيد على هدف الانجاز والبناء الفني للاداء الحركة •

ان فعاليات الساحة والميدان ذات اختلاف في فن الاداء الحركي والمهاري لها ، لذا يقسم التدريب فيها الى ثلاث مراحل هي :

— المرحلة الاولى : يتم فيها التكيف الحركة بوساطة شكل الالعاب وجمع الخبرات الحركية •

— المرحلة الثانية : يتم فيها شكل الحركة الخام حيث تستخدم - التمارين العامة والخاصة بنسبة ٦٠٪ عام و ٤٠٪ خاص (بوضع واجبات حركية وواجبات هادفة لها) •

— المرحلة الثالثة : وهي الشكل التوافقي الجيد وفيه يتم تحقيق الانجاز واستخدام التثبيت الحركية المباشر واكتساب المهارة الحركية وفق مستلزمات السباق أو الفعالية (٩ : ١١) ويؤكد تس (1963) THIss ان المساد الحركي في ألعاب الساحة والميدان باستخدام الشكل الخام للمهارة — كالعدو السريع للوصول اي شكل التوافق وان عملية التدريب يجب ان تستخدم خلالها التمارين العامة المتعدد الجوانب في عمر (٩ - ١٢ سنة) ، بعد هذه المرحلة يمكن استخدام التدريب التخصصي بصورة غير مباشرة مع التأكيد على الاسلوب السابق ، أي عدد وجوانب التدريب (١٤ : ٨) ويتفق كل من pausch, G. I. Hofmann Grundmann 1965 على أهمية شمول التعلم المركب للصفات البدنية باعتباره يمثل قواعد التعلم الاساسي للرياضي أثناء تدريب التلاميذ في عمر (١٠ - ١٢ سنة) (١٣ : ٣٩٧) .

٢ - ٢ المرحلة العمرية (١٠ - ١٢) سنة

تعد هذه المرحلة من انسب المراحل لتعليم المهارات الحركية حيث يصل التطور الحركي لديها الى قمته هذا ما يؤكد ماينل (١٩٨٠) حيث يقول ان قابلية التعليم الممتاز عند أطفال هذه المرحلة كبير جدا وتطبع حركاتهم بقدر كبير من الرشاقة والسرعة والقوة وحسن التوقيت والانسيابية ، اما في الحركات الثنائية والمركبة فيكون هناك اندماج جيد يخدم الحركة ، كما تظهر الالية واضحة في ادائهم الحركي اي ان الكثير من الاطفال يميزون بالقدرة على اداء المهارات الحركية دون التدريب عليها أو ممارستها مسبقا (٣ : ٢٦٥) . ويضيف ان الطفل من هذه المرحلة لديه رغبة شديدة للرياضة والتي تعتبر عاملا جيدا لقابلية التعلم عنده وكذلك النشاط المصحوب بالمسرة والشجاعة في حل الواجبات الحركية

المعطاة له مع تطور قابلية تفكيره للتعليم (عند اعطائه الواجبات الحركية أو عند التصحيح) • وان يأتي بشغف الى درس التربية الرياضية والتدريب « (٣ : ٧١) •

ولابد من التأكيد هنا الى ان العظام والاربطة غير ثابتة نسبيا باعتبار ان جسم الطفل في دور النمو وان ما حدث اجهاد لناعية واحدة يتعرض الطفل للاصابة أكثر خاصة عندما يكون حجم التمارين الخاصة في منهجهم التدريبي كبيرا ، هذا ما يؤكد مانيل بأهمية ان يكون التدريب شاملا لان خطر الاصابة كبير لديهم لان القلب والدورة الدموية سريعتا الانسجام ومتعودان على سعة جهد معين (٣ : ٨٠) •

الباب الثالث

٣ - منهجية البحث واجراءاته الميدانية •

- ٣ - ١ منهج البحث : استخدما المنهج التجريبي •
- ٣ - ٢ عينة البحث :

قاما باختيار عينة البحث عشوائيا لتمثل مجتمع البحث تمثيلا صادقا اذ تم اختيار الشعبة (الحضراء) كمجموعة تجريبية والشعبة (البرتقالي) كمجموعة ضابطة من تلاميذ وتلميذات الصف الخامس الابتدائي (مراحلهم العمرية كانت ١٠ - ١٢ سنة) وعددهم (٩٠) تلميذا وتلميذة من مدرسة المنصور التأسيسية الابتدائية في بغداد • تم اختيار (٢١) (*) تلميذا وتلميذة من كل شعبة لتصبح عينة البحث (٤٢) تلميذا وتلميذة • امتازت العينة بعدم وجود خبرات سابقة لها ومتجانسة (لاحظ الجدول ١) •

٣ - ٣ أدوات البحث :

(*) بلغ عدد التلاميذ في كل مجموعة ١١ تلميذا و ١٠ تلميذات •

استخدما المصادر والمراجع العربية والاجنية ، اضافة الى الملاحظة والتجريب مع بعض الادوات المكتبية وأدوات القياس .

٣ - ٤ سير التجربة الميدانية :

٣ - ٤ - ١ التجربة الاستطلاعية :

تمت على بعض التلاميذ من الشعب الاخرى (الحمراء ، الصفراء) للوقوف على القابلية البدنية لهم ومدى ملائمة الاختبارات الموضوعة لقياس بعض العناصر المختارة اضافة الى التأكد من سهولة ادائهم للاختبارات والوقت اللازم لانجازها .

٣ - ٤ - ٢ الاختبارات القبلية :

اجريت على عينة البحث يوم ١٥/١٠/١٩٨٨ الثامنة والنصف صباحا وعلى ملعب مدرسة المنصور التأسيسية الخلفي وكانت كالآتي :

الركض ٣٠ م ، الركض ٥٠٠ م للفتيان و ٣٠٠ م للفتيات ، رمي كرة ناعمة ، اضافة الى فعاليتي القفز التالي والعريض . ان الاختبارات المستخدمة مقننة حيث وردت في أكثر من مصدر (*) ولها صدق وثبات وموضوعية وتشابه في مسارها الحركي لبعض فعاليات الساحة والميدان :

١ - ٣٠ م : يقف المختبر خلف خط البداية ، وعند سماع الاشارة ينطلق بأقصى سرعة ممكنة ، يسجل الزمن من بداية الشروع بالركض حتى نهاية ٣٠ م بالثانية .

(*) من هذه المصادر :

- ١ - محمد صبحي حسنين : التقويم والقياس في التربية البدنية ، ج ، ط ١ دار الفكر العربي ، ١٩٧٩ .
- ٢ - ابراهيم أحمد سلامة : الاختبارات والقياس في التربية البدنية ، دار المعارف ، ١٩٨٠ .

٢ - الركض ٥٠٠ م و ٣٠٠ م : من الوقوف يسجل الوقت من خط البداية عند شروع المختبر بالركض عند سماع الاشارة حتى نهاية المسافة
بالثانية .

٣ - رمي كرة ناعمة لاقصى مسافة : ويقف المختبر خلف الخط المرسوم على الارض ليحدد بداية الرمي ، يرمي الكرة الى أبعد مسافة لتقاس عموديا من خط الرمي الى أقرب مكان للسقوط . بالمتر .

٤ - فعاليتي القفز العالي والوثب العريض : اعطيت ثلاث محاولات على كل ارتفاع في فعالية القفز العالي ، وستة محاولات للوثب العريض وتسجل الافضل (بالنسبة للقفز العالي من (٥٠) سم) .

٣ - ٤ - ٣ البرنامج التعليمي :

فاما بوضع البرنامج التعليمي على ضوء التجربة الاستطلاعية ونتائج الاختبارات ، تكون من ثمان وحدات تعليمية بواقع درسين في الاسبوع (١٦) درس خلال فترة البرنامج ، بدء بتطبيقه يوم ١٠/١٦ وانتهي في ١٩٨٨/١٢/٢٠ تضمن مجموعة من التمارين العامة المتعددة الجوانب وبعض التمارين الخاصة والمنافسات والمبادئ الاساسية لبعض فعاليات والالعاب الساحة والميدان (للمجموعة التجريبية) اما المجموعة الضابطة فقد استخدمنا لها التمارين والمهارات الخاصة ببعض فعاليات الساحة والميدان فقط للوقوف على مدى تأثير استخدام التمارين العامة وبعض الخاصة منها على انجاز المجموعة التجريبية عن الضابطة .

٣ - قاسم حسن حسين وآخرون : مقارنة اللياقة البدنية لتلاميذ المدارس الابتدائية من كلا الجنسين في بعض محافظات العراق
بحث منشور ١٩٨٦ .

تمت يوم ٢٧/١٢/١٩٨٨ الساعة الثامنة والنصف صباحا وعلى الملعب
الخلفي لمدرسة النصور التأسيسية في بغداد .

جدول (١)

يبين الانحراف المعياري وقيمة (ف) المحسوبة والجدولية للمجموعتين

الضابطة والتجريبية

النتيجة	قيمة (ف)	تباين		الاختبار
		الجدولية تحت درجة حرية (١٩) واحتمال خطأ (٠.٠١)	المجموعة (ف)	
غير معنوي	٣-٠	١٠٦	٠.٣٣١	٣٠٠
غير معنوي	٥.٣٥ (*)	٢٧٥	٥.٧٤	٥٠٠
غير معنوي	٨.٣ (**)	١٩٣	٧.٥٥	٣٠٠

غير معنوي	٣-٣١	١٣١	٠٨٦	٠٩٨	رمي الكرة
غير معنوي	٣-٣٠	٢٣٠	٠٢٤	٠١٦	القفز العالي
غير معنوي	٣-٢٣	٢٦٣	١٤٨٦	٩٠٨	الوثب العريض



- ٤ - محمد حسن علاوي : اختبارات الاداء الحركي ، مصر ، دار
الفكر العربي ، ١٩٨٢ .
- (*) تحت درجة حرية (٩) واحتمال خطأ (٠.٠١) .
- (***) تحت درجة حرية (٨) واحتمال خطأ (٠.٠١) .

جدول (٢)

يبين الوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة (ت) المحسبة والجدولية
لاختبارات المجموعتين الضابطة والتجريبية من الاختبارين القبلي والبعدي

النتيجة	قيمة (ت)	قيمة	البعدي	القبلي	المجموعة	الاختبار				
(ت) الجدولية تحت درجة حرية (٤٠) واحتمال خطأ (٠.٠١)										
منوي	٢ر٤٢	٢ر٩٨	٢١	٠ر١٦	٤ر٩٨	٢١	٠ر٣٢	٥ر٢١	ضابطة	٣٠م
منوي عال	٢ر٤٢	٩ر٢٢	٢١	٠ر٢١	٤ر٤٥	٢١	٠ر٣١	٥ر١٩	تجريبية	
غير منوي	٢ر٨٢ (*)	٠ر٠٧	١١	٦ر٦٤	١٣ر٤٩	١١	٩ر٥٣	١٣ر٨٣	ضابطة	٥٠٠م
غير منوي	٢ر٨٩ (**)	٢ر٨٣	١٠	٥ر١٨	١٢ر٨٤	١٠	٥ر٤٣	١٣ر٣٣	تجريبية	
منوي	٢ر٨٢	٧ر٥٥	١١	٥ر٩٦	١١ر٥٩	١١	٥ر٧٤	١٣ر٣٦		
منوي	٢ر٨٩	٤ر٠٤	١٠	٤ر١٨	١٢ر٤٧	١٠	-٠ر٥٥	١٣ر٥٣		

رمي كرة	ضابطة	٥١٩	٠٩٨	٢١	٥٣٣	٠٩٢	٢١	٠٤٧	٢٤٢	غير معنوي
ناعمة	تجريبية	٥٠٤	٠٨٦	٢١	٦٣٣	٠٥٧	٢١	١٣٠	٢٤٢	غير معنوي
القفز العالي	ضابطة	٠٦٩	٠١٦	٢١	٠٧٦	٠١٠	٢١	١٧٠	٢٤٢	غير معنوي
	تجريبية	٠٧٦	٠٢٤	٢١	١-	٠٠٤	٢١	٤٥٢	٢٤٢	معنوي عا
الطفر	ضابطة	١٣٤٠٩	٩٠٨	٢١	١٤٤٧١	١٤٣٩	٢١	٢٨٦	٢٤٢	معنوي
المريض	تجريبية	١٣٢١٩	١٤٨٦	٢١	١٨٢	٠١٣	٢١	١٥٤١	٢٤٢	معنوي عال

(*) تحت درجة حرية (٩) واحتمال خطأ (٠.١) حيث تم فصل الفتيان عن الفتيات في هذا الاختبار وعددهم (١١) .

(**) تحت درجة حرية (٨) واحتمال خطأ (٠.١) لنفس السبب .

الباب الرابع

٤ - عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها

٤ - ١ عرض النتائج وتحليلها

— اختبار ٣٠ م من الوقوف :

ان الفروق الظاهرية بين الوسطين (لاحظ الجدول ٢) لنتائج المجموعة الضابطة تدل على ان تناقص في الزمن المسجل لعدد قليل جدا من الثواني ، وللوقوف على معنوية الفروق ، استخدم اختبار (ت) تبين ان قيمة (ت) المحسبة بلغت (٢٩٨) وهي أكبر بقليل من قيمة (ت) الجدولية والبالغة (٢٤٢). تحت درجة حرية (٤٠) واحتمال خطأ (٠.٠١) أي ان الفرق معنوي بينهما ، اما افراد المجموعة التجريبية فنجد ان اوساطهما الحسابية اظهرت تقدما واضحا في تناقص زمنها (٥١٩ ، ٤٥٤) بانحراف معياري (٣١ ، ٢١) على التوالي وللوقوف على معنوية الفروق ظهر ان القيمة المحسبة بلغت (٩٢٢) وهي أكبر من القيمة الجدولية والبالغة (٢٤٢) تحت درجة حرية (٤٠) واحتمال خطأ (٠.٠١) مما يدل على وجود فرقا معنويا عاليا بينهما .

— اختبار الرض ٥٠٠ م للفتيان و٣٠٠ م للفتيات :

ان الفرق الظاهري بين الوسطين لنتائج المجموعة الضابطة - الفتيان - تبين ان المستوى كان متقاربا وباستخدام اختبار (ت) للوقوف على معنوية الفروق تبين ان الفرق غير معنوي على عكس المجموعة لتجريبية التي اظهرت تقدما واضحا ومعنوية عالية كذلك بالنسبة لفتيات المجموعة التجريبية وبمعنوية عالية أيضا كما اظهرت فتيات المجموعة الضابطة تطور في هذا الاختبار هذا ما اظهره اختبار (ت) حيث وجد ان هناك فرق معنوي للفتيات وللفتيان ولصالح الاختبار البعدي (لاحظ الجدول ٢) تحت

درجة حرية (٩ ، ٨) واحتمال خطأ (٠.٠١) .

— اختبار رمي الكرة الناعمة لابتعد مسافة :

اظهرت الفروق الظاهرية للاوساط الحسابية بان هناك تطور في مستوى انجاز افراد المجموعتين كان متقاربا وللوقوف على معنوية الفروق ظهر ان هناك فرق غير معنوي للمجموعتين تحت درجة حرية (١٩) واحتمال خطأ (٠.٠١) .

— اختبار القفز العالي :

اظهرت الفروق الظاهرية للاوساط الحسابية بان هناك تقارب في مستوى انجاز المجموعة الضابطة ، وللوقوف على معنوية الفروق ظهر ان قيمة (ت) المحسبة كانت أصغر من القيمة الجدولية مما يدل ان النتيجة غير معنوية تحت درجة حرية (٤٠) واحتمال خطأ (٠.٠١) على عكس المجموعة التجريبية التي اظهرت فرقا معنويا باستخدام اختبار (ت) تحت نفس درجة الحرية والاحتمال .

— اختبار الوثب العريض :

اظهرت الفروق الظاهرية للاوساط الحسابية ان مستوى الانجاز للمجموعة الضابطة كان أفضل عن القياس القبلي وللوقوف على معنوية الفروق ظهر ان قيمة (ت) المحسبة كانت أكبر قليلا عن (ت) الجدولية مما يدل على وجود فروق معنوية كذلك الحال بالنسبة للمجموعة التجريبية التي اظهرت القيمة المحسبة فرقا عاليا عن الجدولية مما يدل على وجود معنوية عالية بينهما . (لاحظ الجدول ٢) .

في ضوء النتائج (لاحظ الجدول ٢) يظهر ان هناك تطور في نتائج المجموعة التجريبية في أغلب الاختبارات عن المجموعة الضابطة التي اظهرت تقارباً في مستوى انجازها مما أدى الى ظهور بينما فروق غير معنوية في أغلبها فيما نجد ان اختبار واحد قد ظهر غير معنوي بالنسبة لافراد المجموعة التجريبية مما يدل على ان استخدام التمارين العامة مع بعض الخاصة لاسس فعاليات الساحة والميدان وتمارين المنافسات كان له الاثر الفعال في النتائج البعدية وهذا يتفق مع داي كورت مانيل « ويبدو في العاب الساحة والميدان والتجديف ان الاختصاص المبكر ليس واجبا حتميا ويعوض عنه بناء شامل للجسم (٣ : ١٢٣) كما يؤكد أيضا « يكون واجب الدرس من هذه المرحلة الامنية بالنسبة للتطور الحركي هو استغلال وقت التعلم المناسب وبناء الاطفال بناء شاملا وعاما لوضع قاعدة كبيرة لاساس التعلم الحركي « ويضيف « على ان البناء الحركة الشامل في هذه المرحلة كواجب رئيسي » (٣ : ١٢٣) .

ففي اختبار (٣٠م) يظهر ان هناك تطور في تناقص الزمن للمجموعة التجريبية مما يدل على تطور السرعة الانتقالية والتعجيل لها حيث ان الحركات الموجهة والسريعة قد ظهرت واضحة وبمهارة ، والملاحظ ان نسبة النمو في قابلية اركض في هذه المرحلة من عمر الطفل تزداد بصورة مستمرة ومقابل ذلك تنخفض قليلا عند الاطفال حديثي الدخول الى المدرسة ويضيف « بالنسبة لتطور قابلية السرعة يمكننا ان نقول ان وقت رد الفعل يكون أقصر وفي نهاية هذه المرحلة من عمر الطفل يقترب من أرقام الشباب » (٣ : ٢٣١) وهذا بالفعل ما وجدناه لافراد المجموعتين بتطور

السرعة الانتقالية لديهم والتعجيل من خلال نتائج الاختبار البعدي ولكنها كانت عند التجريبية بمعنى عالية • اما في اختبار ٥٠٠ م للفتيان و ٣٠٠ م للفتيات فنجد ان افراد المجموعة التجريبية من البنين قد ظهر تطور في قابلية المطاولة لديهم عن الضابطة كذلك الفتيات اللاتي اظهرن تطورا ظاهريا في هذه القابلية « وبالنسبة لتطور مطاولة القوة وقابلية المطاولة فهناك ضرورة للتفريق » (٣ : ٢٣٥) وهذا ما تبين فعلا على الرغم من اختلاف المسافة « ان السبب الرئيسي من وجهة نظرنا هو ان هذه القابلية تعتمد على التمرين أكثر من القابليات البدنية الأخرى » كذلك « ان أولاد هذه المرحلة متقدمون على البنات من نفس العمر في مطاولة القوة والمطاولة (٣ : ٢٣٥) وهذا يتفق مع النتيجة التي توصلنا اليها اما في اختبار رمي الكرة الناعمة فتبين لنا ان افراد المجموعتين قد اظهروا تقاربا في مستوى الانجاز على الرغم ان مسافة أفراد المجموعة التجريبية ازدادت حوالي (٢٠ متر) عن القياس القبلي ولكن مغنوية الفروق لم تظهر فروقا مغنويا بينهما وهذا يتفق مع داي مانيل بعدم ظهور القوة جلية « اما القوة فتظهر في تمارينهم على الاجهزة والتمارين الارضية (٣ : ١٣٠) ان تطور مسافة المجموعة التجريبية يعود في رأينا الى ديناميكية الحركة التي اصبحت واضحة في حركة الرمي عن الاخر المبتدء والذي اصبحت أقوى من اقرانه من المجموعة الضابطة والذي كان تدريجيا • اما في اختبار القفز العالي والعريض فنجد ان هناك تطور في مستوى انجاز افراد المجموعة التجريبية وبمعنوية عالية ولصالح البعدي حيث كان لترابط التمارين العامة مع الخاصة فن اداء افعالية من الاثر افعال في تطور مستوى الانجاز مع الضبط الحركة والاقتصاد بالطاقة مما ساهم في تحسين البناء الحركة والانسيابية لعمل الجذع أي ان البناء الشامل هو حجر الأساس في تطور النتائج ويعتمد نجاح الرياضيين السوفيت بدرجة كبيرة على البناء الشامل والبناء الشامل

ممكن ويجب ان يتم في سن ١٠ سنوات للذين عندهم مواهب خاصة وميل للرياضة ويرى أيضا « ويمكن من السنة الدراسية الرابعة تعلم الحركة الرئيسية لبعض الالعاب الرياضية الأساسية وبشكلها الخام مثل الساحة والميدان والجمباز على الأجهزة والارض ٠٠٠ وقسم منها قد يصل الى مرحلة الدقة » (٣ : ١٢٣) كما يرى ان استخدام

وسائل وطرق التدريب العامة والشاملة بالحمل العالي يحقق رفع الصفات البدنية والنفسية وفن الأداء الحركي ، لذا يجب اكتساب البناء الشامل مع تثبيت قيم النبض وفترة الراحة وفترة الشفاء اضافة الى تثبيت الطريقة التي تستخدم في التدريب (١١ : ٣٠٠) وهذا ما يحقق نهدف البحث وفرضية •

الباب الخامس

الاستنتاجات والتوصيات

٥ - ١ الاستنتاجات :

- ١ - تحسن مستوى نتائج افراد المجموعة التجريبية التي استخدمت في برنامجها التمارين التحضيرية العامة والخاصة والمنافسات بينما نجد ان أفراد المجموعة الضابطة الذين استخدمت لهم التمارين الخاصة فقط لم يظهر لهم تحسن في مستوى نتائج الاختبارات المستخدمة •
- ٢ - ان درس التربية الرياضية يجب ان يعلم أشكالاً حركية مميزة قدر الامكان من أجل استغلال وقت التعلم الجيد السريع لهذه المرحلة المهمة التي يؤكد عليها العلماء على انها نقطة القمة من ناحية التعلم الحركي خلال فترة تطور الحركة عند الطفل •
- ٣ - تحسن في مستوى الركض السريع والقفز العالي والعريض وحتى الرمي نتيجة لضبط فن الاداء (تكتيك والتطور في التصرف الحركي السريع وعمل الجذع والانسيابية الحركية للمجموعة التجريبية •

٤ - لقد وجدنا ان البنات لا يتأخرن عن البنين في نتائج الاختبارات وذلك فهن يحاولن التسابق والتفوق على البنين والاستجابة لكل حركة جديدة مما ساهم في تحقيق نتائج مقاربة حيث وجدنا هناك اندماج جيد في أقسام الحركة يخدم الهدف الحركي .

٥ - ٢ التوصيات :

١ - ضرورة استخدام البناء الشامل والعام لتطوير الحركات الأساسية لفعاليات الألعاب الساحة والميدان من هذه المرحلة العمرية الذي يصل التطور الحركي الى درجة عالية من الادراك التوجيه واتقان ودقة الحركات .

٢ - استغلال الاستجابة المرتبطة بالشجاعة والهمة الكبيرة للتعلم من هذه المرحلة حتى لا تضع سنوات النمو الحركي التي لا تعوض في المستقبل والتي تؤدي بالتالي الى تحديد الحركة وتوقف واعاقة الامكانيات التي تخدم مصلحة بناء الوطن .

٣ - استغلال مبدأ التعلم المبكر لسير الحركات الأساسية التي تعلمها سابقا والتي هي امتداد لفعاليات الساحة والميدان بالبناء الشامل .

٤ - أهمية عرض الحركات ككل وغير مجزأة وبشكل سليم وجيد من قبل المدرس لان هذه الفترة يتم التعلم بها عن طريق النظر وان الشرح الأساسي لا يلعب دوره الفعال هنا .

٥ - ضرورة وضع مدرسين كفوئين ومتصين للعمل مع الاطفال والناشئين لهذه المرحلة المهمة والمراحل الأخرى ودراستها .

٦ - ضرورة فتح دورات لمدرسي التربية الرياضية للمدارس الابتدائية تتضمن دروسا في علم التدريب الرياضي والتعلم الحركي خاصة وعلم النفس الرياضي .

٧ - في ضوء مميزات بناء المهارة الرياضية وفق قاعدة البناء الأساسي الشامل البدني في تدريب اعمار (١٠ - ١٢) سنة يتطلب الانتباه الى العناصر الآتية :-

- تبادل فاعلية المهارة الرياضية مع العمل الحركة المهارات العامة الضرورية التي تستخدم في الحياة الميدانية .
- تعتبر المهارة الرياضية شكل من الصفات البدنية لذا يتطلب مراعاتها والتأكيد عليها لأنها تلعب دورها الفعال عند بناء الصفات البدنية .
- اثارة مميزات بناء فن الأداء الحركي لتشويق تعليم الرياضيين في هذه المرحلة العمرية على عدد من الفعاليات باعتبارها تحقق بناء الحاجة ومزاولة الفعاليات بصورة مستمرة .
- يعد بناء فن الأداء الحركي كاعداد للتدريب الأساس .
- أهمية بناء فن الاداء الحركي لتطوير الانجاز الرياضي .

المصادر

المصادر العربية :

- ١ - ابراهيم أحمد سلامة : الاختبارات والقياس من التربية البدنية ، دار المعارف ، ١٩٨٠ .
- ٢ - باوزفيلو : قواعد ألعاب الساحة والميدان : ترجمة قاسم حسن حسين وانير صبري ، مطبعة الموصل ، ١٩٨٨ .
- ٣ - كورت مانيل : التعلم الحركي : ترجمة عبدعلي مضيف ، مطبعة الموصل ، ١٩٨٠ .
- ٤ - قاسم حسن حسين وآخرون : مقارنة اللياقة البدنية لتلاميذ المدارس الابتدائية من كلا الجنسين في بعض محافظات العراق « بحث منشور ١٩٨٦ » .
- ٥ - فاطمة عوض صابر : دراسة تحليلية لمدى فاعلية دروس التربية الرياضية للصفين الخامس والسادس الابتدائي المؤتمر العلمي الثاني لدراسة وبحوث التربية الرياضية ١٩٨١ كلية التربية الرياضية بالاسكندرية . مطبعة الموصل ١٩٨٨ .
- ٦ - ماتيفيف : قواعد التدريب الرياضي ، ترجمة قاسم حسن حسين .
- ٧ - محمد صبحي حساني : التقويم والقياس في التربية البدنية ، ج ١ ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٩ .
- ٨ - محمد حسن علاوي : اختبارات الاداء الحركي ، مصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢ .

- 9 — AuGust; E; staud, probleme und Aufgaben der lehrplanentwicklung. inpadagogische froschung, 7 (1972) Heft 6.
- 10 — Grosser, mineumeier, A; Tchniktrainvge mun-cher 1981.
- 11 — Hoκmann, G; Durch laufen, springem and werfen zukrabt Schnelligkeit nud Ausdauer. In; korper erziehung Heft 5 (1967).
- 12 — Pausch, G. Ihofmann, H. Igrunom Ann. G; zuk Akzentuierung im sportum tericht. in; theorie und praxis derkorperkultur (1965) 8.
- 13 — So Hwid Tmann, H. kogel, H; Gedanken Zum Uber das elnheitliche sozialistische Bildun gssystem In; Theorie praxis der K. K 4 (1985) 5.
- 14 — THIESS — G: Das leichtathletik, Auglag, Berlin, 1985.

سياسة التمييز العنصري

في جمهورية جنوب افريقيا

– دراسة في الجغرافية البشرية –

د. عبدالعزيز محمد حبيب

قسم الجغرافية – كلية الاداب

جامعة بغداد



تنفرد حكومة جمهورية افريقيا في العالم باتباع سياسة التمييز العنصري في مختلف شؤون الحياة . وقد تصاعدت نداءات الادانة والاستنكار لهذه السياسة الى درجة دفعت الى المطالبة باتخاذ تدابير دولية موحدة ضد هذه السياسة ، لانها تتعارض مع مبادئ حقوق الانسان ، ولانها تثير التفرقة والتصادم بين الاجناس . وقد اعتبرها البعض في مقدمة مشكلات عالم اليوم .

ويهدف هذا البحث الى التعرف على الخلفية التاريخية لاستيطان السكان في جمهورية جنوب افريقيا وتكوينهم العنصري . وبيان التطبيقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للتمييز العنصري ، والكشف عن اسباب قيام واستمرار سياسة التمييز العنصري في هذه الجمهورية حتى اليوم . وما هو المصير المرتقب لهذه السياسة ؟

١ - الخلفية التاريخية للسكان :

كان الخويزان ، البشمن والهوتنتوت ، أول مجموعة بشرية سكنت جنوب افريقيا (١) ، والخويزان Khoi - San اسم مركب يتألف من كلمتين ، كلمة Khoi اوخوي خوين Khoi — Khoi يطلقها الهوتنتوت على انفسهم وتعني (الناس) . اما كلمة زان San فهي الاسم الذي يطلقه الهوتنتوت على البشمن الذين لا توجد لديهم كلمة موحدة يطلقوها على شعبيهم ، بل نجد كل مجموعة تسمي نفسها كونج Kung وتعني (الناس) ، بلغتها أو لهجتها الخاصة ، اما التسمية (بشمن) و (هوتنتوت) فهي تسمية هولندية . وهي تعني على التوالي سكان الاحراج والناس الذين يثأئون في الكلام .

في عصور ما قبل التاريخ هاجر البشمن من موطنهم الاصلي في شرق افريقيا وهضبة الحبشة الى جنوب افريقيا وانتشروا فيها انتشارا واسعا حتى بلغوا سواحل المحيط الهندي (٢) . وفي اعقابهم جاء الهوتنتوت من شرق افريقيا أيضا ليستقروا في المنطقة الواقعة بين مصب نهر كوينيني وشبه جزيرة الكاب (٣) .

وخلال المدة ١٥٩٠ - ١٦٢٠ عبرت قبائل البانتو نهر ليمبوبو باتجاه جنوب افريقيا قادمة من شرق افريقيا أيضا . وبعد عبورهم انقسموا الى مجموعتين رئيسيتين . الاولى مجموعة نجوني التي عبرت جبال دراكنزبرج من ترانسفال ثم تفرقت في أربع قبائل ، اتجهت نحو الاراضي الساحلية شبه الاستوائية في الناتال ، فأقام السوازي في الشمال الشرقي . واستوطن الزولو والبوند والاكسوسا على امتداد الساحل باتجاه الكاب حتى وصلوا الى نهر كي . واما المجموعة الثانية فهي مجموعة سوٲو التي استقرت في الاجزاء الداخلية بين جبال دراكنزبرج وصحراء كلهاري . ووصل الفرع الجنوبي للسوٲو الى ولاية اورنج الحرة خلال القرن السابع عشر ، بينما استقر السوٲو الشماليون في الترانسفال (٤) .

كانت الحياة الاجتماعية عند هذه السلالات الافريقية الثلاث متشابهة
تقوم على التنظيم العشائري . فالتاريخ يخبر بنا بان البشمن كانوا
ينتظمون في زهاء مائة قبيلة ، وكل قبيلة تنقسم الى عدة عشائر ومجموعات
وكانت كل مجموعة تتكون من عدة عائلات صغيرة تعيش متجاورة ، لكل
منها كوخها بالقرب من مورد مائي ، وتنتمي كل مجموعة الى جد واحد ،
ولها لغة واحدة ، ومساحة من الأرض تلزمها ولا تخرج منها . ومجتمع
البشمن مجتمع انعزالي منفصل لا تتعاون فيه المجموعات فيما بينها الا في
الحالات النادرة . فالعشائر تعيش متباعدة لا يكاد يعرف بعضها بعضاً
ولا توجد بينها صلة . اما حالة التعاون القائم بين أفراد المجموعة الواحدة
فيتمثل في حالة الصيد وتقسيم نتاجه وفي درأ الاخطار المشتركة . ويشرف
على تنظيم كل مجموعة كبار السن وذوو الخبرة من الرجال ، وفي بعض
القبائل يوجد نوع من الرئاسة الوراثية ، حيث يتمتع الرئيس بقيادة
حملات الصيد والقيام ببعض الطقوس الدينية ، ولكنه لا يمارس أية
سلطات قضائية باستثناء حالات نادرة .

وكان الهوتنتوت ينقسمون الى قبائل عديدة أكثر تنظيماً . وكل
قبيلة تتكلم بواحدة من أربع لهجات محددة ، وتبعاً لذلك انقسم الهوتنتوت
الى أربع مجموعات لغوية هي الناما والكورونا والجواناكو والكاب . وفي
كل قبيلة عشيرة تتركز فيها زعامة القبيلة ، وعلى رئيس العشيرة أن
يتشاور مع زعماء العشائر الاخرى في الشؤون العامة للقبيلة . والسائد
ان تعيش كل قبيلة بمفردها معظم أيام السنة ، ولكن العشائر قد تجتمع
في بعض المواسم في مكان واحد .

وهكذا كان مجتمع البانتو أيضاً ، فهم ينتمون الى عدة قبائل ، ولكل
قبيلة رئيس ، ومساحة من الأرض تتناسب طردياً مع عددها وقوتها .
ويتميز الرئيس في مجتمع البانتو بـقدرته على تنفيذ العرف والقانون

القبلي . وهو ملزم باستشارة المجلس القبلي أو القبيلة في الظروف الاعتيادية ، ولكنه يتمتع بالحكم المطلق في الحالات الطارئة .

واذا نظرنا الى النظم الاقتصادية التي كانت سائدة عند هذه السلالات نجدها تقوم على أساس الملكية الجماعية لكل الموارد الاقتصادية المتاحة ، الا انهم يختلفون اختلافا كبيرا في الحرف ، فالبشمن يعتمدون على الجمع والالتقاط والصيد . والعنصر الهام في حياتهم هو البحث عن الطعام سواءً على مستوى الافراد او العشيرة ، اما الهوتنتوت فكانوا يربون الابقار والماشية ويمارسون تعدين الحديد ويصنعون منه الادوات والرماح والسهم . واما البانتو فكانوا أكثر تطورا ، اذ كانوا يمارسون الرعي والزراعة .

والظاهرة البارزة في جنوب افريقيا هي نشوب الصراعات والحروب بين البشمن والهوتنتوت والبانتو حيثما التقى بعضها ببعض الآخر ، بسبب اختلاف العشائر حول ملكية الارض ، ورغبة كل منها في المحافظة على أرضه ، وعلى توسيعها باطراد ، في سبيل تغطية حاجات العشائر التي يزداد افرادها سنة بعد أخرى . ولما كان البانتو أكثر عددا وافضل تنظيماً واغوى زعامة من البشمن والهوتنتوت ، لذا استطاعوا الاستيلاء على أراضي شاسعة تتمثل فيما يعرف اليوم : الترانسفال وولاية اورنج الحرة والنااتال ومقاطعة الكاب وجنوب غرب افريقيا وليسوتو وسوازيلاند وبوتسوانا . اما البشمن والهوتنتوت الضعفاء المتفرقون ، فقد تعرضوا للقتل والتشريد ، وفقدوا اراضيهم ، باستثناء مقاطعة الكاب وصحراء كلهاري وجنوب غرب افريقيا .

وفي بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر بدأ اول استيطان اوربي في جنوب افريقيا . ففي 6 نيسان سنة ١٦٥٢ وصلت الى خليج تيبيل ثلاث سفن تحمل أول مجموعة من الهولنديين بقيادة جان فان ريبك

Jan Van Riebeeck ، بناءا على أمر من شركة الهند الشرقية الهولندية (٥) . وفي الايام التالية شرعت هذه المجموعة ببناء محطة استراحة في منطقة الكاب لخدمة السفن التي تدور حول افريقيا باتجاه جزر الهند الشرقية وبالعكس . كما شرعت باعداد الخطط لزراعة الحدائق وتربية الماشية لامداد السفن بحاجتها من الخضروات والفواكه واللحوم ، وعندما علم الهوتنتوت بذلك شرعوا بالدفاع عن اراضيهم الرعوية التي احتلها الهولنديون . وبعد حربين قصيرتين استسلم الهوتنتوت وقبلوا العمل في مزارع ومواشي الهولنديين .

وفي سبيل استغلال أراضي شركة الهند الشرقية الهولندية التي استولت عليها بالقوة ، وتوفير المواد الغذائية لسوق مدينة الكاب ، جيء بالفلاحين من هولندا سنة ١٦٥٧ ، كما جيء بالعبيد من ساحل الذهب وموزمبيق ومدغشقر ، وجيء أيضا بالملاويين من الملايو ، ونظرا لنقص عدد النساء الهولنديات في الكاب في المراحل الاولى من الاستيطان اقبل الهولنديون على التزاوج من نساء الهوتنتوت وظهرت جماعة كبيرة من المولدين ، كان يطلق على افرادها في البداية اسم (ابناء الحرام) ، ثم عرفوا فيما بعد بالجريكا أو الرحبوت أو الملونون .

ومع تزايد الطلب على المواد الغذائية ، والدعم الذي كانت تقدمه شركة الهند الشرقية الهولندية للاستقرار وفلاحة الارض ، اخذت افواج الهولنديز تتوافد على الكاب . وأعقبهم الفرنسيون البروتستانت والالمان والايطاليون (٦) ، حيث سمى هذا الخليط الاوربي بـ (البوير) وهي كلمة هولندية الاصل تعني الفلاح . وقد استغلت الشركة ظاهرة الاضهاد الديني في اوربا في تشجيع حركة الهجرة الى الكاب . ففي عام ١٦٨٥ الفى لويس الرابع عشر مرسوم (نانت) الذي استمر يحمي البروتستانت طيلة سبعة وثمانين عاما (٧) . فتعرض الهيجونوت في فرنسا للاضطهاد ،

واضطروا للهجرة الى جنوب افريقيا ، طلبا للحرية في ممارسة مذهبهم الكلفني ، وللاقامة بصورة دائمية . وقد استقبل الهولنديون هؤلاء المهاجرين بالترحاب . ولا عجب في ذلك ، لان الهولنديين من اتباع كلفن أيضا . وخلال جيل واحد ، اتحد الهولنديون والفرنسيون الهيجونوت بحكم المذهب الواحد والمصالح المشتركة . وسرعان ما ساد الجميع بأنهم مواطنون أحرار من اهل افريقيا بدلا من أوطانهم الاصلية . وان عليهم ان يعيشوا منفصلين عن السكان الوطنيين ، لانهم ارقى عرقيا وحضاريا .

ان ازدياد عدد المستوطنين الاوربيين في منطقة الكاب وازدياد الطلب على اللحوم دفعهم للهجرة باتجاه داخل البلاد سعيا وراء الارض الصالحة للزراعة والرعي . وكانت جميع الاراضي المستولى عليها من قبل هؤلاء الاوربيين تعد من الناحية القانونية ملكا لشركة الهند الشرقية الهولندية . ويستطيع البوير استئجارها لتصبح منحة دائمة ومعفاة من الايجار بعد انقضاء خمس سنوات ، فاستولوا وبسرعة على مساحات كبيرة من الاراضي . ففي عام ١٧٥٠ كان الاوربيون لا يبعدون سوى خمسة وخمسين ميلا عن مدينة الكاب . وبعد عام ابتعدوا الى مسافة ٢٢٥ ميلا ، وبحلول عام ١٧٧٥ انتشروا الى مسافة ٥٠٠ ميل أخرى (٨) .

وفي أثناء هذا الانتشار السريع واجه الاوربيون مقاومة عنيفة من قبائل البانتو ، ففي عام ١٧٠٢ التقى الصيادون البوير بهذه القبائل لأول مرة ، ولكن الحروب والمعارك العنيفة بين الطرفين لم تتم حتى سنة ١٧٧٥ حين تقابلت قبيلة الاكسوسا مع الاوربيين عند نهر جريت فش . كان لهذا اللقاء أهمية بالغة الخطورة في حياة سكان جنوب افريقيا ، لانه أدى الى سلسلة من الحروب والمعارك العنيفة بين طرفين قوين ، كان كل منهما يدفع حدوده الى الامام ، وكان كلاهما يشتغل بتربية الماشية ويريد التوسع على حساب الاراضي التي ترعى فيها ماشية الطرف الاخر . ولما ازدادت

كثافة الاستيطان على جانبي النهر اتسع نطاق سرقة المواشي بين الطرفين
وابتدأت حروب الكفار سنة ١٧٧٩ وامتدت لمدة مائة عام .

وشهد القرن الثامن عشر مجيء المستوطنين الانكليز ، ففي عام
١٨٠٦ احتل الانكليز مقاطعة الكاب لتبقى مستعمرة لهم حتى ١٩١٠ ، وقد
أدى هذا الاحتلال الى تغيرات سكانية واجتماعية وسياسية في جنوب
افريقيا . ففي عام ١٨٢٠ وصل الى هذه البلاد خمسة آلاف مستوطن
بريطاني تنفيذاً لمشروع قديم ليستهدف تدعيم السيطرة البريطانية على
منطقة الباني . واستقر هؤلاء الوافدون في المنطقة الشرقية حول بورت
اليزابث (٩) ، ثم جاء بعدهم آخرون واستقروا في منطقة الناتال .

هذا ، وقد شرع الانكليز منذ اللحظة التي وطأ فيها أقدامهم اقليم
الكاب بتنفيذ سياسات تستهدف اضعاف البوير والانفراد بالسلطة ،
ففي عام ١٨٢٨ أصدرت الادارة البريطانية المرسوم رقم (٥٠) الذي يعد
من أهم الاصلاحات التي ادخلها الانكليز في حياة السكان الوطنيين في جنوب
افريقيا . فقد أعطى المرسوم المذكور ، ولأول مرة ، الحق للهوتنتوت
والبشمن والملونيين بان يمتلكوا الارض والغي اجبارهم على العمل ، والغيت
قوانين حمل جوازات المرور . ولم يعد بالامكان القبض بتهمة التشرذ على
العاطلين من غير البيض ، وضمنت حقوق متساوية للبيض والسود سواء
بسواء ، ولكن البوير اعتبروا هذه الاصلاحات ضد مصالحهم وبأنها تتعارض
مع قوانين الله ، وفي هذا السياق اقدمت بريطانيا على الغاء الاسترقاق في
جميع امبراطوريتها استجابة لعدة عوامل ، منها ايقاف تهجير الزنوج
من افريقيا الى الولايات المتحدة الامريكية بعد انتصار الثوار واستقلالها
عن بريطانيا ، ولما كانت التنمية الزراعية في الاجزاء الجنوبية من الولايات
المتحدة تعتمد بشكل أساسي على الأيدي العاملة الزنجية ، فان هذا المنع
سيعمل على عرقلة تلك التنمية ، ومنها رغبة بريطانيا في الابقاء على الأيدي

العاملة الزنجية في مستعمراتها لاستغلالها في استثمار الموارد الاقتصادية المحلية .

لقد تدهور وضع البوير بعد الغاء تجارة الاسترقاق في مستعمرة الكاب سنة ١٨٣٤ ، لانهم فقدوا عبيدهم الذين يشكلون الايدي العاملة الرئيسية في الاعمال الزراعية وتربية المواشي ، وراحوا يشكون من ان الهوتنتوت والملونيين لا يريدون العمل عندهم . وهكذا وجد البوير انفسهم مضطرين الى ترك منطقة الكاب الخاضعة للسيطرة البريطانية والتوغل مرة أخرى في أراضي البانتو ، وفي خريف عام ١٨٣٥ قررت حوالي مائة وخمسون اسرة بويرية مغادرة الكاب باتجاه اعماق الفيلد ، وفي العام التالي بدأت الهجرة الكبرى للبوير ، اذ انتقل عشرة آلاف بويري في عربات تجرها الثيران خصصت لحمل الامتعة والنساء والشيوخ والاطفال ، بينما ركب الرجال الخيول وهم يحملون البنادق منطلقين عبر نهر الفال الى سهول ترانسفال الواسعة وسوازيلاند بهدف الحصول على الارضي والماشية ، وبينما كان البوير يواصلون زحفهم نحو الشمال اصطدموا بقبيلة الماتابيلي في منطقة الفال سنة ١٨٣٦ فهزموهم شر هزيمة ، وسلبوا اراضيهم ومواشيهم واضطروهم للفرار والاستقرار في زمبابوي . كما اتجه البوير نحو الشرق عبر ممرات جبال دراكنزبرج الى اقليم الناتال ، حيث تتوطن قبيلة الزولو أقوى قبائل البانتو واكثرها شجاعة وتنظيماً . فاشتعلت نار الحرب بين الطرفين ، وفي معركة نهر الدم الفاصلة في ١٦ كانون الاول سنة ١٨٣٨ ، انتصر البوير على الزولو وشتتوهم واستولوا على جميع اراضيهم ومواشيهم أيضاً . ثم اعلنوا قيام جمهورية ناتال البويرية المستقلة سنة ١٨٣٩ ، التي اعلنت التزامها بتنفيذ سياسة عنصرية قاسية تجاه السكان الافارقة .

سارعت القوات البريطانية نحو احتلال الناتال واسقاط جمهوريتها

البويرية سنة ١٨٤٣ ، خدمة لمصالحها الاستعمارية في افريقيا ، ولحرمان البوير من فرصة الوصول الى البحر والاتصال بالعالم الخارجي ، وهكذا وجد البوير انفسهم مجبرين على تنظيم هجرة أخرى ومغادرة الناطال باتجاه الفيلد . فعبروا ممرات جبال دراكنزبرج في عربات تجرها الثيران . وتوجه بعضهم نحو شمال نهر الفال على مقربة من جمهورية بوتشيفستروم البويرية (١٨٣٨ - ١٨٦٠) واقاموا ثلاث جمهوريات هي : ليدبنرج وزاويتانسبرج واوترخت ، واقام الباقون جمهورية وينبرج جنوب نهر الفال ، وفي عام ١٨٦٠ توحدت جميع هذه الجمهوريات البويرية في جمهورية اورنج الحرة وجمهورية ترانسفال .

ان العوامل المسؤولة عن هجرة البوير الكبرى كثيرة ، اذ يذهب بعض المؤرخين الى تقديم الاسباب التالية : البحث عن أرض افضل وضرائب أقل ، المראה التي ملأت النفوس بسبب تحرير العبيد ، عدم اطمئنان البوير الى حقوق ملكيتهم للأرض في ظل القانون الانكليزي ، القلق من السياسة البريطانية ازاء البانتو والاعتقاد بان المعاهدات المعقودة مع الوطنيين ليس لها تأثير فعال ، والغارات المستمرة التي كان يشنها البانتو عبر نهر جريت فش . ويذهب البعض الآخر في تقديم اسباب أخرى منها رغبة البوير في حماية دينهم من تأثير اللاهوت الحديث والخوف من قيام الحكومة البريطانية بفرض الكاثوليكية عليهم ، والاستياء من تدخل البريطانيين في العلاقات التقليدية بين السادة والعبيد ، وربما كان العامل الاخير أقوى دافع على هذه الهجرة .

اما العوامل المسؤولة عن انتصار الاوربيين على الافارقة فترجع الى قوة اسلحتهم ، اذ لم يستطع الافارقة رغم كثرة عددهم ان يصمدوا أمام اسلحة الاوربيين الحديثة المتطورة ، فكان امتلاك الاوربيين لاسلحة ارقى تعوض النقص في عددهم .

وفي عقد الستينات من القرن التاسع عشر اخذ الاسيويون ، الذين يشكل الهنود غالبيتهم ، يتوافدون الى جنوب افريقيا وبصفة خاصة على اقليم الناتال . ففي عام ١٨٦٠ جيء بالعمال الزراعيين من الهند للعمل في مزارع قصب السكر في الناتال بدلا من الافارقة . وجيء بآخرين للعمل في دوائر الدولة موظفين وكتبة لمعرفةهم باللغة الانكليزية (١٠) .

وبعد اكتشاف الماس في كمبرلي (١٨٦٧) والذهب في الترانسفال (١٨٨٦) والبلاتين والكروم والنحاس والمنغنيز ، جاء الى جنوب افريقيا آلاف الاوربيين ، جالبين معهم رؤوس الاموال والتقنية والمهارات اللازمة لقيام الصناعة وتطورها . ومن النتائج الاخرى التي اسفرت عن اكتشاف الثروة المعدنية الهائلة في جمهوريات البوير اشتداد الصراع بين البوير والانكليز ، اذ اخذ الانكليز الذين كانوا يسيطرون على اقليم الكاب والنااتال فقط يعدون الخطط والتجهيزات لاحتلال جمهوريات البوير (الترانسفال والاورنج) والقضاء على استقلالهم وارغامهم على قبول السيادة البريطانية ، وبالتالي الاستحواذ على تلك الثروة المعدنية الهائلة ، وفي عام ١٨٩٩ تفجر الصراع في حرب ضروسى وقتال مرير وعنيف بين البوير والانكليز ، انتهى بانتصار الانكليز واجبار البوير على توقيع معاهدة فيرينجينج عام ١٩٠٢ . وبموجب هذه المعاهدة اعترفت جمهوريتا الاورنج والترانسفال بالحماية البريطانية . وهكذا وطدت بريطانيا سيطرتها الكاملة على جنوب افريقيا . وفي عام ١٩١٠ توحدت هذه البلاد تحت اسم اتحاد جنوب افريقيا ، واصبحت تضم اربع ولايات هي الكاب والاورنج ونااتال والترانسفال تحت اشراف التاج البريطاني ، واندراج كدولة من دول الكومونولث بالامبراطورية البريطانية . وفي عام ١٩٦١ اعلنت جنوب افريقيا جمهورية وانسحبت من الكومونولث .



٢ - التركيب العنصري للسكان :

يبلغ عدد السكان في جمهورية جنوب افريقيا ٣٥٠٩٠٠٠٠ نسمة ، حسب تقديرات الباحث لسنة ١٩٨٦ ، وتدل الاحصاءات السكانية المنشورة على ان هذه الجمهورية تحتل المكانة الرابعة بعد نيجيريا ومصر واثيوبيا في القارة الافريقية (١١) . والارقام الواردة في الجدول (١) تبين ان عدد السكان بدأ في النمو بسرعة منذ اوائل القرن العشرين . ففي عام ١٩١١ بلغ عدد السكان ٩٧٣٠٠٠ نسمة ، ارتفع الى ١١٤١٦٠٠٠ نسمة في ١٩٤٦ ، ثم ارتفع مرة أخرى الى ٢٦٥٨٢٠٠٠ نسمة في ١٩٧٧ . وبلغت الزيادة في عدد السكان ٣٤٥٪ للمدة ١٩١١ - ١٩٧٧ ، غير ان هذه الزيادة لم تكن متساوية بين عناصر السكان (شكل ١) ، فقد ازداد الاوربيون بنسبة ٢٤١٪ مقابل ٤٠١٪ للاسويين و٣٧٣٪ للافريقيين و٣٧٢٪ للميلونيين وسوف نتعرض لدراسة هذه المجموعات العنصرية طبقا لبيانات ١٩٧٧ ، لانها تمثل احدث احصاء متاح ، ولاهميتها في تبيان التوزيع المكاني لمختلف العناصر.

١ - ٢ الافريقيون (السود) :

يعرف الافارقة في جنوب افريقيا بالسود وهم يمثلون أكبر مجموعة عنصرية في هذه البلاد ، والبيانات الواردة في الجدول (١) تبين ان عددهم ازداد باطراد من أربعة ملايين نسمة في ١٩١١ الى تسعة عشر مليون نسمة في ١٩٧٧ وبمعدل ٣٣٪ في السنة . وهكذا ارتفعت نسبتهم الى جملة السكان من ٦٧٣٪ الى ٧١٥٪ .

يتألف معظم الافارقة في جمهورية جنوب افريقيا من البانتو وهؤلاء ينتمون الى مئات القبائل ، وباعتبار اللغة السائدة يمكن تقسيم البانتو الى أربع مجموعات لغوية رئيسية هي :

أ - مجموعة نجوني :

تعد مجموعة نجوني أكبر مجموعة لغوية في جنوب افريقيا ، اذ يبلغ عدد الناطقين بها احد عشر مليون نسمة ، اما قبائلها فتشمل الزولو (٤٥ مليون نسمة) والاكسوسا (٤٤ مليون نسمة) وندبيله وسوازي ، وجميع هذه القبائل تسكن في شرق جبال دراكنزبرج في اقليمين رئيسيين ، الأول في شرق الكاب ومعظم الناطال بين نهر سونداج ، شرق بورت اليزابت ، ونهر توجيلا ، شمال دربان . وهنا تعيش قبائل اكسوسا في ترانسكي حول مدينة ايسست لندن . كما تعيش قبائل الزولو في الناطال حول مدينة دربان ، وتنتشر قبائل البوندو والتنمبو بين قبائل الاكسوسا والزولو ، والثاني يمتد من سوازيلاند الى الشمال من الناطال وتسكنه قبيلة سوازي ، كما يمتد الى قبيلة ندييلة في جنوب شرق ووسط الترانسفال .

ب - مجموعة سوئو - تسوانا :

تأتي مجموعة سوئو - تسوانا بالمرتبة الثانية بعد مجموعة نجوني . فعدد أفرادها لا يقل عن ٦٢ مليون نسمة . اما قبائلها فتتكون من سوئو الشمال وسوئو الجنوب وتسوانا . ومن المعروف ان مجموعة سوئو تستقر في الهضبة الوسطى الى الغرب والشمال الغربي من جبال دراكنزبرج ، وبصورة خاصة في حوض اوليفانس في شرق الترانسفال ، وفي مرتفعات باسوتو . اما تسوانا فتسكن في غرب الفال واللمبويو في اراضي بوتسوانا .

ت - مجموعة شانجا - تسونجا :

تتوطن مجموعة شانجا - تسونجا في شمال الترانسفال الى الجنوب من مجموعة فندا . ويبلغ عددها أكثر من مليون ومائة الف نسمة .

ث - مجموعة فنذا :

يبلغ عدد افراد مجموعة فنذا سبع مائة الف نسمة ، لهذا فهي اصغر مجموعات البانتو عددا ، اما منطقة سكنها فتقع في حوض نهر اللمبورو الى الشمال من مجموعة شانجا - تسونجا .
والى جانب مجموعات البانتو توجد مجموعة صغيرة من الهوتنتوت تسمى كورانا تعيش في منطقة جريكا غربي التقاء نهر الاورنج برافده
القال (١٢) .

هذا وقد اظهر الاحصاء السكاني لعام ١٩٧٠ ان ٦٥٪ من الافارقة يسكنون الارياف ، اما البقية فيسكنون في المدن ، ولاسيما جوهانسبرج وايست لندن وفيرينجينج ودربان وبريتوريا وبورث اليزابث (جدول ٢) .

٢ - ٢ الاوربيون (البيض) :

يأتي الاوربيون بعد الافارقة من حيث العدد وبفارق كبير ، فالارقام الواردة في الجدول (١) تبين ان عددهم هو ٤٣٥٠٠٠٠ نسمة لسنة ١٩٧٧ ، وهذا يعادل ١٦٣٪ من جملة السكان ، وهم يزدادون ببطيء وبمعدل لا يتجاوز ١٤٪ في السنة ، يضاف الى هذه الزيادة الطبيعية ، هجرة اوربية صافية وافدة بمعدل ٣٠٠٠٠ فرد في السنة ، يأتي معظمهم من بلدان اوربا الغربية ولاسيما المملكة المتحدة ، ويلاحظ ان معدل صافي الهجرة الوافدة في السنوات الاخيرة اتسم بالذبذبة والتناقص بسبب اشتداد مقاومة الافارقة لسياسة التفرقة العنصرية . ففي عام ١٩٨٣ بلغ عدد صافي الهجرة من الوافدين البيض الى جمهورية جنوب افريقيا ٢٢٢٣٦ شخصا مقابل ٣٨٩٥٢ شخصا في ١٩٨٢ و ٣٢٧٥١ شخصا في ١٩٨١ ، وكانت زمبابوي والمملكة المتحدة المصدرين الرئيسيين للمهاجرين في عام ١٩٨٣ (١٣) .

يظهر من الجدول (١) ان عدد الاوربيين ارتفع خلال المدة ١٩١١ - ١٩٧٧ من ١ر٢٧٦ر٠٠٠ نسمة الى ٤٣٥٠٠٠٠ نسمة أي بنسبة ٢٤١٪ ، وهي أدنى من نسب نمو المجموعات العنصرية الأخرى . وتبعاً لذلك انخفضت نسبة الاوربيين الى جملة السكان من ٢١٤٪ الى ١٦٣٪ واصبحت حالة التوازن السكاني لصالح الافارقة وبفارق كبير . فاليوم يقف أمام كل اوروبي أكثر من اربعة افارقة .

ينقسم الاوربيون في جمهورية جنوب افريقيا باعتبار لغة الام والخلفية التاريخية الى قسمين رئيسيين هما الافريكانز والانكليز وبنسبة ٥٨٪ ، ٣٧٪ على التوالي . وهناك ٥٪ من الاوربيين يتحدثون بلغات اوروبية أخرى (١٤) ، والافريكانز مجموعة اوروبية تنحدر من اولئك الهولنديين والفرنسيين الذين استوطنوا الكاب سنة ١٦٥٢ ، اما الانكليز فهم احفاد اجدادهم الأوائل الذين استقروا في الكاب والناثال سنة ١٨٢٠ ، واليوم يتركز كلا الافريكانز والانكليز في المدن . واحصاء ١٩٧٠ يبين ان ٨٦٪ من الاوربيين يستقر في المدن ولاسيما جوهانسبرج وكيب تاون وايسست راند ودربان وبريتوريا وبورث اليزابث وغرينيجنج وساسولبرج (جدول ٢) . ويذهب بعض الكتاب الى ان تطوير جمهورية جنوب افريقيا في مجال التعدين والصناعة والتجارة والنقل والمواصلات ، اعتمد اعتمادا كبيرا على نشاط السكان الانكليز ، بينما بالغ الافريكانز (البوير) في المحافظة على الطابع الريفي وتطوير الزراعة والرعي .

٣ - ٢ الملونون :

يبلغ عدد الملونين ٢ر٤٧٠ر٠٠٠ نسمة حسب احصاء ١٩٧٧ أو ما يساوي ٩٣٪ من جملة سكان جمهورية جنوب افريقيا ، وهي نسبة تكاد ان تكون ثابتة طيلة العقود السبعة الماضية . والارقام الواردة في

الجدول (١) تبين ازدياد عدد الملونيين بمعدل ٣٪ في السنة خلال عقسد الستينات . ولكن المعدل هبط الى ٢٤٪ في السنة ابتداء من عام ١٩٧٠ بسبب انخفاض معدل المواليد ، ومع ذلك ، فان معدل النمو السكاني عند الملونيين أعلى من نظيره عند الاوربيين .

يسكن ٧٤٣٪ من الملونيين في المدن ، وهم يتركزون تركزا كبيرا في كيب تاون وبورث اليزابث وجوهانسبرج . ويتكلم الملونون باللغة الافريكانية والانكليزية ، ولكن اللغة الاكثر شيوعا بينهم هي الافريكانية ، اذ يبلغ عدد الناطقين بها زهاء ٩٠٪ من مجموع الملونيين . وهذه الحقيقة تكشف عن عمق الروابط التاريخية بينهم وبين الهولنديين الاوائل . وبحكم نفس المؤثرات أصبح معظم الملونيين من اتباع الكنائس الهولندية تليها الانكليزية ، وهناك اقلية ملونة (٥٪) تؤمن بالديانة الاسلامية ، وغالبية الملونيين تعمل في الزراعة والمصانع والخدمة المنزلية لدى الاوربيين .

٤ - ٢ الآسيويون :

يمثل الآسيويون أصغر مجموعة عنصرية في جمهورية جنوب افريقيا . وقد ازداد عددهم باطراد من ١٥٢ر٠٠٠ نسمة في ١٩١١ الى ٧٦٢ر٠٠٠ في ١٩٧٧ وبمعدل ٢٦٪ في السنة . ومع ذلك ، بقيت نسبهم الى اجمالي السكان في حدود ٣٪ . ولقد اثار تزايد الآسيويين السريع عن طريق الزيادة الطبيعية والهجرة الوافدة قلق المجموعة الاوربية الحاكمة ، ومن أسباب هذا القلق كون معظم الآسيويين من أصل هندي ، وارتفاع وعيهم السياسي ونشاطهم المتميز في الاعمال المالية والتجارية ، وانتمائهم الى دولة كبيرة لها وزنها في الميدان الدولي ، كل هذه العوامل جعلت حكومة جنوب افريقيا تأمر بوقف هجرة الهنود الحرة اليها سنة ١٩١١ ، ثم عقدت اتفاقية مع الهند لتشجيع عودة الهنود الى وطنهم ، الا ان عدد الذين عادوا الى الهند كان خمس عشرة الف نسمة حتى عام ١٩٤٧ .

يستقر ثلاثة أرباع الآسيويين في إقليم الناطل ، أما البقية فيتوزعون في الترانسفال والكاب ، ويندر وجودهم في ولاية اورنج بسبب عدم سماح السلطات لهم بالإقامة هنا قانونيا . وبيانات ١٩٧٠ تبين أن نسبة التضر عند الآسيويين تبلغ ٨٤٣٪ ، وهي نسبة مماثلة لنظيرتها عند الأوربيين ، وتكاد أن تكون مدينة دربان مدينة هندية ، ففيها يتركز ٤١٪ من الآسيويين ، وعددهم فيها يمثل ٣٨٪ من إجمالي السكان (جدول ٢) ، ولا زالت المجموعة الآسيوية تتكلم بلغات هندية متنوعة . كما تتكلم باللغة الانكليزية ، والتي أصبحت لغة التفاهم بين الجميع ، والديانة الشائعة بين الآسيويين هي الهندوسية (٧٠٪) والاسلام (٢٠٪) ، هذا ، وقد اشتغل الآسيويون أولا كاجراء في مزارع السكر التابعة للانكليز في الناطل ولكن بمجرد انتهاء عقودهم تحول قسم كبير منهم الى العمل الحر ، وبحلول القرن العشرين أصبح معظمهم يشتغل في المعامل والامور المالية وظهر منهم ملاك للأراضي وتجار أثرياء قاموا بمشاريع تجارية ناجحة بالاشتراك مع الأوربيين خصوصا في مدينة دربن (١٤) .

٣ - التمييز العنصري :

ظهرت سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا منذ بداية الاستيطان الأوربي ، إذ سيطر المستوطنون الأوربيون على الأفارقة وعاملوهم معاملة العبيد . وقد استخدم الأوربيون الدين لتبرير فكرة استغلالهم على الأفارقة في البداية . كما استخدموا فكرة تفوق الجنس الأبيض على الأسود من الناحية العنصرية والحضارية .

وقد أصدر الأوربيون في القرن التاسع عشر مجموعة قوانين تهدف الى تثبيت التمييز العنصري ، أهمها قانون المرور الذي صدر في عام ١٨٠٩ بحجة منع التشرذم (١٥) الذي يفرض على السكان من غير الاقلية البيضاء حمل بطاقات المرور Laissez Passer التي يسمح بواسطتها

التجول ، وقانون الخدم والمخدومين ، الذي ينظم علاقة العمال السود بأرباب العمل البيض ، ودستور ١٨٥٦ الذي رفض العناصر غير البيضاء من الناحيتين الاجتماعية والسياسية ، وفي عام ١٨٨٧ أصدر الاوربيون قرارا بشطب ٣٠٠٠٠ افريقي من الجداول الانتخابية في اقليم الكاب بغية السيطرة على المجالس البرلمانية والتحكم في الافارقة .

وعندما ظهرت حكومة اتحاد جنوب افريقيا في عام ١٩١٠ امعنت في سياسة التمييز العنصري وتوجيه الادارة والتشريع لخدمة الاوربيين . فقد راعى دستور الاتحاد الذي وضع في ١٩٠٩ ان يسير نظام الحكم على نمط النظام البرلماني الاوربي مع اقتصار عملية انتخاب الاعضاء على الاوربيين . اما السلطة التشريعية فتتمثل في مجلس شيوخ كل أعضائه من الاوربيين (٤٥ عضوا) ومجلس نواب (١٧٠ عضوا) من الاوربيين أيضا ، بالإضافة الى ممثلي الملونين الذين يبلغ عددهم (٤٠ عضوا) . وترتب على ذلك ان المجتمع الاوربي أصبح يتمتع بشكل من الديمقراطية البرلمانية يسمح لأعضائه بانتخاب ممثله في الجمعية العامة (مجلس النواب ومجلس الشيوخ) . في حين احتفظ كل اقليم بطريقته في تمثيل غير الاوربيين . فقد اقتصرت الحقوق البرلمانية على اتاحة الفرصة للافريقيين والملونين الاكفاء تقييد اسمائهم في سجلات الناخبين في مدينة الكاب ، ولكنها لم تقدم أي تمثيل مباشر لغير الاوربيين في الناطال والترانسفال والاورنج . واما الاسيويون فلم يتمتعوا بحقوق التصويت في الانتخابات ولا بحقوق ارسال ممثلين عنهم الى الجمعية العامة . وبذلك أصبحت الاقلية الاوربية هي التي تختار الهيئات التشريعية كما انها هي التي تشكل الهيئة التنفيذية (١٦) . ولكي تحقيق سيطرتها باستمرار سيطرت باستمرار على الجيش والبوليس ، وأصبحت الحكومات المتعاقبة تشكل اساسيا من البيض .

وبعد انتخاب البرلمان الاتحادي أصدر تشريعات عاجلة ترمي الى سلب ما تبقى من يد الافارقة من أراضي ، فصدر قانون الارض الوطنية في عام ١٩١٣ ، وبموجبه حرم الافارقة من تملك الارض خارج المعازل والتي لا تزيد مساحتها على ١٣٪ من مساحة البلاد ، وخصصت الحكومة في عام ١٩٢٢ كثيرا من الاعمال التي تتطلب المهارة للاوربيين وحدهم . وفي ١٩٢٤ أبعدت حكومة الاتحاد آلاف الافريقيين عن مراكز المدن ومن الاكواخ التي اقاموها بقربها . وتقرر شطب أسماء افريقي الكاب في ١٩٣٦ من جداول الانتخابات العامة واصبح يمثلهم ثلاثة أعضاء من الاوربيين . وسمح للافارقة بانتخاب أربعة شيوخ بيض بطريقة غير مباشرة من جميع أنحاء الدولة ، وثلاثة أعضاء من بين أعضاء الجمعية العامة ، وقد تم إنشاء مجلس تمثيل المواطنين الافارقة للتعويض عن شطب اسمائهم من سجلات الكاب الانتخابية ، ولكن هذا المجلس لم يكن اكثر من كونه مجلسا استشاريا اوقفت اعماله لعدم استشارة الحكومة له . اما الملونون الذين ظلوا في سجلات الكاب الانتخابية فقد سمح للرجال فقط بممارسة الانتخاب على ان تتوفر فيهم الشروط اللازمة وبذلك أصبح الاوربيون يسيطرون على غير الاوربيين في جنوب افريقيا .

وكان من بين التشريعات المهمة تجاه الاسيويين اصدار قانون تثبت الاوضاع سنة ١٩٤٣ ، الذي حرم لمدة ثلاث سنوات أي توسع في التجارة الهندية في الترانسفال كما حرم عليهم شراء الارض في الناتال .

يعد تولي الحزب الوطني للسلطة في عام ١٩٤٨ على أثر فوزه في الانتخابات البرلمانية بداية لمنعطف جديد في سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا . فقد كان هذا الحزب الاكثر تطرفا في الميل للتمييز العنصري باعتباره يمثل البوير . وكان من مبادئه ان عدم تبني سياسة قائمة على التمييز العنصري معناه انهيار هيكل العلاقات السياسية

والاقتصادية وتقويض التقاليد الاجتماعية وتهديد السلطان الاوربي في البلاد . واعلن الحزب بانه مكلف بالمحافظة على السيادة الاوربية باكملها(١٧) ، وبان هدفه تحقيق سياسة الابرتهيد (Apartheid) والابرتهيد اصطلاح يعني حرفيا بلغة الافريكانرز (الفصل) قاصدين بذلك الفصل بين الاوربيين وغير الاوربيين فصلا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا(١٨) . وقد حدد رئيس وزراء جنوب افريقيا الدكتور هـ . فيرورد جوهر سياسة الابرتهيد في خطاب القاه في البرلمان في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٦٣ بالقول (ان سياسة الابرتهيد عند ردها الى ابسط اشكالها ، فان المشكلة ليست اي شيء غير ما يلي : اننا نريد جنوب افريقيا بيضاء ، وابقاها بيضاء لا يمكن ان يعني الا شيئا واحدا هو السيطرة البيضاء ، ليست القيادة وليس التوجيه وانما التحكم والاستعلاء . واذا كنا متفقين على ان رغبة الشعب هي انه ينبغي ان يتمكن الرجل الابيض من الاستمرار في حماية نفسه بواسطة الاحتفاظ بالسلطة والسيطرة البيضاء فاننا نقول ان هذا يمكن تحقيقه من خلال التطور المنفصل)(١٩) .

٤ - تطبيقات سياسة التمييز العنصري :

١ - ٤ فصل الجماعات العرقية التي يتكون منها السكان

(فكرة الجماعة المنفصلة Separate group (٢٠)

في عام ١٩٥٠ أصدرت حكومة جنوب افريقيا قانون تسجيل السكان لوضع فكرة فصل الجماعات العرقية موضع التطبيق وبمقتضى هذا القانون جرى تصنيف السكان الى أربعة مجموعات عرقية رئيسة هي البيض والبانتم والآسيويون والملونون . وقد اوجب القانون مراعاة الضوابط التالية عند التصنيف :

– الشخص الابيض هو الذي (أ) يبدو بوضوح من مظهره انه ابيض ولا تقبله الكافة على انه شخص ملون ، او (ب) تقبله الكافة على انه شخص ابيض ، ولا يبدو واضحا من مظهره انه شخص غير ابيض . لكن الشخص الذي يبدو من مظهره انه ابيض وقبلته الكافة على هذا الاساس ، لن يصنف باعتباره ابيض ، متى كان احد ابويه الطبيعيين قد صنف على انه عضو من عنصر آخر .

– البانتو هو الشخص الذي هو بالفعل عضو من أي عنصر اصلي أو من قبيلة افريقية ، أو تعتبره الكافة كذلك .

– الشخص الملون هو الشخص الذي لا هو بالابيض ولا بالبانتو .

أي في الغالب ذو بشرة سمراء .

– والشخص الاسيوي هو الشخص الذي هو من أصل هندي أو باكستاني عموما (٢١) . ويصنف الشخص الذي ينتمي الى ابوين طبيعيين من مجموعة عنصرية واحدة على انه عضو منها ، واذا كان احد الابوين ابيض والآخر ملون او بانتو ، فان ذلك الشخص يجب ان يصنف ضمن مجموعة الملونين ، اما اذا كان أحد الأبوين ملون والآخر بانتو فان الشخص المذكور يعد من البانتو .

والحقيقة فان سكان جنوب افريقيا يختلفون اختلافا واضحا في صفاتهم الطبيعية ، الامر الذي يمكننا من تصنيفهم الى أربعة سلالات متميزة ، فالاوربيون ينحدرون من السلالة القوقازية ، وهم يتصفون ببشرة يتراوح لونها بين الشقرة والبياض ، والشعر موج ، والانف مستقيم والشفاه رفيعة والرأس طويل والقامة متوسطة والعيون ذات فتحة طويلة وافقية يتراوح لونها بين الأزرق والبني ، وينحدر الهنود والباكستانيون من نفس السلالة ، الا انهم يتميزون عن الاوربيين ببشرة ذات لون بني داكن . واما البانتو فينتمون الى السلالة الزنجية التي

تتصف بشرتها باللون الداكن الى الاسود ، وشعر الرأس صوفي مفلفل ،
والانف مقعر ، وهو في غالبية الأحوال ذو جذر عريض منخفض له فتحات
واسعة وعريضة ، والشفاة غليظة ومقلوبة ، والرأس طويل ، والعيون
ذات فتحات دائرية متقاربة ولونها أسود ، وللبشمن والهوتنتوت صفات
زنجية ومغولية ، ومن ابرز صفاتهم اللون البني المائل الى الصفرة والشعر
الشديد التفلفل والعيون الضيقة المنحرفة والعجز المتضخم وخاصة عند
النساء . واما الملونون فهم مجموعة خلاسية تتصف ببعض الصفات
القوقازية وبعض الصفات الزنجية ، وتسود بين أفرادهم لون البشرة
السمراء (٢٢) .

هذا ، وللتصنيف العرقي أهمية حاسمة بالنسبة للفرد ، اذ انه يحدد
للشخص غير الابيض المكان الذي يعيش فيه ، وكيف يمارس حياته ،
واي عمل يستطيع ان يؤديه ونوع التعليم الذي يتلقاه والحقوق الاساسية
التي يتمتع بها ومن يتزوج والامكانيات الاجتماعية والثقافية والترفيهية
المتاحة له ، وبشكل عام مدى حريته في الحركة والتنقل (٢٣) . وتجدر
الاشارة الى قيام الحزب الوطني في عام ١٩٤٩ باصدار قانون يقضي بعدم
شرعية الزواج بين الاوربيين وغير الاوربيين .

٢ - ٤ الفصل الجغرافي (فكرة المنطقة المنفصلة)

Separate Zone

تعد فكرة الفصل الجغرافي بين الجماعات العرقية الرئيسة في جنوب
افريقيا حجر الزاوية في نظام التمييز العنصري ، ووفقا لقانون مناطق
الجماعات الصادر في عام ١٩٥٠ وتعديلاته جرى تقسيم أرض البلاد الى
منطقة اوربية مساحتها ٤١٠٥٦٩ ميلا مربعا ، ومنطقة افريقية مساحتها
٦١٩٣١ ميلا مربعا ، وقد سميت المساحة المخصصة للافارقة بالمعازل
Reserves . ولم تخصص مساحة معينة للاسيويين والملونيين ، وانما

سمح لهم بالاقامة الدائمة في المنطقة الاوربية ، على ان يجري الفصل بين السكان البيض والملونين والآسيويين بواسطة المناطق الجماعية .
ويبدو واضحا ان خطة تقسيم أرض جنوب افريقيا طبقا لقانون مناطق الجماعات تشكل عدوانا خطيرا على حقوق الاغلبية الساحقة من السكان ، فالافارقة الذين يتجاوز عددهم ٧١ر٥٪ من مجموع السكان يبلغ نصيبهم ١٢ر٧٪ من مساحة البلاد . بينما يبلغ نصيب الاوربيين ٨٧ر٣٪ من مساحة البلاد رغم ان عددهم لا يزيد عن ١٦ر٣٪ من مجموع السكان .
وهكذا حرم الافارقة من التواجد والتملك في معظم أرجاء البلاد . ويلاحظ ان المساحة المخصصة للافارقة ذات أرض مجدبة غير صالحة للزراعة في الغالب ، كما تعاني من ندرة الثروة المعدنية ، في حين تنعم المساحة المخصصة للبيض بتربة خصبة صالحة للزراعة ، وثروة معدنية هائلة .

(Bantustans ' Home lands)

٣ - ٤ الأوطان

نص قانون تطوير الحكم الذاتي للبانطو الصادر في عام ١٩٥٩ وتعديلاته على التجمع التدريجي للمعازل الافريقية (٢٦٤ معزلا) في عشرة اوطان (بانتوستانات) يمارس فيها الوطنيون الحكم الذاتي ، ثم تتطور في المستقبل الى دول مستقلة ، وحجة الحكومة في ذلك انها تسعى نحو تطبيق فكرة الفصل العنصري للبانطو وتحقيق التنمية المستقلة ، كما نص القانون المذكور على ان يكون لكل افريقي من مواطني جنوب افريقيا وطنه القومي في أحد الاوطان العشرة ، وان يكون مهاجرا اذا ما خرج من وطنه المخصص له الى بقية أنحاء البلاد ، سواء المنطقة الاوربية أو الاوطان الافريقية .

وتطبقا للقانون المذكور ، فقد تم انشاء عشرة أوطان هي :
بوفوثاتسوان وفيندا وكواندبيل وترانسكي وسيسكي وسوازي وكوازولو

وجازان كوكو وباسوتوكواكوا وليبوا (خارطة ١) . ومن الاسس التي اعتمدت عند انشاء هذه الاوطان : وحدة القبيلة ، ووحدة اللغة والخلفية التاريخية للاستيطان القبلي . وهكذا أصبحت الاوطان عبارة عن اماكن تسكن في كل واحدة منها قبيلة افريقية معينة . وفي هذا السياق قامت الحكومة حتى عام ١٩٨٤ بمنح الاستقلال التام الى خمسة أوطان هي : بوفاثاتسوانا وفيندا وكوانديلي وترانسكي وسيسكي . أما الاوطان الخمس الأخرى ، سوازي وكوازولو وجازان كولو وباسوتوكواكوا وليبوا ، فانها تتمتع بالحكم الذاتي ، وتقتصر حقوقها على ادارة شؤونها المحلية فقط . ولا يحق لها انشاء قوات عسكرية وانتاج الاسلحة والذخيرة ، كما لا يحق لها اقامة علاقات خارجية أو النظر في شؤون الهجرة والشرطة والامن الداخلي وادارة البريد وسكك الحديد والموانيء والطيران والعملة والرسوم ، لان حكومة جنوب فريقيا هي المسؤول الشرعي عن ادارة جميع هذه الشؤون .

تعرض الجداول ٣ و ٤ والخرائط ١ و ٢ المرفقة بعض البيانات الاساسية عن أوطان البانتو ، ومن ملاحظتها نستنتج الحقائق التالية :

أ - ان الفكرة القائلة بان المناطق المخصصة للافارقة تعد مواطنين تاريخية لهم يناقضها الواقع ، ففي عام ١٩٧٠ الذي جرى فيه الاحصاء الرسمي المعتمد للتقسيم كان عدد الافارقة الساكنين في الاوطان ٧١٧٣ر٠٠٠ نسمة أو ما يساوي ٤٩٪ من جملة الافارقة مقابل ٧٤١٥ر٠٠٠ نسمة أو ما يساوي ٥١٪ من جملة الافارقة يستقرون في المنطقة الاوربية ، وهؤلاء لا تربطهم الا صلة ضئيلة أو لا صلة اطلاقا بالمناطق المخصصة لهم (جدول ٣) .

ب - ان الظروف الطبيعية السائدة في مناطق الافارقة سيئة للغاية ، فالأوطان الموجودة في الشمال والشمال الغربي مثل بوفاثاتسوانا وفيندا

وجازان كولو وليبوا ، تقع في منطقة شبه جافة ، اما الوحدات الواقعة في الشرق ، ترانسكي وكوازولو ، فانها تقع في ارض شديدة التضرس . اذ تقدر نسبة الارض المستوية والمتوجة فيها بأقل من ٢٣٪ ، وتعاني تربتها من شدة التعرية بسبب غزارة الامطار والقطع الجائر للغابات ، وهكذا تحددت الزراعة في ١٥٪ من مساحة ترانسكي وكوازولو ، وانتشرت حرفة الرعي انتشارا واسعا في بقية المساحة ، والانتاج الزراعي محدود لا يوفر سوى ٦٠٪ من حاجة السكان (٢٤) .

وعلى النقيض من ذلك المنطقة المخصصة للاوربيين فهي تتميز بالاستواء أو التموج والتربة الخصبة ووفرة الموارد المائية واعتدال المناخ . لذا اشتهرت بوفرة الانتاج الزراعي والقدرة على تغطية الحاجة المحلية ، وتصدير عدد من المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية الى الاسواق العالمية .

ت - تتركز الثروة المعدنية في الاراضي المخصصة للاوربيين . بينما يندر وجودها في أوطان الافارقة (خارطة ٢) ، وهكذا أصبحت المنطقة الاوربية تزدهم بالصناعات الاستخراجية والتحويلية ، على خلاف الاوطان الافريقية التي أصبحت تعاني من ندرة هذه المؤسسات ، وبوفائاتسوانا هي الوطن الوحيد الذي يتصف بدرجة من النشاط الصناعي الذي يرتبط باستخراج البلاتين ومعادن أخرى .

ث - تعاني جميع أوطان الافارقة من ضغط سكاني مرتفع ، فالارقام الواردة في الجدول (٤) تبين ان كثافة السكان الواقعية تتراوح بين ٧٠ - ٣٠٧ نسمة لكل ميل مربع حسب احصاء ١٩٧٠ ، وفي حالة تواجد جميع البانتو في الاوطان المخصصة لهم فان الكثافة سترتفع الى مستويات تتراوح بين ١١٧ - ٦٣٣٣ نسمة في الميل المربع . اما وطن الاوربيين فعلى النقيض من ذلك . فعلى الرغم من سعته وخصوبة أرضه ووفرة مياهه ، الا ان كثافة

السكان فيه لا تتجاوز تسعة أفراد لكل ميل مربع ، ترتفع الى ست عشرة نسمة للميل المربع اذا أخذنا بنظر الاعتبار عدد الملونيين والاسيويين المقيمين في أراضي الاوربيين ، وبسبب انعدام فرص العمل أو شحتها في الاوطان تحول سكانها الى مخزن كبير لليد العاملة يرفد المناطق البيضاء بما تحتاج من قوة عمل .

ج - تتصف أوطان الافارقة بصغر المساحة ، فهي تتراوح بين ١٩٨ ميلا مربعا (وطن باسوئوكواكو) و ١٨٠٠٠ ميلا مربعا (وطن ترانسكي) . ومن المعلوم ان الدولة ذات المساحة الصغيرة لا يمكن ان تكون امة عظيمة مهما ارتفع مستواها الاقتصادي والحضاري .

ح - يظهر من الخارطة المرفقة ان أوطان البانتو قد تم تصميمها بشكل يخدم الاهداف الاستراتيجية الآتية :

١ - ح - تجزئة الوطن الواحد :

ان ظاهرة تجزئة الوطن الواحد الى وحدات ادارية متباعدة يفصل بينها حيز أرضي اوروبي ظاهرة سائدة في أغلب الاوطان وان هذه التجزئة سوف تستمر طبقا لمخططات الاقلية الاوربية . وهذا ما نلاحظه في كوازولو (١٠ وحدات) وبوفوثاتسوانا (٦ وحدات) وليبوا (٤ وحدات) وجازان كولو (٣ وحدات) وترانسكي (وحدتان) . ومما لاشك فيه ان هذه التجزئة تستهدف تفريق أبناء القومية الواحدة والحد من قوتها تطبيقا للقاعدة الاستعمارية (فرق تسد) .

٢ - ح - عزل الاوطان :

تتباعد اوطان البانتو بعضها عن البعض الاخر تباعدا كبيرا ، وهي محاطة بأراضي الاوربيين من كل جانب للحيلولة دون اتحادها أو تعاونها

المباشر من جهة ، ولمنع اتصالها ببقية الشعوب الافريقية . وفي هذا السياق اختيرت اراضي البانتو لتكون في موقع قاري مغلق بعيدا عن البحار لتقييد حريتها التجارية ، وجعلها تعتمد اعتمادا كليا على جمهورية جنوب افريقيا الاوربية .

٣ - ح - توزيع الاوطان حول القلب الصناعي :

تتوزع اوطان البانتو بشكل هلال (الهلال الاسود أو الحزام الاسود) يحيط بالمراكز الصناعية التابعة للاقلية الاوربية . ويبدو جليا ان هذا التوزيع يستهدف توفير سبل الوصول الى الأيدي العاملة الافريقية خدمة للمستثمرين الاوربيين وفي هذا السياق تسعى حكومة افريقيا البيضاء نحو تأسيس بعض الصناعات كثيفة العمل في أوطان البانتو ذاتها ، أو في مناطق التخوم استجابة لنفس العامل (توفر العمالة ورخص الاجور) .

٤ - ٤ تقسيم المدن الى مناطق عنصرية :

خطت جميع المدن في جنوب افريقيا بصورة تلزم كل مجموعة عنصرية بالسكن في مناطق منفصلة بعضها عن البعض الآخر ، فاذا نظرنا الى خارطة مدينة بريتوريا مثلا نرى منطقة سكن الاوربيين في الوسط ، ومناطق سكن الافريقيين والمنونين والآسيويين في الاطراف بجانب المشروعات الصناعية . ونرى أيضا وجود فضاءات واسعة تفصل ما بين منطقة عنصرية واخرى تفاديا للاختلاط . وتكرر هذه الصورة في بقية جنوب افريقيا مع اختلافات مكانية بسيطة . والشائع ان تخصص افضل المواضع للاوربيين واسوأها للافريقيين .

٥ - ٤ اعادة توطين السكان :

من المفاهيم الاساسية التي تقوم عليها سياسة الفصل العنصري ان

يكون جميع الافارقة ، أياً كان مكان سكنهم أو عملهم في جنوب افريقيا رعايا لهذا الوطن او ذاك من الاوطان العشرة المذكورة . وقد أعطت حكومة جنوب افريقيا في عام ١٩٧٠ قالبا تشريعيا لهذا المفهوم باقرار قانون جنسية اوطان الافارقة الذي حدد الاوطان على أساس اللغة التي يتكلمها الشخص (٢٥) . وينطبق هذا القانون على جميع الافارقة بغض النظر عن مكان ولادتهم ، وعما اذا كانوا قد عاشوا طوال حياتهم في مناطق مخصصة للاوربيين ، وعن توفر أي معلومات لديهم عن الوطن المخصص لهم أو روابط عائلية لهم فيه . وتنفيذا لسياسة الفصل العنصري قامت الحكومة البيضاء باعادة توطين مئات الالوف من الافريقيين والملونيين والاسيويين وعدد محدود من الاوربيين بدعوى توحيد الاوطان وتقوية تماسكها العنصري . والشائع ان تجري عمليات الترحيل القسري من البقع السوداء الى اوطان البانتو ، والبقع السوداء هي مستوطنات للبانتو تنتشر في المناطق الريفية التابعة للاوربيين أو في أجزاء من اوطان أخرى . وهذه المستوطنات كانت مشغولة من قبل سكانها الحاليين وأسلافهم منذ فترات طويلة قد تصل الى مائة سنة في كثير من الاحيان ، وهي تتسم بوجود مجتمعات محلية متماسكة ومستقرة وذات كفاية ذاتية اعتمادا على مواردها الخاصة .

ومنذ عام ١٩٥٧ ، اقدمت حكومة جنوب افريقيا البيضاء على طرد أكثر من ٦٠٠ ألف من الملونيين والاسيويين وارسلوا الى مناطق جديدة والى ترحيل أكثر من ٤٥٤ ألف افريقي الى الاوطان ، وتشير التقديرات الى ان عدد السود الذين طردوا منذ ١٩٦٠ من المزارع الاوربية يتراوح بين مليون و١٧٥٠٠٠ فرداً . وفي عام ١٩٨٢ اعلن وزير التعاون والتنمية ان من المقرر تحويل ٧٢ منطقة ما زال الافارقة يحتلون بها الى مناطق مخصصة للاوربيين ، الامر الذي يتطلب ترحيل عدد يتراوح بين ٢٠٠٠٠٠ - ٣٠٠٠٠٠ افريقي . وكان التقدير السابق (١٩٧٢) يتضمن ترحيل

٣٤٣ر٠٠٠ شخصاً من الزولو من مناطقهم في الناتال مقابل ترحيل ٦٠٠٠ شخص أوربي ، وفي هذا السياق أعلنت الحكومة البيضاء عزمها على ترحيل جميع السكان السود (٢٠٠ر٠٠٠ نسمة) من ويسترن كيب إلى موضع جديد في كلايكتشا على مسافة ٣٥ كيلومتر من كيب تاون (٢٦) .

هذا ، وتكشف نتائج إحصاء ١٩٨٠ عن المدى الواسع لتأثير سياسات الترحيل على توزيع السكان الأفارقة ، فقد ظهر أن عدد الأفارقة المقيمين في المناطق الأوربية قد ارتفع من ٧٢٥٠ر٠٠٠ نسمة في ١٩٧٠ إلى ٩٥٠٠ر٠٠٠ نسمة في ١٩٨٠ وبنسبة ٣١٪ ، في حين ازداد عدد الأفارقة في الأوطان للمدة المذكورة من ١٧٣ر٠٠٠ إلى ١١٣٣ر٠٠٠ نسمة وبنسبة ٥٨٪ ، وتبعاً لذلك ارتفعت نسبة السكان الأفارقة المقيمين فعلياً في الأوطان إلى إجمالي عددهم من ٤٩٪ في ١٩٧٠ إلى ٥٤٪ في ١٩٨٠ . وقد غدا عدد كبير من هؤلاء المرحلين يعيشون في ضواحي جديدة شيدت خصيصاً لهم ، بحيث تسمح لهم بالانتقال يومياً من الأوطان إلى المناطق الأوربية المجاورة ، ويمنع وجودها خارج أوقات العمل لئلا يشبهوا الأوربيين في الشؤون الاجتماعية .

كما يبين إحصاء ١٩٨٠ مدى ترحيل السكان الأفارقة إلى بعض الأوطان ، فخلال الفترة ١٩٧٠ - ١٩٨٠ ارتفع عدد السكان من ٥٠٧٧٩ إلى ١٦٦٤٧٧ نسمة في وطن كواندبيلي ، ومن ٢٤٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠٠ نسمة في وطن كواكوا ، وازداد عدد سكان وطن كانجوانا بمقدار ١٥٠ر٠٠٠ نسمة نقلوا إليه من البقع السوداء المنتشرة في ريف الترانسفال ، حيث كانوا يعملون في مزارع الأوربيين (٢٧) .

٦ - ٤ إسقاط الجنسية :

نصت قوانين تحديد أوضاع الأوطان على أن جميع الأشخاص الذين

هم رعايا لأحد الاوطان لا يحتفظون بصفة كونهم رعايا في جمهورية جنوب افريقيا البيضاء . وهذا يعني عمليا ان رعايا (وطن) ما ايا كان مكان سكنهم أو عملهم يعدون أجنب في هذه الجمهورية فور استقلال هذا الوطن . وقد أدى استقلال خمسة أوطان (بوافاتاتسوانا وفيندا وكواندبيلي وترانسكي وسيسكي) الى سقوط جنسية جنوب افريقيا عن زهاء تسعة ملايين نسمة ، ومن الآثار التي ترتبت على اسقاط الجنسية ما يلي :

أ - يفقد الافارقة بوصفهم رعايا اوطان مستقلة حق الحصول على جواز سفر من جنوب افريقيا ، ويطالبون باستخدام جواز سفر صادر عن وطنهم الجديد ، ولكن بما انه لم يعترف بجوازات السفر هذه أية دولة باستثناء جمهورية جنوب افريقيا ، فانه يتعذر على هؤلاء السفر خارج جنوب افريقيا .

ب - يسمح للأشخاص من رعايا الاوطان المستقلة والذين سبق وان اكتسبوا حقوق الإقامة في جنوب افريقيا الاوربية بالاحتفاظ بهذه الحقوق بعد الاستقلال ، على شرط الاستمرار في العمل والإقامة في مسكن توافق عليه السلطات . علما بان هذه الحقوق قد تسحب في أي وقت دون ابداء اسباب ، والمرأة الافريقية تعاني من مساويء التمييز العنصري بدرجة أشد من الرجل . اذ يقتصر حق الإقامة والعمل في المناطق الاوربية على النساء المتزوجات فقط ، على ان يقمن مع ازواجهن . واذا اصبحت المرأة ارملة أو مطلقة فقدت اهليتها للعيش والعمل في المناطق الاوربية .

ت - تسمح قوانين التمييز العنصري للافارقة من سكان الاوطان بارتداد المناطق الحضرية الاوربية خلال النهار شريطة ان يكونوا حاملين لجوازات المرور أو وثيقة صادرة عن أحد الاوطان . ويكونون معرضين للتوقيف اذا لم يكن في حوزتهم مثل هذه الوثائق . ولا يحق لهم العمل أو البحث عنه ما لم يحصلوا على اذن خاص ، فاذا ضبطوا وهم يعملون فانهم يقعون كما يقع أصحاب عملهم تحت طائلة الغرامات أو السجن .

ويوقف كل افريقي يضبط في الطريق أو في بيت يقع في ضاحية للافارقة أو للاوربيين ما بين الساعة العاشرة ليلا والخامسة صباحا اذا لم يكن يحمل تصريحاً يسمح له بالوجود في هذه الاماكن . وبسبب صعوبة حصول الافارقة على رخص الدخول الى المناطق الاوربية ازداد عدد المقبوض عليهم بتهمة مخالفة قواعد جواز المرور من ١٥٨٣٣٥ شخصا في ١٩٨٠ الى ١٦٢٠٢٤ شخصا في ١٩٨١ ثم وصل الى ٢٠٦٠٢٢ شخصا في ١٩٨٢ (٢٨) .

٧ - ٤ العمالة والاجور :

من النواحي الاساسية في سياسة التمييز العنصري المتبعة في جنوب افريقيا قصر المهن التي تحتاج الى مهارة والتي تدر اجورا عالية على الاوربيين فقط ، وحصر العمال الافارقة في المهن ذات الاجور الزهيدة التي لا تتطلب مهارات . وهكذا أصبح نظام العمالة طبقيا يحتل فيه الاوربيون المرتبة العليا ، بينما يظل غير الاوربيين في الاسفل . واوسع هوة على الصعيد المهني هي التي تفرق ما بين الاوربيين والافريقيين . ويحتل الملونون والاسيويون مركزا متوسطا في المناطق التي يتركزون فيها . ومن ملاحظة الجدول (٥) الذي يبين توزيع السكان النشطين اقتصاديا حسب العنصر والقطاع لسنة ١٩٧٠ ، نستنتج الحقائق الآتية :

أ - يمثل الافارقة ٧٠٪ من مجموع السكان النشطين اقتصاديا يليهم في الاهمية وبفارق كبير الاوربيون (١٨ر٨٪) ثم الملونون (٨ر٨٪) وأخيرا الاسيويون (٢ر٢٪) . والنسب المذكورة تبين أهمية الافارقة في توفير العمالة لمختلف المشروعات الانتاجية والخدمية في جنوب افريقيا .

ب - يعاني الافارقة من البطالة بنسبة ١١٪ من جملة عددهم النشطين اقتصاديا . ويذهب بعض الاقتصاديين الى تقدير المستوى الحقيقي لبطالة الافارقة خلال عقد السبعينات الى نسبة تتراوح بين ٢٠ و ٢٥ بالمائة من السكان النشطين اقتصاديا ، ثم هبطت الى ٢١ر١٪ في عام ١٩٨١ . وجميع

هذه النسب أعلى بكثير مما هي عليه لدى العناصر الأخرى . فنسبة البطالة لا تتجاوز ٨٪ للاسيويين و ٢٥٪ للاوربيين .

ث - يعمل معظم الافارقة في قطاع الزراعة والخدمات والتعدين والمقالع والصناعة التحويلية . في حين يتركز نشاط الاوربيين في قطاع التجارة والمال والخدمات والصناعة التحويلية والنقل والمواصلات . ويعمل معظم الملونيين في الصناعات التحويلية والخدمات والزراعة والتجارة والبناء . واكثر الاسيويين يعمل في قطاع الصناعات التحويلية والتجارة والمال .

اما حقيقة تباين الاجور وتأثيرها بسياسة الفصل العنصري فيعكسها الجدول (٦) ، الذي يبين توزيع متوسط الدخل الشهري للمجموعات العرقية بين مختلف قطاعات الاقتصاد لعام ١٩٨٣ . وعند امعان النظر فيه نستنتج الحقائق التالية :

أ - يتمتع الاوربيون بأعلى دخل شهري وفي جميع القطاعات الاقتصادية ، يليهم الآسيويون ثم الملونون وأخيرا الافريقيون (شكل ٢) .
ب - هناك فجوة كبيرة بين اجور الاوربيين والافريقيين ، اذ يبلغ متوسط الدخل الشهري للافريقيين كنسبة مئوية من دخل الاوربيين ١٨٧٤ في صناعة التعدين ، ٢٥٠٣ في الصناعات التحويلية ، ٢٨٥٣ في الكهرباء ، ١٩٤٥ في البناء ، ٢٣٩٣ في التجارة ٢٧٨٩ في النقل والمواصلات ، ٤١٣٥ في المصارف ، ٢٧٢٣ في الوظائف الحكومية والخدمات العامة .

وانعكاسا لتباين توزيع العمالة والاجور تم توزيع الدخل القومي على المجموعات العنصرية بصورة غير عادلة . فالاوربيون الذين لا يتجاوز عددهم ١٦٣٪ من جملة السكان ، يبلغ نصيبهم ٧٣٦٪ من مجموع الدخل القومي . اما الافريقيون الذين يبلغ عددهم ٧١٥٪ من جملة السكان فيحصلون على ١٩١٪ من الدخل القومي . ويحصل الاسيويون

والملونون على دخل يتناسب مع وزنهم السكاني .

٨ - ٤ الخدمات :

من مظاهر النفرقة العنصرية البشعة في جمهورية جنوب افريقيا تحديد الامكانيات الاجتماعية والثقافية والترفيهية المتاحة لكل مجموعة عنصرية ، ففي المدن جرى تصنيف المؤسسات الخدمية الى مؤسسات خاصة للاوروبيين واخرى لغير الاوروبيين . فالابنية والمحلات التجارية لها مداخل ثانوية يفرض استعمالها على غير الاوروبيين ، وفي مكاتب البريد شبابيك خاصة أو صفوف خاصة للانتظار يقف فيها غير الاوروبيين ، ولا يأتي دورهم الا بعد خدمة جميع الاوروبيين . وهناك مصاعد خاصة لغير الاوروبيين في بعض الابنية الجديدة ، ونجد قاعات للانتظار ومراحيض معينة لغير الاوروبيين في جميع محطات السكك الحديدية . وهناك سيارات نقل وقطارات خاصة لغير الاوروبيين ، وان مقصورات الدرجة الثالثة في جميع الخطوط مخصصة لغير الاوروبيين . وفي جميع المدن يمنع غير الاوروبيين من الدخول الى المكتبات العامة . ولكل جماعة عنصرية شواطئها وملاعبها الخاصة ، والسجون والاصلاحيات منفصلة كذلك ، وحراس السجون اوروبيون جمعا ، أما أفراد الشرطة غير الاوروبيين فلا يستطيعون ممارسة وظائفهم الا في المناطق غير الاوربية ولا سلطة لهم على المجرمين الاوروبيين (٢٩) .

ويقوم النظام التعليمي في جنوب افريقيا على أساس ادارات منفصلة وقائمة على العنصرية والاقليمية ، فلكل عنصر مدارس ولغته الأم كوسيلة للتعليم على المستوى الابتدائي . ويلاحظ ان تعليم الافارقة يعاني من نقص الانفاق وعدم كفاية التخصيصات . ففي العام الدراسي ١٩٧٩/ ١٩٨٠ استأثر تعليم الاوروبيين بنسبة ٦١٫٨٪ من اجمالي تخصيصات التعليم مقابل ٩٫٦٪ للافريقيين القاطنين في المناطق الاوربية ٧٫٣٪

للافريقيين القاطنين في الأوطان غير المستقلة ٩٧٪ للملونيين ٤٦٪
للاسيويين ، وكانت نسبة المدرسين الى التلاميذ ١ : ١٨ للاوربيين ١ : ٢٧
للملونيين ١ : ٢٤ للاسيويين ١ : ٤٨ للافريقيين ، وقد تمثلت بعض اثار
التأريخ الطويل من نقص الانفاق وعدم كفاية ما تقدمه حكومة جنوب افريقيا
للافريقيين في صور متعددة . منها اتجاه معظم الطلبة الى ترك الدراسة قبل
ان يتعلموا القراءة والكتابة بصورة صحيحة . وان عدد الذين حصلوا على
شهادة اتمام الدراسة المؤهلة للالتحاق بالجامعة أقل من ٦٪ من جملة
الطلبة (٣٠) .

٥ - أسباب التمييز العنصري :

اتضح لنا مما تقدم ان جذور التمييز العنصري في جنوب افريقيا
يعود الى بداية الاستيطان الاوربي سنة ١٦٥٢ . وقد أصبحت هذه
السياسة جزءاً من الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، ويرى
الباحث ان نشوء هذا التمييز واستمراره يعود الى الاسباب التالية :

أ - النزعة العنصرية :

تنتشر بين أفراد المجموعة الاوربية الساكنة في جنوب افريقيا ،
ولا سيما البوير ، الاراء والفلسفات العنصرية التي تبرر افضلية الاوربيين
من حيث الصفات الطبيعية والمكتسبة على العناصر الاخرى . وتعد نظرية
الحاجز اللوني من اكثر النظريات العنصرية شيوعاً في جنوب افريقيا .
ويقصد بالحاجز اللوني ، لون البشرة الذي يفصل بين البيض وغير
البيض ، والذي يستند على انعدام المساواة بين الابيض والاسود ، لان
الابيض ذو عقلية فذة سامية ، على نقيض الاسود والملون الذين اعتبروا ذو
عقليات منحطة .

ب - اختلاف المستويات الحضارية :

يفتقر سكان جنوب افريقيا الى الوحدة الحضارية ، فالافريقيون قوم

متخلفون ، لأسباب تاريخية معروفة ، في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية
واسياسية ، وهذا يصدق على الاسيويين والملونين القاطنين في هذه البلاد ،
بينما يتميز الاوربيون بالتقدم ، اعتمادا على معطيات الفكر الاوربي الموروث
وانجازاتهم الحضارية المستمرة . وهذا التفوق هو المسؤول عن روح
الاستعلاء والغطرسة التي يشعر بها الاوربيون تجاه الافريقيين والاسيويين
والملونين .

ت - النزعة الاستعمارية :

تمثل النزعة الاستعمارية أهم سبب لقيام التمييز العنصري
واستمراره في جنوب افريقيا . فقد انتزع الاوربيون الأرض والماشية
والموارد من الافريقيين ، واستغلوا قواهم أبشع استغلال . واليوم يواصل
الاوربيون الاستحواذ على معظم موارد البلاد متذرعين بسياسة تقسيم البلاد
الى أوطان عنصرية . وطبقا لهذه السياسة استأثرت الاقلية الاوربية بأوسع
مساحة ، واكثرها خصبا وافضلها موقعا . واغناها بالثروة المعدنية . بينما
حصلت الاكثرية الافريقية على أصغر مساحة واقلها خصبا واسوءها موقعا
وافقرها بالثروة المعدنية .

ث - المساعدات الخارجية :

قامت بعض الدول الاوربية بمساعدة وتشجيع التمييز العنصري في
جنوب افريقيا بهدف فرض سيادتها في المنطقة واستغلال مواردها . وفي
مقدمة تلك الدول هولندا وانكلترا والولايات المتحدة الامريكية والمانيا
الغربية . كما تحظى جمهورية جنوب افريقيا بمساعدات واسعة من الكيان
الصهيوني العنصري القائم في فلسطين ، لتشابه النظامين في الفلسفة
والتطبيق .

ج - الخلفية التاريخية :

استمرت ظاهرة العداء والصراع بين الاوربيين والافريقيين طيلة

القرون الثلاث الماضية ، تاركة وراءها ذكريات ملؤها الحقد والكراهية ، فأصحاب البلاد الاصليين ، الافريقيون ، ينظرون الى الاوربيين باعتبارهم غزاة مستعمرون يجب طردهم من جنوب افريقيا لما اقترفوه من اثم بحقهم ، والاوربيون ينظرون الى الافريقيين باعتبارهم اقوام متخلفة عاجزة عن استغلال موارد البلاد وتطويرها . كما ينظرون الى البانتو باعتبارهم غزاة مغتصبون جاؤا الى هذه البلاد من شرق افريقيا في نفس الوقت الذي جاء فيه الاوربيون ، وبالتالي فهم لا يتمتعون بالسبق التاريخي وما يترتب عليه من حقوق وواجبات في هذه البلاد ، وعبر التاريخ ، ونتيجة لظاهرة الصراع والحروب المستمرة بين الطرفين تكونت في النفوس ذكريات مريرة لما ارتكبته كل جماعة ضد الجماعة الاخرى . اذ لا زال الاوربيون يتذكرون بأسى حادث (يوم دنجان) وهو يوم اجازة رسمية في جميع أنحاء جنوب افريقيا تخليدا للذكرى . ففي ذلك اليوم من شهر كانون الاول سنة ١٨٣٨ قام دنجان زعيم الزولو بقتل أفراد الوفد البويري الذي جاء للتفاوض وعقد معاهدة صلح بين الطرفين المتحاربين (٣١) .

٦ - مستقبل التمييز العنصري :

ان المتتبع لتاريخ جنوب افريقيا يرى حتمية القضاء على التمييز العنصري وقيام دولة موحدة ديمقراطية يتمتع فيها البيض والسود بنفس الحقوق والواجبات . ومن العوامل التي تعمل ايجابيا لتحقيق هذه الرؤية الحقائق التالية :

أ - رفض المواطنين السود والآسيويين والملونين لسياسة التمييز العنصري . فقد غرست بذرة الثورة ضد هذه السياسة منذ فترة طويلة ، وتأسس حزب المؤتمر الافريقي سنة ١٩١٢ من أجل قيادة الحركة الشعبية وتنظيمها .

وقد حدد الزعيم الافريقي المعروف نلسون مانديلا أهداف الشوار

الافارقة بما يلي :

- ١ - وحدة جنوب افريقيا كاملة ورفض تام للاوطان المصطنعة داخل التراب الجنوبي الافريقي .
- ٢ - تمثيل كامل للشعب في البرلمان المركزي ، وليس عضوية محدودة في مجالس عنصرية خاصة للملونين والافارقة .
- ٣ - مساواة تامة في الحقوق الدستورية وحق التصويت لكل مواطن ايّاً كان لونه .

وفي سبيل تحقيق هذه الاهداف يسعى حزب المؤتمر الى قيام الجبهة الديمقراطية الموحدة التي تضم أغلبية الافارقة ، والى اثارة أعمال المقاومة في المدن الاوربية والمؤسسات الاقتصادية من أجل اسقاط الحكومة العنصرية البيضاء .

ب - ارتفاع المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للافارقة وتزايد الوعي السياسي بين صفوفهم .

ت - ازدياد عدد الافارقة وتفوقهم على الاوربيين بصورة متصاعدة ، ففي نهاية هذا القرن يتوقع ان يبلغ عدد الافارقة ٤١ مليون نسمة أو ما يعادل ٧٦٪ من اجمالي سكان جنوب افريقيا مقابل سبعة ملايين اوروبي ، أو ما يساوي ١٣٪ من اجمالي السكان ، وبذلك تكون النسبة : اوروبي واحد امام ستة افارقة (جدول ١) .

ث - امكانية تحالف الافارقة مع الاسيويين والملونين في سبيل القضاء على التمييز العنصري الموجه ضدهم . ويلاحظ لجوء الاقلية الاوربية الى اعطاء الملونين والآسيويين بعض الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في سبيل كسبهم الى جانبهم من جهة ، والى دق اسفين الخلاف بينهم وبين الاكثرية الافريقية من جهة أخرى .

ج - استقلال الشعوب الافريقية :

تميز عقد الستينات بحصول معظم الاقطار الافريقية على الاستقلال ورحيل المستعمر الاوربي ، الأمر الذي ساعد على نمو وتعاظم ثورة الافارقة في جنوب افريقيا . وتلعب دول المواجهة دورا مهما في هذا الشأن ، ولاسيما انجولا وزمبابوي ، والى جانب ذلك تقوم الدول الافريقية بعقد المؤتمرات والندوات للتنديد بسياسة التمييز العنصري واتخاذ الاجراءات الكفيلة باسقاطها .

ح - موقف الامم المتحدة :

تقف الامم المتحدة ضد سياسة التمييز العنصري على المستوى الفكري والعملي ، فالاعلان العالمي لحقوق الانسان يدين بشدة التفرقة العنصرية ويؤكد على ان جميع الناس يولدون أحرارا وبكونهم متساوون في الحقوق والواجبات ، وتبعاً لذلك دعت الامم المتحدة الى ازالة البانتوستانات (الاوطان) وتوحيد جنوب افريقيا ووقف ترحيل السكان القسري والغاء قوانين الحظر المفروضة على المنظمات والأفراد المعارضين للنظام العنصري ، وفي سبيل القضاء على التمييز العنصري طلبت الجمعية العامة من الدول الاعضاء اتخاذ الاجراءات التالية :

١ - قطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومة جنوب افريقيا أو الاحجام عن اقامة مثل هذه العلاقات .

٢ - اغلاق موانئها أمام كافة السفن التي ترفع علم جنوب افريقيا .

٣ - اصدار التشريعات التي تمنع سفنها من دخول موانئ جنوب افريقيا .

٤ - مقاطعة كافة البضائع التي تنتجها جنوب افريقيا ، والاحجام عن تصدير البضائع الى جنوب افريقيا بما في ذلك كافة الاسلحة

والذخائر •

٥ - رفض هبوط كافة الطائرات التابعة لحكومة جنوب افريقيا
والشركات المسجلة طبقا لقوانين جنوب افريقيا وكذلك رفض
تسهيلات المرور •

٦ - الامتناع عن تصدير النفط الى جنوب افريقيا •

٧ - اتخاذ التدابير اللازمة لانهاء الاستثمارات والقروض الأجنبية في
جنوب افريقيا (٣٢) •



جدول (١)
نمو السكان في جمهورية جنوب إفريقيا حسب المجموعات العنصرية

السنة	المجموع	الأفريقيون	الأوروبيون	الآسيويون	اللاتينيون	اللاتينيون	اللاتينيون
	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠
١٩١١	٥٩٧٣	٤٠١٩	٦٧٣	١٢٧٦	٢١٤	٨٣٨	١٥٢
١٩٢١	٦٩٢٧	٤٦٩٧	٦٧٣٨	١٢٧٦	١٢٧٦	٧٣٩	١٦٤
١٩٣٦	٩٥٨٨	٦٥٩٧	٦٨٣٨	٢٠٠٣	٢٠٣٩	٨٣٠	٢٢٠
١٩٤٦	١١٤١٦	٧٨٣٠	٦٨٣٦	٢٣٧٢	٢٠٣٨	٨٣١	٢٨٥
١٩٦٠	١٥٩٨٣	١٠٩٠٨	٦٨٣٢	٣٠٨٨	١٩٣	٩٣٤	٤٧٧
١٩٧٠	٢١٤٤٨	١٥٠٥٨	٧٠٣٢	٣٧٥١	١٧٣٥	٩٣٤	٦٢٠
١٩٧٧	٢٦٥٨٢	١٩٠٠٠	٧١٣٥	٤٣٥٠	١٦٣٣	٩٣٣	٧٦٢

٢٥٨	٩٩٤	٩٥١	٢١٩٢	١٥٥٠	٥٢٤٤	٧٢٥١	٥٥٦٧٠	٢٥٠٩٠	١٩٨٧
٢٥٨	١١١١٩	٩٥٠	٢٥٧٩	١٤٥٤	٥٦٩٨	٧٢٥٨	٢٩٣٢٠	٢٩٧٢٦	١٩٩٠
٢٥٧	١٥٠٤	٨٥٨	٤٧٦٣	١٢٥٠	٧٠١٢	٧٥٥٥	٤٠٨٧٠	٥٤١٥٠	٢٠٠٠



الفترة ١٩٧٧/١٩١١ نقل عن :
 Best, Alan C.G. & de Blij, Itarm. J. African Survey,
 Jihn Wiley & Sons, In C. Newyork 1977, p. 342.

الفترة ١٩٧٧/١٩١١ نقل عن :

عناصر السكان في المدن الكبرى بجنوب افريقيا لسنة ١٩٧٠ (١)

- ۲۶۸ -

١٨٠	١٠٤	٤٩	٤٧١	٢٩	٢٧٩	١٣	٠.٦	٢	١.٦
١٢٣	١٠٤	٤٩	٤٧١	٢٩	٢٧٩	١٣	٠.٦	٢	١.٦
١٠٤	٤٩	٤٧١	٢٩	٢٧٩	١٣	٠.٦	٢	١.٦	١.٦
١٠٤	٤٩	٤٧١	٢٩	٢٧٩	١٣	٠.٦	٢	١.٦	١.٦
١٠٤	٤٩	٤٧١	٢٩	٢٧٩	١٣	٠.٦	٢	١.٦	١.٦
١٠٤	٤٩	٤٧١	٢٩	٢٧٩	١٣	٠.٦	٢	١.٦	١.٦
١٠٤	٤٩	٤٧١	٢٩	٢٧٩	١٣	٠.٦	٢	١.٦	١.٦
١٠٤	٤٩	٤٧١	٢٩	٢٧٩	١٣	٠.٦	٢	١.٦	١.٦
١٠٤	٤٩	٤٧١	٢٩	٢٧٩	١٣	٠.٦	٢	١.٦	١.٦
١٠٤	٤٩	٤٧١	٢٩	٢٧٩	١٣	٠.٦	٢	١.٦	١.٦

(1) Best & de Blij - Op. Cit. p 345.

(النسب من عمل الباحث)

جدول (٣)

اوطان البانتو في جنوب افريقيا

السكان في ١٩٧٠	المساحة	عدد الوحدات	مقترحة	واقعي	مخطط	العشيرة	الوطن
١٢٥٤	٢٤	١	١٩	١٢٥٨	١٠٠٠	نوتو الجنوب	باسوتو كواكو
١٦٥٨	٨٨٤	٦	١٩	١٦٥٨	١٠٠٠	تسوانا	بوفوثا تسوانا
٩٢٤	٥٢٤	١	١٩	٩٢٤	١٠٠٠	اكسوسا	سيسكي
٦٥٠	٢٦٧	٣	٤	٦٥٠	١٠٠٠	شانجان	جازان كولو
٤٠٢٦	٢٠٩٧	١٠	٢٩	٤٠٢٦	١٠٠٠	الزولو	كوازولو
٢٠١٩	١٠٨٣	٤	٩	٢٠١٩	١٠٠٠	سوثو الشمال	لييوا
٤٦٠	١١٨	١	٢	٤٦٠	١٠٠٠	سوازي	سوازي

						اڪسو سا	ترانسڪي
۲۰۰۰	۱۷۲۴	۲	۲	۱۸۰۰۰		اڪسو سا	ترانسڪي
۲۵۸	۲۶۴	۱	۳	۲۰۶۲		فيندا	فيندا
۲۳۴	۱۷۸	۱	۱	۵۸۰		نديلي	نديلي الجنوب
۷۴۱۵	۷۱۷۲	۲۰	۸۹	۶۱۹۳۱			المجموع

Best & de Blij — op. Cit. p 349.



جدول (٤)

كثافة السكان في أوطان البانتو سنة ١٩٧٠ (١)

الوطن	نسبة % الواقع السكاني الى المخطط	كثافة السكان نسمة / ميل مربع الواقعية . المخططة	
باسوثوكواكوا	٣ر٩	١٢١	٦٣٣٣
بوفوثاتسوانا	٥٣ر٣	٧٠	١٣٢
سيسكي	٥٦ر٧	١٧٥	٣٠٨
جازان كولو	٤١ر١	٧٩	١٩٢
كوازولو	٥٢ر١	١٧٣	٣٣٢
ليبوا	٥٣ر٦	١٦٠	٢٩٩
سوازي	٢٥ر٧	٩٦	٣٧٣
ترانسكي	٥٧ر٧	٩٦	١٦٩
فيندا	٧٣ر٧	٨٦	١١٧
ندبيلي	٧٦ر١	٣٠٧	٤٠٣

(١) الجدول من عمل الباحث استنادا على بيانات الجدول () .

جدول (٥)

توزيع السكان النشطين اقتصاديا حسب العنصر والقطاع
لسنة ١٩٧٠ (بالآلاف) (١)

القطاع	المجموع	الافريقيون	الاوربيون	المسنون	الاسيويون
الزراعة والغابات والصيد	٢٢٣٩	٢٠١٤	٩٩	١١٩	٧
التعدين والقتاح	٦٧٦	٦٠٩	٦٣	٧	١
الصناعات التحويلية	١٠٢٤	٥١٢	٢٨٠	١٦٩	٦٣
الخدمات	١٥٧٥	١٠٦٤	٣٢٥	١٦١	٢٣
التجارة والمال	٩٠٧	٣٤٩	٤١٩	٨٥	٥٤
البناء	٤٤٦	٢٦٥	٩٦	٧٧	١٠
الكهرباء والغاز والماء	٥٠	٣٢	١٤	٣	—
النقل والمواصلات	٣٣٩	١٤٠	١٦٣	٢٨	٨
العاملون	٧٢٣	٦٢٤	٣٨	٥٥	١٥
النشطون اقتصاديا	٧٩٨٧	٥٦٠٤	١٤٩٨	٧٠٤	١٨١
نسبة النشطون %	١٠٠	٧٠	١٨	٨	٢

جدول (٦)

متوسط الاجر الشهري للمجموعات العنصرية في جنوب افريقيا
بحسب القطاعات الاقتصادية لسنة ١٩٨٣ (بالراندا) (١)

المجموعة العرقية				القطاع
الاوربيون	الملونون	الآسيون	الافريقيون	
١٥٣١	٤٩٥	٧٥٠	٢٨٧	صناعات استخراج المعادن
١٤٧٨	٤٣٢	٥١٦	٣٧٠	الصناعات التحويلية
١٤٦٥	٤٦٣	٦٠٨	٤١٨	الكهرباء
١٥١٦	٤٨٠	٨١٣	٢٩٥	البناء
٩٨٢	٣٣٤	٥٠٨	٢٣٥	التجارة
١١٢٣	٣٦٥	٧٠٥	٣١٣	النقل والمواصلات
١١١٠	٥٨٣	٧٨١	٤٥٩	المصارف والتأمين
١٠٨٧	٣٤٠	٧٥٣	٢٩٦	الحكومة والخدمات العامة
١٠٢٩٢	٣٤٨٣	٥٤٣٤	٢٦٧٣	المجموع

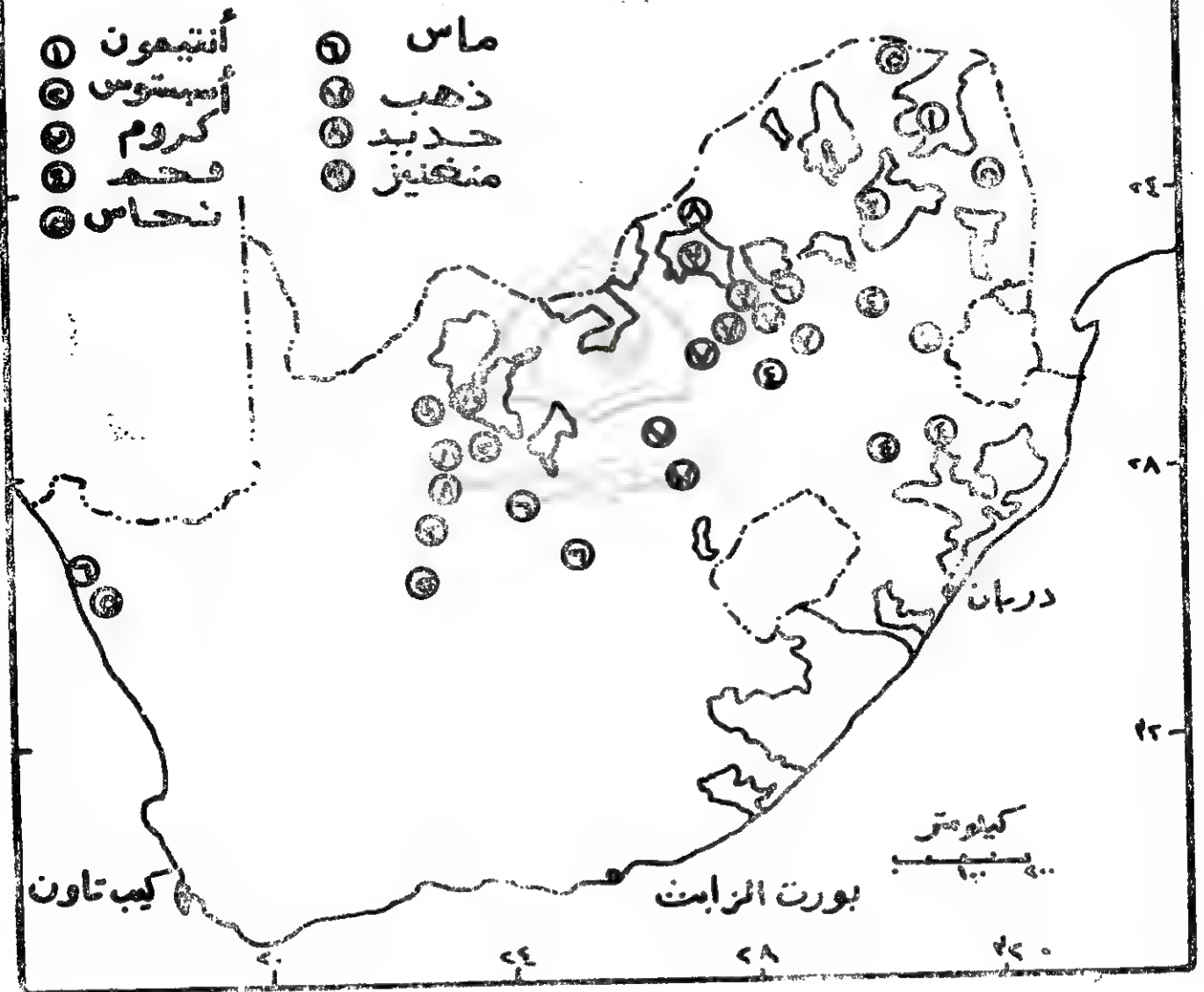
(١) مكتب العمل الدولي - تقرير خاص للمدير العام عن تطبيق الاعلان
المتعلق بسياسة الفصل العنصري بجنوب افريقيا ، سويسرا ، جنيف
١٩٨٥ ص ٦١ -

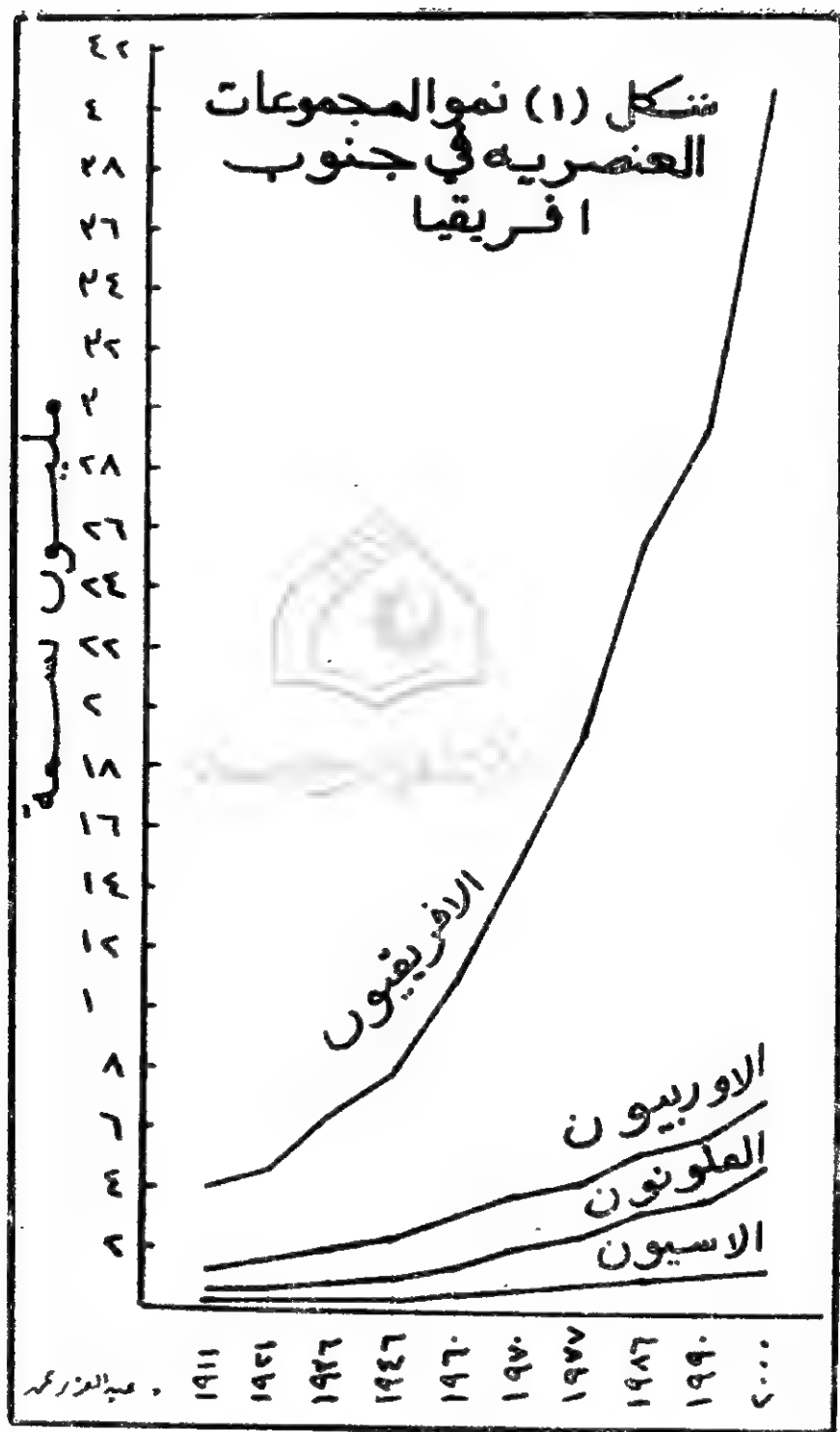
خارطة (١) اوطان البانتو المقترحة سنة ١٩٧٥



د عبد العزيز محمد جيب

خارطة (٢) المعادن في جنوب افريقيا







مصادر البحث :

1 — Loran Marshal "The Kung Bushmen of the Kalahari desert" in James L. Gibbs, JR. (edited) Peoples of Africa Newyork, 1965, p. 243.

٢ — محمد ، محمد عوض — الشعوب والسلالات الافريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ١٩٦٥ ص ٢٩ .

٣ — محمد ، محمد عوض — المصدر السابق ، ص ٣٧ .

٤ — ودنير — دونالد (ترجمة راشد البراوي) — تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ، دار الجيل للطباعة ، مصر (بدون تاريخ) ص ١٥٧ .

5 — Leo Marquard — The Peoples and Policies of South africa, London 1962, p. 5.

6 — Leo Marquard — op. cit. p. 6.

٧ — ودنير — دونالد — المصدر السابق، ص ١٩٨ .

٨ — ودنير — دونالد — المصدر السابق ص ١٦٣ ، ١٦٩ .

9 — G. W. Kingsnorth — Africa South of the Sahara, Cambrige university Press London, 1962, p. 69.

01— G. W. Kingsnorth — op. cit. p. 70.

11— U. N — World Population Prospects as assessed in 1980. Newyork, 1981, p. 16.

21— Best & de Blij — African Survey, John Wiley & Sons, Inc, Newyork, 1977. p. 341.

١٣ — مكتب العمل الدولي — الفصل العنصري في جنوب افريقيا ، جنيف ١٩٨٥ ص ٨٣ .

41— Fitzgerald, Walter — AFRICA, Methuen & Co.

١٧ — الامم المتحدة — تكوين سياسة الفصل بين الاعراق ، بيروت ، ١٩٦٨ LTD. London, 1968, p. 200.

١٥ — ودنير — دونالد — المصدر السابق ص ١٧٥ .

61— William A. Hance — The geography of Modern Africa, Second edition, Newyork, 1975. p. 514.

ص ١٠ .

- ١٨- كينت لينل - « العرق والمجتمع » ، اونسكو - العرقية ازاء العلم ،
دار الثقافة ، بيروت ، لبنان. (بدون تأريخ ، ص ٦١) .
- ١٩- مكتب العمل الدولي - الفصل العنصري في جنوب افريقيا ، جنيف ،
١٩٨٣ ص ٦٠ .
- ٢٠- مكتب العمل الدولي - الفصل العنصري في جنوب افريقيا ، جنيف
١٩٨٤ ، ص ٧٠ .
- ٢١- ليزلي روبين - تطبيق سياسة الابارتهايد ، مركز الامم المتحدة للاعلام
نيويورك ١٩٧١ ص ٤٢ .
- ٢٢- كون ، كارلتون اس (ترجمة محمد السيد غلاب) - السلالات
البشرية الحالية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢٢-
٣٥ و ص ٣٧١-٣٧٣ .
- ٢٣- الامم المتحدة (١٩٦٨) مصدر سابق ، ص ٨ .
42— William A. Hance — op. cit, p. 518.
- ٢٥- مكتب العمل الدولي - ١٩٨٣ ، مصدر سابق ص ٦٠ .
- ٢٦- مكتب العمل الدولي - ١٩٨٤ مصدر سابق ص ٧٠ .
- ٢٧- مكتب العمل الدولي - ١٩٨٣ ، مصدر سابق ص ٥٥ .
- ٢٨- مكتب العمل الدولي - الفصل العنصري في جنوب افريقيا ، جنيف
١٩٨٥ ، ص ٦٧ .
- ٢٩- كينت ليتل « العراق والمجتمع » اونسكو - العرقية ازاء العلم ، دار
الثقافة بيروت (بدون تأريخ) ص ٦١-٦٢ .
- ٣٠- مكتب العمل الدولي - ١٩٨٣ ، مصدر سابق ص ٣٦-٣٩ .
- ٣١- ودنير ، دونالد - مصدر سابق ، ص ٢٠١ .
- ٣٢- السامرائي ، ضاري رشيد - الفصل والتمييز العنصري في ضوء
القانون الدولي العام ، دار الحرية للطباعة - بغداد ، ١٩٨٣
ص ٢٠٧ .

قائمة الاعراض المختصرة

لتشخيص بعض المظاهر العصبية

السيدة نسرین العمر

الاستاذة المساعدة في علم النفس
جامعة بغداد

الدكتور موفق الحمداني

استاذ علم النفس
جامعة بغداد

خلاصة :

تشتد الحاجة للخدمات العلاجية في المجتمع العراقي المعاصر الامر الذي يلزم الباحثين بايجاد أدوات تشخيصية تساعد المعالجين وتوفر الزمن للطباء .

اختار الباحثان قائمة الاعراض المختصرة (BSI) وهي قائمة تعتمد التقرير الذاتي كما يسهل تطبيقها وتفسير نتائجها وتحظى أيضا بانتشار واسع في المستشفيات الامريكية والالمانية . وتضم القائمة جوانب خمسة من العصاب وهي التحويل الجسدي ، الحساسية في التفاعل مع الناس ، القسرية ، الكآبة والقلق .

تمت ترجمة القائمة وتطبيقها على عينة من طلبة وطالبات جامعة بغداد (٤٦٣ طالبا وطالبة) . استخرج الصدق الظاهري والصدق المنطقي وصدق البناء والمعايير العراقية . واعتبر الباحثان القائمة صالحة للتطبيق في العراق .

تهيهيد :

تتزايد الحاجة للخدمات العلاجية والارشادية النفسية عبر العالم باجمعه ، وتغدو هذه الحاجة ملحة في البلدان النامية مثل العراق نظرا لتنامي الوعي الصحي والعلمي ، الذي يقود الى ارتفاع الطلب على الخدمات العلاجية . وبالرغم من تزايد عدد الاطباء النفسيين والعاملين في الميدان النفسي خلال العقد أو العقدين الماضيين ، فان الطلب يزداد على هذه الخدمات ، ونتوقع أن يزداد أكثر فأكثر خلال السنوات القادمة .

ويطرح تزايد الطلب على الخدمات ضرورة اعداد أدوات تشخيص مناسبة تساعد المعالج في تشخيص المشكلات النفسية وتختزل الزمن . وتفضل في هذه المرحلة الأدوات التي لا يحتاج تطبيقها وتفسير نتائجها اعداد اكاديمي طويل ، كما هو الحال مع بعض الاختبارات النفسية العيادية مثل اختبار رورشاخ واختبار تفهم الموضوع وغير ذلك من الاختبارات الاسقاطية التي يتطلب تفسير نتائجها تدريباً يتراوح بين سنة وستين .

ولا تعدى الأدوات المتوافرة حالياً في العراق للعاملين في ميدان العلاج النفسي في عددها أصابع اليدين مثل اختبار كراون كرسب للخبرة العصبائية The Crown Crisp Experiential Index (المغازجي وآخرون ، ١٩٨٦) وتعديلاته (سالم ، ١٩٨٧) (العبيدي ، ١٩٨٧) واستبيان الصحة العامة (General Health Questionnaire) (الهيتي وآخرون ، ١٩٨٦) وبعض اختبارات الذكاء التي قد تساعد في بعض الجوانب الثانوية في التشخيص مثل تقنين اختبار المصفوفات (الدباغ وآخرون) (عبدالفتاح ، ١٩٧٣) (عبدالفتاح والسلمان ، ١٩٨٨) (العبيدي ، ١٩٨٦) واختبار وكسلر بلفيو Wppsi واختبار وسك (خلف ، ١٩٨٧) على سبيل المثال لا الحصر .

من المعلوم عياديا أنه لا يمكن الاستعاضة عن المقابلة التشخيصية في الممارسة العيادية النفسية ، إلا أن القوائم (Checklists) والاختبارات والاستبيانات يمكن أن تساعد الطبيب في اكتشاف ما لا تكشفه المقابلة أو تساعد الطبيب المعالج في التركيز على الجوانب الأكثر أهمية إذا اطلع على نتائجها قبل المقابلة الأولى أو خلال المقابلات اللاحقة ، كما قد يساعد ذلك الطبيب المعالج في ادخار الوقت لدى زيادة زخم المقابلات ، فيركز الطبيب على الجوانب المجدية أثناء المقابلة . وغالبا ما تعتمد هذه الأدوات على أساليب التقرير الذاتي فيؤشر المريض على الاعراض التي يعاني منها .

اختار الباحثان قائمة يطلق عليها اسم « قائمة الاعراض المختصرة » Brief Symptoms Inventory التي تستعمل استعمالا واسعا في عدد كبير من المستشفيات في الولايات المتحدة (كوتسجوك واوليانا Gottschalk and Uliana ١٩٧٩) لغرض اعدادها للاستعمال في العراق لعل ذلك يشكل خطوة أخرى في السير قدما نحو توفير الأدوات المناسبة للاغراض العملية والعلمية .

مشكلة التشخيص :

تستند عملية التشخيص أساسا على تصنيف الظواهر . فان ظهرت الاعراض أ ، وب ، وح ، ود ، والتي تميز المصابين بالمرض الفلاني في شخص معين قلنا انه مصاب بذلك المرض . أي أننا نضعه في صنف المصابين بذلك المرض . ويجرى ذلك وفق نظام معين يشبه نظام تصنيف الكائنات العضوية أو العناصر الطبيعية ... الخ . ولكن الممارسون للطب وبضمن ذلك الطب النفسي يعلمون بأن الاعراض قد لا تظهر جميعا في حالة ما . وقد تختلط الاعراض بأعراض أخرى بحيث يصعب التشخيص .

ولكن تبقى هناك الحالة النموذجية ، والتي قد لا يكون لها وجود في الواقع
الفعلي في الممارسة ، والتي يطلق عليها مصطلح الحالة الموصوفة في الكتاب
التدريسي Textbook case . وهذا ما دعا الباحثان للعودة للكتب
التدريسية لمتابعة ما يدعى بالعصاب (Neuroses) أو ما اصطلح على
تسميته بالامراض النفسية . ولقد تبين للباحثين ان الكتب التدريسية ،
وحتى في البلد الواحد مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، تختلف
اختلافات قد تكون كبيرة في وصف الحالة العصابية أو ما ينضوي ضمن
المصطلح العام (العصاب) وسنتطرق في أدناه الى ثلاثة نماذج فقط للتدليل
على ذلك .

يتحدث بوتزن واكوكلا Bootzin Acogella, 1984
عن المشكلات الانفعالية التي تضم أنواعا مختلفة من الامراض مثل القلق
والرهاب والقسرية والشدة اللاحقة للصدمة Post Araumatic Stress
وتحت عنوان آخر يضعان المشكلات الجسمية (Somatization)
والتي تضم المشكلات التحويلية (الرحام) والمشكلات التفككية التي تضم
فقدان الذاكرة وتعدد الشخصية .

ويعمد ساراسن (Sarason, 1974) لتصنيف العصاب الى ستة
أمراض هي القلق والرهاب والعصاب التفككي والرحام والكتابة .
بينما يتحدث كولمان (Coleman, 1976) تحت عنوان العصاب
عن صيغ عصابية مختلفة هي القلق والرهاب والقسرية والرحام التحويلي
(hysteria) والرحام التفككي (تعدد الشخصية وفقدان الذاكرة)
والكتابة العصابية .

ويتبين من النبذة المختصرة جدا أن تصنيفات العصاب في كتب علم
نفس الشواذ ، ليست متطابقة . فبينما يضع ساراسن الرحام تحت عنوان

العصاب العام ، نجد أن بوتزن واكوكلا يضعان الرحام التحويلي تحت المشكلات الجسمية ، ويضعان الرحام التفككي في صنف مستقل يضم فقدان الذاكرة وتعدد الشخصية . بينما يهمل كل من بوتزن واكوكلا من جهة وكولمان من جهة أخرى وضع صنف خاص للمشكلات الجسمية **Somatization** بل يدمجان ذلك ضمن صنف آخر هو عنوان الامراض النفسية الجسمية **Psycho - Somatic disorders** .

اما اذا عدنا الى الاعراض التي تنسب الى كل أشكال العصاب أو صيغه وجدنا اتفاقا على بعضها واختلافا على البعض الآخر . ولكي نوضح ذلك نأخذ مثالا واحدا سيجد القاريء الكريم ما يشبهه حيثما التفت . يشير سم (Sim, 1974) الى أن أصل التعبير الألماني الذي طرحه فرويد لحالة معينة هو (Zwangneurose) فترجمه الانكليز الى (Obsession) بينما ترجمه الاميركان الى (Compulsion) وقد جر ذلك الى شيوع التعبيرين سوية في الكتابات اللاحقة تحت اسم (Obsession - Compulsion) . (انظر Sim, 1974 p. 501) ويصف سم الاعراض التالية لهذا النمط من السلوك والذي نطلق عليه اسم القسرية « تكرار الافعال والتأكد من الاشياء والقيام بطقوس معينة ، الشكوك ، ضرورة التأكد من الاشياء ، الحماية المفرطة ، فرط التحجب للناس ، تجنب العدوى ، ضرورة لمس الاشياء ، ضرورة تسجيل الاشياء حتى التافه منها (Sim, pp. 505-506) .

ولكننا عندما ننظر الى أعراض القسرية كما يصفها كولمان فنجدها افكار تلازم المرء بشكل ملح وتبدو له غير معقولة وتتعارض مع أو تعرقل التصرف اليومي للمصاب ، وتدور حول الاهتمام بالوظائف والعمليات الجسمية ، والقيام بأفعال منافية للمثل التي يحملها المصاب ، كما يقوم

بأفعال لا يستطيع مقاومتها مثل غسل اليدين بشكل مفرط ولكنه يخفض التوتر والقلق (Colman, 1976, p. 232).

هذا في الوقت الذي يطرح فيه بارتون (Barton 1975) أعراض القسرية على النحو الآتي : الشعور بالاكراه على القيام بأفعال معينة مثل لمس الأشياء وضرورة التأكد من الأشياء والتروي في اتخاذ القرارات (Barton 1975 pp. 153-163).

ولو راجعنا هذه الاعراض نجد أن هناك اتفاق بين المؤلفين على أن بعض الاعراض تميز المصاب بالقسرية بينما يختلف المؤلفون على أعراض أخرى . فيدرج (سم) مثلا فرط التحبب للناس من اعراض القسرية ولا يشاركه في هذا الامر المؤلفان الآخران بينما يتفق الثلاثة على أن تكرار الافعال والتأكد من الأشياء (من اعراض القسرية) .

ولقد اقترحت رابطة علماء النفس الاميركية (APA) في تصنيفها الأخير اهمال مصطلح العصاب وتسمية الامراض التي كانت تقع تحت مصطلح العصاب على النحو التالي .

(DSM III)

مشكلة الكتابة المزمنة	300.11
اضمحلال الشخصية (التفكك)	300.12
المراق	300.60
الجسمية (الرحام)	300.70
الكتابة الكبرى (اصابة لمرة واحدة) أو متكررة	300.80
296.21	
الكتابة المزمنة	296.31

301.12 الألم ذو المنشأ النفسي (الجسمية) (Somatization)

... الى آخره

(Marks, 1981 p. 18

(انظر ماركس

ولكن من المفيد أن نذكر بأن أحد المؤلفين الذين أوردوا التصنيف أعلاه وضع في عنوان كتابه (شفاء العصاب وعلاجه Care and Cure of Neuroses) مصطلح العصاب الذي اقترحت الرابطة اهماله . ولربما كان ذلك يدل على أن مصطلح العصاب سيستمر معنا لفترة قادمة .

ويفترض أن تصنيف (DSM III) هو تصنيف بعيد عن المدرسية ومحايده ازاء الخلافات بينها الا أن التمييز الدقيق للتسميات والاعراض المطروحة ازاءها ، توحى بغير ذلك ، ولا مجال للخوض في ذلك في هذا المجال بالتفصيل .

الا أن تصنيف منظمة الصحة العالمية الذي يدعى أيضا لنفسه ضمناً الحياد ازاء النظريات المتعارضة يطرح تصنيفا مختلفا نظرحه أدناه للمقارنة .

مشكلات العصاب	300
حالات القلق	300.0
الرحام	300.1
الرهاب	300.2
القسرية	300.3
الكتابة العصابية	300.4
النحول العصبي	300.5

Depersonalization Syndrome المتلازمة التشيؤية 300.6

المراق

300.7

أخرى

300.8

(راجع W.H.O Geneva, 1977)

يتضح من المقارنة أعلاه أن الاختلافات قائمة سواء كانت أسباب ذلك
مدرسية ، أو غير مدرسية :

ومقابل ما يطلق عليه اسم النموذج الطبي (Medical Model)
(راجع ناتان 1974 Nathan ص ٨٧) هناك جماعة واسعة من
علماء النفس تفضل التشخيص استنادا الى الجوانب الدينامية النفسية
في نشوء الحالة المرضية وتطوراتها . وبالرغم تأييد كاتبها هذا البحث
الذي بين يديك لهذا التوجه في الموقف العلاجي والتشخيصي الفردي ، ففي
التشخيص الجمعي أو التمهيدي أو لأغراض البحث العلمي يصعب تطبيق
هذا المنظور . ويضيف ناتان في الفصل المعنون الاعراض والدلائل
التشخيصية المميزة في كتاب المرجع في الطب النفسي ، أنه من الضروري
التمييز بين ثلاثة أنماط من الاعراض هي الدلائل المؤكدة (definitive)
على الإصابة بالمرض والاعراض الرئيسية (Major) والاعراض الثانوية
(Minor). ويرى أن جميع هذه الاعراض لا تتمتع بثبات عال لأسباب
مختلفة يعدها . ولكن المهم بصدد هذا التنوع في أهمية الاعراض في
التشخيص هو قلة الاتفاق بين المختصين ، بل وبين تشخيص نفس الطبيب
لنفس المريض اذا عرضت عليه اعراضه عددا من المرات ، وقلة الاتفاق
حول ما يعتبر دليلا أكيدا أو رئيسا أو ثانويا .

ومن المعروف أن نسبة الإصابة بالامراض النفسية تختلف من مجتمع
الى آخر وفي نفس المجتمع في العصور المختلفة مما ينسجم ومبدأ النسبية
الاجتماعية Social Relativity . فمن المعروف مثلا أن نسب

الانتحار مثلا - وهو أمر شديد الصلة بالكآبة - تختلف من مجتمع الى آخر (انظر كولمان Coleman ١٩٧٦ ص ٦١٣) (وكذلك سارتوريوس Sartorius ص ٦ - ١٢ ، ١٩٨٦) نظرا لتباين الثقافة والظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية . ويطرح هذا الامر على الباحث مسألة دراسة وبائية الأمراض النفسية والعقلية . الا أن بعض الباحثين يشيرون الى أمر آخر هو اختلاف الاعراض لنفس المرض من مجتمع لآخر ، بل وفي نفس المجتمع من ثقافة صغرى الى أخرى . فيشير سיתי مثلا (Sethi ١٩٨٦ ص ٣٠ - ٣٢) أن أعراض الكآبة في الهند تختلف نوعا ما عن أعراضها في العالم الغربي كما تختلف تلك الاعراض من منطقة في الهند لأخرى .

ان هذه الطروحات المختلفة قد تعبر عن الاختلافات المدرسية لنظريات علم النفس السريري مما حاولنا تجنبه في هذا البحث أو الاختلافات حول معايير التشخيص . ويشرح بيشو (Pichot ١٩٨٦ ص ٦ وما بعدها) النظريات المطروحة في عصاب الكآبة ويوضح انعكاسات ذلك على الاعراض المرضية ، كما تعالج كتب عديدة المدارس المختلفة في علم النفس العلاجي .

خلاصة القول أن الاختلاف قائم بين المفكرين والممارسين حول تصنيف الأمراض العصبية واعراضها . ويطرح ذلك على الممارسين والباحثين في الوطن العربي ضرورة الاتفاق على التسميات والتصنيفات والاعراض كي يتسنى للباحثين اعداد الادوات الصالحة للتشخيص . الا أن الباحثين لا يستطيعون الانتظار حتى يتم الاتفاق ، فلابد من الانطلاق مما هو قائم فعلا أملا في بلوغ الاعراض المنشودة .

أهداف البحث :

يهدف البحث الحالي تطبيق قائمة الاعراض المختصرة (BSI)

لتشخيص بعض المظاهر العصابية بفرض :

- ١ - الكشف عن صدق الاداة وصلاحيتها للتطبيق في العراق .
- ٢ - الكشف عن وبائية تلك الظواهر أو الاعراض العصابية بين طلبة جامعة بغداد .

وصف الاداة :

تتألف قائمة الاعراض المختصرة Brief Symptoms Inventory

من خمسين عبارة تغطي بعض جوانب العصاب المهمة ويؤشر المستجيب على تلك العبارات ما اذا كان العرض المذكور في القائمة أثر عليه خلال الاسابيع الماضية أم لا بمتدرج ذي أربع درجات يمتد من أثر بشكل شديد ، ثم أثر فعلا وأثر قليلا ولم يؤثر إطلاقا . وقد أعيد توزيع العبارات بحيث لا يكتشف المستجيب تقسيمها أصلا الى خمس قوائم فرعية تعتمد التقرير الذاتي . وقد صيغت العبارات صياغة بسيطة بحيث يستطيع المستجيب العادي فهمها دون تعقيد يذكر .

وتضم القائمة الجوانب الخمس التالية :

أ - التحويل الجسدي Somatization

ب - الحساسية في التفاعل مع الناس .

ج - القسرية Obsessive-Compulsiveness

د - الكآبة Depression

هـ - القلق Anxiety

وتتألف القوائم الفرعية من عبارات غير متساوية العدد تغطي الاعراض المعروفة المؤكدة والرئيسية لكل من التسميات أعلاه وعلى النحو التالي .

أ - التحويل الجسمي : أربع عشرة عبارة تشمل ، التعرق ، صعوبة التنفس ، الشعور بقلّة الطاقة ، الآلام في القلب والصدر ، الحر والبرد ، الشعور بفصّة في الحلق ، الخدر ، الثقل في الأيدي والأرجل ، الأغماء والدوار ، الألم في أسفل الظهر ، الألم في العضلات ، الشعور بالضعف والوهن ، القيء والغثيان .

ب - الحساسية في التفاعل مع الناس : سبع عبارات تشمل الحساسية لنقد الآخرين ، سهولة جرح الاحساسات ، الشعور بالانزعاج ، الانفجار الانفعالي ، عدم فهم الآخرين للمستجيب ، عدم محبة الآخرين للمستجيب ، الشعور بالدونية .

ج - القسرية سبعة عبارات تضم : صعوبة التذكر ، ضرورة التاني صعوبة اتخاذ القرارات ، صعوبة التركيز ، يصبح الفكر فراغا ، القلق الزائد حول الاهمال ، ضرورة التأكد من الأشياء .

د - الكتابة : اثنتا عشرة عبارة تغطي : لوم الذات ، البكاء بسهولة فقدان الرغبة الجنسية ، قلة الشهية ، صعوبة النوم ، اليأس من المستقبل ، الحزن ، الوحدة ، التفكير بالانتحار ، الشعور بالوقوع في مصيدة ، الهموم ، فقدان الاهتمام .

هـ - القلق : سبع عبارات تغطي الخوف المفاجيء ، الشعور بالرهبة تجنب الأشياء والأماكن ، العصبية ، خفقان في القلب ، التوتر ، الارتجاف .
ان هذه التسميات التي وضعت أزاؤها الاعراض تغطي الاعراض الخالصة (Textbook. Case) للحالة ، ومن المعروف لدى الممارسين للعلاج النفسي أن الاعراض لا تأتي بمثل هذا القطع كما سبق أن ذكرنا .
اذ كثيرا ما تختلط الاعراض ، فالمصاب بالقلق غالبا ما تظهر عليه بعض الاعراض الجسمية والمصاب بالكتابة يندر أن لا يشكو من بعض اعراض الحساسية في التفاعل مع الناس وهلم جرا ولكن ذلك غير مهم جدا

في هذا المجال اذ أن ما هو مهم في القائمة هو الاعراض العصابية بمجملها ومدى تركيزها في مجال معين دون المجالات الأخرى .

تصحيح القائمة واسلوب تفسير النتائج :

القائمة معدة أصلا للمعالجة النوعية دون الكمية . اذ يستطيع المعالج من خلال تأشير المريض على الاعراض المختلفة المتضمنة في القائمة الاطلاع على الاعراض التي يحس بها المريض أو يشكو منها ، فيقوم الطبيب المعالج بتقليص بدائل التشخيص للاستفادة من الوقت المتاح أثناء المقابلة التشخيصية - العلاجية .

ولكن ذلك لا يمنع من معالجة البيانات كميا حيث تعطى الاجابة « لم تؤثر اطلاقا » مقدار صفر « وأثرت قليلا » مقدار (واحد) « وأثرت فعلا » مقدار (اثنين) وأثرت بشكل شديد مقدار (ثلاثة) . فيكون بذلك مجموع درجات الشخص السليم تماما أو الذي لا يعاني من أي عرض من الاعراض المذكورة في القائمة صفرا . بينما تبلغ درجة الذي يعاني من جميع الاعراض بشكل شديد مجموع فقرات القائمة الفرعية مضروبا بثلاثة . فالدرجة القصوى لمقياس الكتابة المؤلف من (١٢) فقرة تساوي (٣٦) درجة والدرجة القصوى على مقياس القلق المؤلف من (٧) فقرات (٢١) درجة وهكذا دواليك . وللاغراض الاحصائية في هذا البحث أخذنا بالاسلوب الكمي الموضح أعلاه الا اننا ننصح في الحالات الفردية باستعماله نوعيا وكما ، كما سنوضح فيما بعد .

اجراءات البحث :

تمت ترجمة القائمة الى اللغة العربية وعرضت الترجمة على ثلاثة من المختصين باللغة الانكليزية في كلية الآداب وتأيدت صحة الترجمة .

ثم طبقت الاداة على مجموعة من طلبة وطالبات جامعة بغداد بلغت خمسمائة طالب وطالبة، ثم اسقطت الاستثمارات التي لم تستوف الشروط الكاملة المطلوبة للاجابة الصحيحة (مثل عدم اكمال الاستثمار او وضع الاشارة في مكان واحد لجميع الفقرات) . وبلغ المتبقي (٤٦٣) استثمار (٢٠٤) ذكور (٢٥٩) اناث .

تراوحت اعمار العينة بين ١٧ - ٣٣ سنة بمنوال يقع في حدود اثنتين وعشرين سنة (٢٢) سنة تقريبا .

جمعت البيانات في الصفوف أثناء الساعة الدراسية بحيث تمت الاستجابة بشكل جماعي ولم يطلب من المستجيبين ذكر الأسماء تحاشيا للتأثيرات التي يؤدي اليها ذكر الاسم .

صدق الاداة وثباتها :

استند الباحثان على ثلاثة أنواع من الصدق لهذه الاداة .

أ - الصدق الظاهري : بما أن الاداة من اعداد نخبة من العاملين في ميدان الطب النفسي ، بحيث صيغت كل عبارة للدلالة على عرض معين من أعراض الصيغ العصابية وفق الاطر النظرية والعملية للتشخيص والعلاج (راجع كوتسجوك وأوليانا ١٩٧٩) يمكن القول ان القائمة تتمتع بالصدق الظاهري .

ب - الصدق المنطقي : يعتمد مدى ظهور عرض من الاعراض او متلازمة معينة (Syndrome) على وبائية المرض . ويمكن القول أن الاعراض المرضية ، بشكل عام ، يقل ظهورها في الاحوال الاعتيادية ، لذلك لو طرحنا متدرجا من اربع درجات يضم المعاناة الشديدة من عرض ما وعدم المعاناة منه فأننا نتوقع قلة المستجيبين بشدة المعاناة من العرض وزيادة المستجيبين بعدم المعاناة بين الاصحاء .

بكلمة أخرى لا يكون توزيع الاستجابات على الدرجات الأربعة بنفس المقدار بل يلتوي التوزيع الى جانب عدم المعاناة من العرض بين الاصحاء (بما أن عينة البحث هم من طلبة الجامعة ، فيمكن القول أن العصبيين بينهم يشكلون القلة على العكس من عينة مستمدة من المراجعين لمستشفيات الأمراض العقلية والنفسية) . وهكذا فان تبين أن توزيع الاستجابات قد جاء متفقا مع المنطق أعلاه يمكن القول أن الاداة تتمتع بالصدق المنطقي .

طبق الباحثان اختبار مربع كاي (X²) . وظهر أن توزيع الاستجابات جاء منسجما مع المنطق أعلاه في جميع العبارات سوى أربعة عبارات في الاستبيان الفرعي « الجسدية في التفاعل مع الناس » مما يلقي بعض الشكوك حول استعمال هذا الجزء مع الذكور العراقيين وفقرتين في استبيان الكآبة لربما كانت ذات علاقة بوبائية هذين العرضين وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد . اما لدى الاناث فقد كانت الفقرتان (٥ و ٨) في التحويل الجسمي والفقرة (١٣) في التفاعل مع الناس والفقرة (٤١) في الكآبة والفقرة (٣) في القلق .

جدول (١)

قيم مربع كاي لتوزيع الاستجابات للذكور والاناث على كل فقرة من فقرات الجسمية

الفقرة	الفقرة	اناث	ذكور	تسلسل
١	التعرق	**٩٤ر٤	**٥٣ر٨	
٢	صعوبة في التنفس	**٥٨ر٨	**٨٣ر٥	
٥	قلة الطاقة	٦ر٨	*٧ر٨	
٦	الآلام في القلب والصدر	**٤٣ر٠	**٢٢ر٢	
٨	الشعور بالحر والبرد	**٢٣ر٠	**٢٧ر٨	

١٠	الشعور بغصة في الحلق	**١٣ر٨	**١٠٢ر٩
١٢	الشعور بالخدر	*٨ر٩	*٨ر٨
١٦	الثقل بالأيدي والأرجل	**١٤ر٥	**٤٨ر٧
١٧	الاغماء والدوار	**٤١ر٥	**٦٦ر٧
٣٥	الصداع	**٢٣ر١	**١٣ر٥
٣٩	آلم في أسفل الظهر	**٥٢ر٤	**٣٤ر٢
٤٥	آلم في العضلات	**١٤٩ر٥	**٩٥ر٦
٤٧	الضعف العام	**٧٣ر٣	**٥٠ر٢
٤٩	القيء	**٣٦ر٧	**٥٦ر٢

* ذات دلالة احصائية على مستوى البينة ٠.٠٥

** ذات دلالة احصائية على مستوى البينة ٠.٠١

جدول (٢)

قيم مربع كاي لتوزيع الاستجابات للذكور

والاناث على كل فقرة من فقرات الحساسية

تسلسل الفقرة	الفقرة	اناث	ذكور
١٣	الحساسية نحو نقد الآخرين	**٤٦ر٦	٤٠٠ر
٢٠	سرعة جرح الاحساسات	*١٥٣	٥٦ر
١٩	الانزعاج بسهولة	**١٥٠ر٣	٣٥ر
٢٦	الانفجار الانفعالي	**٢٩ر٦	٤٢ر
٤٢	عدم فهم الآخرين	**١٩ر٧	**٢١ر٤
٤٣	الاحساس بعدم محبة الآخرين	**٢٠ر١	**٤٣ر٦

* ذات دلالة احصائية على مستوى البيئة (٠.٠٥)

** ذات دلالة احصائية على مستوى البيئة (٠.٠١)

جدول (٣)

قيم مربع كاي لتوزيع الاستجابات للذكور

والاناث على كل فقرة من فقرات القسرية

تسلسل الفقرة	الفقرة	اناث	ذكور
٧	صعوبة التذكر	٢٢ر٩ **	١١ر- **
١٥	ضرورة الثاني	١٠ر٢١ **	٥٤ر٤ **
٢٥	صعوبة اتخاذ القرارات	١٢ر٢ **	١١ر٦ **
٣٢	صعوبة التركيز	٧ر١ *	٧ر١ *
٣٣	الفكر يصبح فراغا	٣٣ر- **	٤٦ر٤ **
٣٦	القلق حول الاهمال	٤٢ر٨ **	٧ر٣ *
٤٦	ضرورة التأكد	٥٩ر٥ *	٨ر٢ *

* ذات دلالة احصائية على مستوى البيئة (٠.٠٥)

** ذات دلالة احصائية على مستوى البيئة (٠.٠١)

جدول (٤)

قيم مربع كاي لتوزيع الاستجابات للذكور
والاناث على كل فقرة من فقرات الكآبة

تسلسل	الفقرة	الفقرة	اناث	ذكور
٩	لوم الذات	**٩٦ر٦	**٢٠ر٤	
١٨	البكاء بسهولة	**٩٩ر٣	**٤٩ر٤	
٢٢	فقدان الرغبة الجنسية	**٢٧ر٦	**٢٠ر٩	
٢٤	قلة الشهية	**٢٦ر٩	**٢٦ر٧	
٣٠	صعوبة النوم	**٣٠ر٣	**١١ر٧	
٢٧	الشعور باليأس	**٢٦ر٨	**٤٠ر٨	
٢٨	الحزن	**١١٩ر٢	**٨ر٧	
٢٩	الشعور بالوحدة	**٤٢ر٤	٦ر٩	
٣٤	التفكير بالانتحار	**٤١ر٢	**٧٢ر٣	
٣٨	الشعور بالوقوع في مصيدة	**٧١ر٩	**٦٢ر٨	
٤٠	الهموم	**١٠٤ر٩	٦ر٧	
٤١	فقدان الاهتمام	٣ر٨	*١٣ر٥	

* ذات دلالة احصائية على مستوى البينة (٠.٠٥)

** ذات دلالة احصائية على مستوى البينة (٠.٠١)

جدول (٥)

قيم مربع كاي لتوزيع الاستجابات للذكور والاناث
على كل فقرة من فقرات القلق

الفقرة	تسلسل	الفقرة	اناث	ذكور
٣	الخوف فجأة	٣١	٣١	**٣١ر٩
١١	الرغبة	٢٧	**٢٧	**٢١ر١
١٤	تجنب الاماكن	٢٠	**٢٠	**٢٩ر٥
٢٣	العصبية	١٦	**١٦	**١٣ر٥
٣١	خفقان القلب	٢٥	**٢٥	**٣٠ر٢
٣٧	الارتجاف الداخلي	٧٢	**٧٢	**١٠ر٥
٤٨	التوتر	٦٥	**٦٥	**١١ر٣

* ذات دلالة احصائية على مستوى البينة (٠.٠٥)

** ذات دلالة احصائية على مستوى البينة (٠.٠١)

كان التوزيع فيها لا يرقى لمستوى الدلالة الاحصائية على مستوى البينة ٥٪ . ولربما كان لذلك علاقة بوبائية تلك الاعراض .
وهكذا يتبين من الجداول (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) أن توزيع الاستجابات توزيع يميل نحو الصحة لا المرض وبدلالة احصائية مما يؤكد الصدق المنطقي لهذه القائمة .

صدق البناء : تشترك الامراض الخمسة التي هي مجال بحثنا هنا في أنها أمراض عصابية ، ولكنها في الوقت نفسه تشكل فروعاً من العصاب مختلفة عن بعضها نوعاً ما . ولغرض اكتشاف صدق البناء احتسبت

معاملات الترابط بين القوائم الفرعية الخمسة (راجع جدول ٦ و ٧ و ٨) لقد تراوحت معاملات الارتباط بين (٠٠٤٦) و (٠٠٧٢) للعينه باكملها وبين (٠٠٤٣) و (٠٠٧٤) للذكور و (٠٠٤٧) و (٠٠٦٧) للإناث . وتدل هذه الارقام على صدق القائمة استنادا للمنطق أعلاه . فلو كانت القوائم تقيس الظاهرة نفسها لكانت معاملات الارتباط عالية جدا ، ولو كانت معاملات الارتباط واطئة جدا لكانت القوائم تقيس ظواهر مختلفة .

جدول (٦)

مصنوفة معاملات الترابط بين أجزاء القائمة الخمسة للذكور والإناث سوية

القلق	الكآبة	القسرية	الحساسية	
٠٠٦٨	٠٠٥٤	٠٠٤٦	٠٠٥٢	الجسمية
٠٠٦٢	٠٠٦١	٠٠٥٤	٠٠٥٤	الحساسية
٠٠٦٠	٠٠٦٦			القسرية
٠٠٧٢				الكآبة

جدول (٧)

مصنوفة الترابط بين أجزاء القائمة الخمسة للذكور فقط

القلق	الكآبة	القسرية	الحساسية	
٠٠٧٢	٠٠٥٦	٠٠٤٣	٠٠٥٣	الجسمية
٠٠٦٨	٠٠٦٣	٠٠٥٧		الحساسية
٠٠٥٨	٠٠٦٠			القسرية
٠٠٧٤				الكآبة

جدول (٨)

مصفوفة الترابط بين أجزاء القائمة الخمسة للانات فقط

القلق	الكآبة	القسرية	الحساسية	
٠.٦٤	٠.٥١	٠.٤٧	٠.٥٠	الجسمية
٠.٥٣	٠.٥٧	٠.٤٨		الحساسية
٠.٥٨	٠.٦٧			القسرية
٠.٦٧				الكآبة

ولكن بما أن القوائم الفرعية تقيس جوانب مختلفة من العصاب فقد ظهرت معاملات الارتباط وسيطة . راجع الجدول (٦ ، ٧ ، ٨) .

الشبثات : لم تستخرج معاملات الشبثات للقائمة ، اذ لا يمكن استخراج الشبثات بطريقة التجزئة النصفية لقصر القائمة لكل من القوائم الفرعية . ولا يمكن استخراج معامل الشبثات عن طريق اعادة تطبيق الاختبار ، لان تعليمات القائمة تطلب من المستجيب بيان ما اذا كان يعاني من هذه الاعراض خلال الاسبوع الماضي ، ويعني ذلك أن هذه الاعراض متحولة ، ولا يستحسن اعادة اعطاء القائمة خلال مدة تقل عن اسبوعين لعوامل الذاكرة ، المؤثرة في الاستجابة .

ويرى الباحثان أن الطريق الاسلم لاستخراج الشبثات تطبيق الاختبار على عينة من المصابين الذين يراجعون المراكز العلاجية ، ولم يتوفر ذلك للباحثين أثناء اجراء هذه الدراسة . ولكننا نقترح ذلك اذا طبقت في المستشفيات العراقية .

النتائج ومناقشتها :

يمكن معالجة البيانات التي حصلنا عليها بطريقتين الاولى تتلخص

باستخراج نسب الذين يتبين لنا اصابتهم بالكتابة أو القلق أو الجسمية أو غير ذلك من الامراض النفسية التي تشخصها القائمة . ويؤدي مثل هذا الاسلوب في معالجة البيانات الى التوصل الى وبائية تلك الامراض ، دون الالتفات الى مدى تفشي الاعراض المختلفة . ولكن مثل هذا الهدف مدروس جزئيا أو كليا في دراسات سابقة . فقد استخرج الهيتي وحسين ١٩٨٧ نسب الذين لا يعانون من الامراض النفسية في بحثهما الموسع . كما قام بدراسة مدى تفشي الاصابة بالامراض النفسية المغازجي وآخرون ١٩٨٦ لذلك فان التحليل بهذا الاسلوب لن يضيف معطيات جديدة .

لقد فضل الباحثان الحاليان اللجوء الى تحليل نسب معاناة الافراد العراقيين « الاعتياديين » من الاعراض المختلفة التي تنسب للامراض النفسية . ومثل هذا التحليل مفيد للغاية برأي الباحثين الحاليين . اد تدل هذه المعطيات الطبيب المعالج على مدى معاناة الافراد العراقيين الاعتياديين (غير المرضى) من هذه الاعراض . فيستطيع استنادا لذلك

جول (٩)

يبين المتوسط والانحراف المعياري والوسيط والمنوال لدرجات العينة

في كل من أجزاء القائمة

المتوسط	الانحراف	الوسيط	المنوال	
المعياري				
١٦ر٨	٨ر٧	١٦	١٢	الجسمية
				الحساسية في التفاعل
١١ر٤	٤ر٥	١١	١٠	مع الآخرين
١٠ر٢	٤ر٧	١٠	١١	القسرية

١٨	١٨	٧ر٦	١٧ر٦	الكتابة
٩	١٠	٥ر٧	١٠ر٤	القلق

تقدير مدى معاناة المريض الفرد من هذه الاعراض لدى مقارنة الفرد بالمجموع الذي نشأ في نفس الثقافة .

وبما أن النتائج الأولية دللتنا على أن الافراد الذين ينتمون الى الجنسين - الذكور والاناث - يشكلان مجتمعين مختلفين فقد فضلنا معالجتهما كلا على حدة ثم المقارنة بينهما . واذا عدنا للقائمة وجدنا أن القائمة تحتوي على اربع احتمالات هي : أثرت بشكل شديد ، أثرت فعلا ، اثرت قليلا ، ولم تؤثر اطلاقا . لقد اعتبرنا الحالة المرضية للعرض هي الاستجابة الاولى (اثرت بشكل شديد) . وبالرغم من ان نقطة القطع هذه اعتباطية نوعا ما الا أن مبرراتها واضحة للعيان وان شاء القاريء الكريم تخفيض نقطة القطع الى اثرت فعلا ، فما عليه الان أن يجمع النسبتين ويعالج البيانات على الشاكلة نفسها . لذلك ففي معالجتنا للنتائج اعتبرنا نسبة الذين اشاروا بانهم عانوا من العرض بشكل شديد هي النسبة المرضية وما تبقى من الاستجابات اعتيادية .

نتائج استجابات الذكور :

التحول الجسمي : تدل النتائج ان اكثر من ٧٠٪ من الذكور في العينة لا يشكون من غالبية أعراض التحويل الجسمي كالتهرق وصعوبة التنفس والشعور بغصة في الحلق والثقل بالايدي والارجل والاعماء والدوار والالام في العضلات والشعور بالغثيان والحر والبرد . الا ان نسبة منهم تعاني بشكل شديد من بعض هذه الاعراض وهي الآلام في القلب والصدر والخدر والصداع وآلم في أسفل الظهر والضعف العام وقلة الطاقة (٢٩ر٩٪).

و٢١٪ و٢٠٪ و١٩٪ و١٩٪ و١٧٪ على التوالي) (جدول ١٠) .
الحساسية في التعامل مع الناس : يبدو من النتائج ان اكثر من
٨٠٪ من عينة الذكور لا يعانون من الشعور بالدونية والاحساس بعدم
محبة الآخرين وسوء فهم الآخرين والانفجار الانفعالي . الا ان حوالي ٣٠٪
منهم يعاني من ثلاثة اعراض من اعراض الحساسية في التعامل مع الناس
بشكل شديد وهي الانزعاج بسهولة وسرعة جرح الاحساسات والحساسية
نحو نقد الآخرين (جدول ١١) .

القسرية : جاءت نتائج الدراسة لتدل على ان نسبة الذكور الذين
لا يعانون من معظم اعراض القسرية عالية فقد بلغت حوالي ٨٥٪ في
الاعراض المتعلقة بصعوبة التذكر وصعوبة اتخاذ القرارات وحوالي ٧٠٪
في الاهمال وقلة التركيز وضرورة التأكد من الاشياء . هذا من جهة اما
من الجهة الاخرى نجد ان نسبة كبيرة من ذكور العينة ٤٣٪ يعانون من
ضرورة التآني بشكل شديد . (جدول ١٢) .

الكآبة : افاد ما بين ٨٠٪ والى ٨٥٪ من افراد عينة الذكور بأنهم
لا يعانون من نصف اعراض الكآبة (قلة الشهية والشعور بالوقوع في
مصيصة وفقدان الرغبة الجنسية والبكاء بسهولة والتفكير بالانتحار وفقدان
الاهتمام) . بينما تتراوح نسب الذين استجابوا للاعراض الاخرى على
تفشي هذه الاعراض بشكل شديد بين حوالي ٢٥٪ والى ٣٠٪ وهي لوم
الذات والحزن والشعور بالوحدة والهموم واليأس وصعوبة النوم .
(جدول ١٣) .

القلق : لا يبدو من نتائج هذا البحث ان الذكور يعانون كثيرا من
اعراض القلق فقد افاد حوالي ٧٠٪ من قلة معاناتهم منها (مثل الارتجاف) .
واشار حوالي ٢٠٪ من افراد العينة الى معاناتهم بشكل شديد من تجنب
الاماكن والاشياء والتوتر والعصبية . (جدول ١٤) .

نتائج استجابات الاناث :

التحويل الجسمي : تدل البيانات ان أكثر من ٨٠٪ من اناث العينة لا يعانون من معظم اعراض التحويل الجسمي كالضعف العام والالم في العضلات والاعماء والثقل بالايدي والارجل والتعرق وصعوبة التنفس والآلام في اسفل الظهر والقيء والغصة في الحلق والحر والبرد وصعوبة في التنفس . ويعاني بشكل شديد حوالي ٣٠٪ من افراد عينة الاناث من الصداع وقلة الطاقة والآلام في الصدر . (جدول ١٥) .

الحساسية في التعامل مع الآخرين : لقد جاءت نتائج البحث مؤيدة لما هو متوقع من تفشي اعراض الحساسية في التعامل مع الآخرين بين الاناث نظرا لعوامل التنشئة الاجتماعية للاناث والقيود المفروضة على تصرفاتهن وانعكاس النقد على الذات . فقد افاد اكثر من نصف افراد العينة انهن يعانين بشكل شديد من جرح الاحساسات والانزعاج وحوالي ٤٠٪ من الانفجار الانفعالي و ٣٠٪ من التحسس لنقد الآخرين . وافاد معظم أفراد العينة (٩٠٪) من عدم معاناتهن من الشعور بالدونية . (جدول ١٦) .

القسرية : لقد تبين ان اعراض القسرية متفشية تفشيا واسعا بين الاناث من افراد العينة . اذ افاد ما يتراوح بين ٢٥٪ و ٤٦٫٣٪ من انهن يعانين بشكل شديد من معظم اعراضها . ان وبائية الاعراض هذه تستدعي وقفة من الطبيب المشخص . فهل تعتبر المرأة التي تعاني من هذه الاعراض مصابة بالقسرية ؟ ومتى ؟ . بكلمة اخرى يبدو للباحثين الحاليين ان نقطة القطع في القسرية ينبغي ان تراح بحيث يقع الكثير ممن يعانون من اعراض القسرية ضمن الطبيعات اذ تعتبر المعاناة بين النساء العراقيات من اعراض القسرية شيئا طبيعيا ، اذا أخذنا بالمعيار الاحصائي . (جدول ١٧) .

الكآبة :- تعاني نسبة عالية من المستجيبات للقائمة من اعراض الكآبة وبشكل شديد . اذ تعاني نصف الطالبات المستجيبات من الهموم والحزن والبكاء بسهولة ولوم الذات وتعاني ٤١٣٪ منهن من الشعور بالوحدة . اضافة لذلك فقد افاد ثلث افراد العينة من الشعور باليأس وصعوبة النوم وحوالي الربع من بقية الاعراض . (جدول ١٨) .

القلق :- تدل النتائج ان القلق ليس متفشيا تفشيا كبيرا بين الاناث . اذ افاد من ٧٠٪ الى ٨٥٪ منهن أنهن لا يعانين من اعراض القلق . (جدول ١٩) .

مقارنة بين استجابات الذكور والاناث على القائمة :

لدى مقارنة استجابات الذكور والاناث على القائمة يتبين لنا ان الفروق بينهما دالة احصائيا على مستوى البيئة ٠٠٥ . بحيث يمكن اعتبارهما مجتمعين متباينين كما سبق ان اسلفنا (راجع جدول ٢٠) .

ويتضح من الجدول أن الاناث على العموم يشكين أكثر من الذكور من الغالبية العظمى من الفقرات . وتتساوى الاستجابات حول بعض الفقرات تقريبا .

ففي التحويل الجسمي تشكي الاناث من قلة الطاقة والصداع أكثر مما يشكي الذكور ويتساوى الذكور والاناث تقريبا في بقية الفقرات .

اما بالنسبة للحساسية في التعامل مع الآخرين فتشكي الاناث من جرح الاحساسات والانزعاج والانفجار الانفعالي أكثر مما يشكي الذكور .

وتقترب نتائج الاناث والذكور في التحسس لنقد الآخرين وعدم الشعور بالدونية .

وتتفشى أعراض القسرية بين الاناث الى درجة أكبر مما هي عليه بين الذكور . اذ تعاني نسبة كبيرة من افراد عينة الاناث من معظم اعراض

القسرية مقارنة بالذكور الذين لا يتشابهون مع الاناث في هذه الاعراض
ما عدا في عرض واحد منها هو ضرورة الثاني .

اما ما يتعلق بأعراض الكتابة فهي أكثر انتشارا بين الاناث من الذكور
اذ أفادت نسب أعلى منهن من معاناتهن من معظم اعراضها .

وفي القلق يتساوى الاناث والذكور في عدم تفشي اعراضها . ان
هذه الفروق التي هي في صالح الذكور تتسبب مع
نتائج دراسة الهيتي وحسين (الهيتي وحسين ، بت) اذ حصل الاناث في
هذه الدراسة على درجة أعلى من الذكور على استبيان الصحة النفسية .

اضافة لذلك تؤيد بعض الدراسات الاجنبية نتائج الدراسة الحالية ودراسة
الهيتي وحسين من حيث تفوق الاناث على الذكور في ظهور الاضطرابات

العصائية كدراسة تايلر وشيف Taylor and Chave, 1964

ودراسة جانس وبلير Janis and Plays, p. 1967

(انظر الهيتي وحسين ، كتبت ص ١٧) :

الخلاصة :

تدل نتائج دراستنا على العموم ان نسب الذين يعانون من المشكلات النفسية العصابية ليست كبيرة مقارنة بمجتمعات أخرى يقول سيل (Seil, 1974, p. 589) ان عدد الطلاب والطالبات في الجامعات الامريكية يقدر بحوالي ٨ ملايين طالب وطالبة ، يعاني ٤٤٪ منهم من مشكلات عصابية ، ويعاني ٣١٪ من مشكلات موقفية (Situational) بينما تبلغ نسبة المصابين بالذهان حوالي ٨٪ ويهدد سنويا أكثر من (٩٠٠.٠٠٠) طالب وطالبة بالانتحار وينجح في هذه المحاولة أكثر من الف طالب وطالبة سنويا .

وبالرغم من ان بحثنا لم يتطرق لبعض الامراض التي تطرقت لها دراسة سيل الا ان النسب تدل على ان العراقيين أفضل من اقراهم الامريكيين في هذه الجوانب . ولربما كان لدور الاسرة المتين في مجتمعنا اثر في مثل هذه الفروق .

واذا اعتبرنا عينتنا تمثل العراقيين عموما (ويسند مثل هذا الرأي عدد من الباحثين مثل لين Lynn, 1971, p. 57) فإن نسب الذين يعانون في المجتمعات الغربية من مشكلات نفسية تتراوح بين ٢٣٪ Srole and Langer 1962 و ١٤٪ / ١٩٥٩ Trussal and Elison و ٦٪ / 1941 Lemkau, Tiet; Copper وتقع نسب أخرى مثل Taylor and Chave 1964, Pasamanic et. al. 1959, ٩٪ .

(انظر الهيتي وحسين بت ، ص ٣ - ٤) .

ان هذه الفروق في النسب في الاقطار الاجنبية يمكن تعليلها أولا بالفروق في الفترة التاريخية التي اجريت فيها الدراسة - ومن المعروف

ان تفشي الامراض النفسية يتزامن مع المشكلات الاجتماعية والاقتصادية -
 وثانيا الى ان نقاط القطع في التمييز بين السوي والمريض والتي قد تختلف
 من دراسة لأخرى . ان هذه الامور تدعونا وبقيّة الباحثين الى وضع
 الامس الكفيلة بالاتفاق على نقاط القطع في التمييز بين السوي والمريض
 لكي تكون الدراسات في المستقبل قابلة للمقارنة وتسمح باجراء الدراسات
 التاريخية لوبائية الأمراض المختلفة .

جدول (١٠)

النسب المئوية لمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث
 لكل عرض من أعراض التحويل الجسمي للذكور

الاعراض	تسلسل العرض	اثرت بشكل	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر
	في القائمة	شديد			اطلاقا
التعرق	١	١٥٢٪	٨٨٪	٣٦٣٪	٣٧٧٪
صعوبة التنفس	٢	١٢٣	١٠٣	٢٣٥	٥٠-
قلة الطاقة	٥	١٧٢	٢٢١	٢٩٤	٢٨٤
الآلام في الصدر	٦	٢٩٩	١٣٧	١٩١	٣٣٨
الحر والبرد	٨	١٤٧	١٩٦	٢٤٥	٢٩٢
الشعور بفصّة في	١٠	٩٨	١١٣	٢٠٦	٥٦٩
الحلق					
الخدر	١٢	٢١-	١٨-	٢٩٤	٢٨٩
الثقل بالايدي	١٦	١٣٢	١٥٢	٢٧-	٤٣٦
والارجل					
الآغماء	١٧	١٢٧	٩٨	٢٧-	٤٨-
الصداع	٣٥	٢٠١	١٧٦	٣٤٣	٢٥٥

٣٩	١٩١	١٢٣	٢٦ـ	٣٩٧	الآلام في أسفل الظهر
٤٥	١١٨	١٠٣	٢٢٥	٥٢٥	الآلام في العضلات
٤٧	١٩١	١٣٢	٢٣ـ	٤٢٦	الضعف العام
٤٩	١٤٢	١١٨	٢٦٥	٤٤٦	القيء

جول (١١)

النسب المئوية لدى معاناة المستجيبين من عينة البحث

لكل عرض من اعراض الحساسية في التفاعل مع الآخرين للذكور

الاعراض تسلسل العرض اثيرت بشكل اثيرت فعلا اثيرت قليلا لم تؤثر
في القائمة شديد اطلاقا

١٣	٢٨٩٪	٢٧٥٪	٢١١٪	٢١٥٪	التحسس لنقد الآخرين
٢٠	٢٩٤	٢٧ـ	١٩١	٢١٥	جرح الاحساس
١٩	٣٠٤	٢٢٥	٢٤ـ	٢٢ـ	الانزعاج بسهولة
٢٦	٢١١	٢٢٥	٢٧٩	٢٦٩	الانفجار الانفعالي
٤٢	١٤٧	١٧٦	٢٥ـ	٤٠٧	الاحساس بعدم فهم الآخرين
٤٣	١٣٧	١٢٧	٣١٩	٣٩٢	الاحساس بعدم محبة الآخرين
٤٤	١١٨	٧٨	١٥٢	٦١٨	الشعور بالدونية

جدول (١٢)

النسب المئوية لمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث
لكل عرض من أعراض القسرية للذكور

الاعراض	تسلسل العرض	اثرت بشكل	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر
		شديد	في القائمة	اطلاقا	
صعوبة التذكر	٧	١٥ر٤٪	١٧ر١٪	٢٧ر٠٪	٢٢ر٥٪
ضرورة الثاني	١٥	٤٣ر٦	٢٨ر٠	١٣ر٢	١٢ر٣
صعوبة اتخاذ	٢٥	١٥ر٤	٢٠ر٠	٢٤ر٥	٣٤ر٣
القرارات					
صعوبة التركيز	٣٢	٢٣ر٠	٢١ر١	٣٣ر٣	٢٢ر٠
الفكر يصبح فراغا	٣٣	١٨ر٦	١٤ر٧	٢١ر١	٤٤ر٦
القلق حول الاهمال	٣٦	٢٨ر٤	٢١ر١	٢٩ر٠	١٨ر١
ضرورة التأكد من	٤٦	٣٠ر٠	٢٧ر٠	٢٤ر٥	١٦ر٧
الاشياء					

جدول (١٣)

النسب المئوية لمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث
لكل عرض من أعراض الكتابة للذكور

الاعراض	تسلسل العرض	اثرت بشكل	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر
		شديد	في القائمة	اطلاقا	
لوم الذات	٩	٣٣ر٨٪	٢٣ر٠٪	٢٨ر٩٪	١٢ر٧٪
البكاء بسهولة	١٨	١٧ر٦	١٥ر٧	١٩ر٦	٤٥ر٦
فقدان الرغبة	٢٢	١٩ر١	١٦ر١	٢٥ر٩	٣٦ر٨
الجنسية					

٢٤	١٥٢	٢١١	٢٢	٢٩٢	قلة الشهية
٣٠	٢٥	١٥٧	٢٤	٣٣٨	صعوبة النوم
٢٧	٢٧	٩٨	٢٢١	٤٠٧	الشعور باليأس
٢٨	٣٠٩	٢٥٥	٢٥٥	١٦٧	الحزن
٢٩	٣٠٤	٢١٦	١٩٦	٢٧٥	الشعور بالوحدة
٣٤	١٨٦	١٥٧	١٤٢	٥٠	التفكير بالانتحار
٣٨	١٣٧	١٥٧	١٩١	٤٧٥	الشعور بالوقوع في مصيدة
٤٠	٢٩٤	٢٥	٢٦	١٧١	الهموم
٤١	١٦٧	٢٠	٢٦٥	٣٣٣	فقدان الاهتمام

جدول (١٤)

النسب المئوية لدى معاناة المستجيبين من عينة البحث

لكل عرض من أعراض القلق المذكور

الاعراض	تسلسل العرض	اثر بشكل	اثر فعلا	اثر قليلا	لم تؤثر
	في القائمة	شديد			اطلاقا
الخوف فجأة	٣	١٨١٪	١٥١٪	٢٣٪	٤١٢٪
الرغبة	١١	١٥١	٢٢	٢٣٥	٨٦٨
تجنب الاماكن والاشياء	١٤	٢٠	١٦١	٢٢	٤٠٦
العصبية	٢٣	٢٣٥	١٧٦	٢٣	٣٥٣
خفقان القلب	٣١	١٨٦	١٦١	٢٣٥	٤٠٧
الارتجاف الداخلي	٣٧	١٤٧	٨٣	٢٠١	٥٤٤
التوتر	٤٨	٢٥٥	١٤٧	٢٩٤	٢٨٤

جدول (١٦)

النسب المئوية لدى معاناة المستجيبين من عينة البحث

لكل عرض من اعراض الحساسية في التفاعل مع الآخرين للانات

الاعراض تسلسل العرض اثيرت بشكل اثيرت فعلا اثيرت قليلا لم تؤثر
في القائمة شديد اطلاقا

التحسس لنقد الآخرين	١٣	٢٩٪	٢١٪	٢٧٪	٢٢٪
جرح الاحساس	٢٠	٥٧٪	٢٠٪	١٢٪	٨٪
الانزعاج بسهولة	١٩	٥٤٪	٢٦٪	١٤٪	٣٪
الانفجار الانفعالي	٢٦	٣٩٪	١٢٪	١٨٪	٢٨٪
الاحساس بعدم فهم الآخرين	٤٢	٢٣٪	١٥٪	٢٥٪	٣٥٪
الاحساس بعدم محبة الآخرين	٤٣	٢٢٪	١٤٪	٣١٪	٣١٪
الشعور بالدونية	٤٤	٩٪	١٢٪	١٥٪	٦١٪

جدول (١٧)

النسب المئوية لدى معاناة المستجيبين من عينة البحث

لكل عرض من اعراض القسرية للانات

الاعراض تسلسل العرض اثيرت بشكل اثيرت فعلا اثيرت قليلا لم تؤثر
في القائمة شديد اطلاقا

صعوبة التذكر	٧	١٩٪	١٨٪	٣٧٪	٢٢٪
ضرورة الثاني	١٥	٤٦٪	٣٠٪	١٤٪	٥٪

١٧ر٨	٢٣ر٢	٢٥ر١	٣٢ر٨	٢٥	صعوبة اتخاذ القرارات
١٧ر٨	٢٨ر٦	٢٦ر٣	٢٧ر٠	٣٢	صعوبة التركيز
٣٧ر١	٢٤ر٣	١٢ر٠	٢٥ر٩	٣٣	الفكر يصبح فراغا
٨ر٩	٢٠ر٨	٢٧ر٨	٤١ر٧	٣٦	القلق حول الاهیال
١٢ر٤	١٨ر١	٢٥ر١	٤٤ر٠	٤٦	ضرورة التأكد من الأشياء

جدول (١٨)

النسب المئوية لدى معاناة المستجيبين من عينة البحث
لكل عرض من أعراض الكتابة للناث

الاعراض	تسلسل العرض	اثرت بشكل	اثرت فعلا	اثرت قليلا	لم تؤثر
	في القائمة	شديد			اطلاقا
لوم الذات	٩	٤٨ر٣٪	٢٥ر٩٪	١٩ر٣٪	٦ر١٪
البكاء بسهولة	١٨	٥٠ر٩	١٣ر٩	٢١ر٢	١٣ر١
فقدان الرغبة الجنسية	٢٢	١٢ر٠	٨ر٢	٢٤ر٣	٥٢ر١
قلة الشهية	٢٤	٢١ر٢	١٥ر٤	٣٧ر٥	٢٥ر٥
صعوبة النوم	٣٠	٣١ر٧	١٦ر٢	٢١ر٦	٢٨ر٢
الشعور بالیأس	٢٧	٣٥ر٥	١٣ر٥	٢٢ر٠	٢٨ر٩
الحزن	٢٨	٥٢ر٥	٢٠ر٨	٢٠ر١	٦ر٢
الشعور بالوحدة	٢٩	٤١ر٣	١٦ر٦	١٩ر٣	٢١ر٢
التفكير بالانتحار	٣٤	٢٣ر٢	١٣ر٥	٢١ر٦	٤٠ر٩
الشعور بالوقوع في مصيدة	٣٨	٢١ر٢	١١ر٢	٢٠ر٥	٤٦ر٧

الهموم	٤٠	٥٠ر٢	٢٠ر٠	٢٠ر٥	٧ر٣
فقدان الاهتمام	٤١	٢٤ر٠	٢٠ر٥	٢٥ر٥	٢٩ر٠

جدول (١٩)

النسب المئوية للمدى معاناة المستجيبين من عينة البحث

لكل عرض من اعراض القلق للاناث

الاعراض تسلسل العرض اثيرت بشكل اثيرت فعلا اثيرت قليلا لم تؤثر
في القائمة شديد اطلاقا

الخوف فجأة	٣	٣٠ر٩٪	٢٤ر٧٪	٢٢ر٤٪	١٩ر٧٪
الرغبة	١١	٣٦ر٣	٢٥ر١	٢٤ر٧	١٣ر٥
تجنب الاماكن والاشياء	١٤	٣٧ر٠	٢٢ر٠	٢١ر٦	١٨ر٩
العصبية	٢٣	٣٢ر٠	١٤ر٧	٢٥ر٥	٢٧ر٠
خفقان القلب	٣١	١٦ر٦	١٨ر٩	٢٧ر٠	٣٦ر٦
الارتجاف الداخلي	٣٧	١٤ر٢	١١ر٦	٢٩ر٣	٤٢ر٥
التوتر	٤٨	٣٣ر٢	٢٣ر٦	٢٥ر٩	١٦ر٦

جدول (٢٠)

الفروق بين الذكور والاناث في القوائم الفرعية

ذكور اناث

القائمة	الدرجة	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	النسبة
	العليا	المعياري	المعياري	المعياري	التائية	
الجسمية	٤٢***	١٥ر٨٨	٩ر٢٣	١٧ر٤٥	٨ر١٤	٣ر١٩ *
الحساسية في	٢١	١٠ر٤٦	٤ر٧٨	١٢ر١٢	٤ر١٣	٤ر١٣ **
التفاعل مع الآخرين						

القصرية	٢١	٩١٠	٤٦٠	١١٠٨	٤١٥	٢ ر١٣**
الكتابة	٣٦	١٥٦١	٧٤٤	١٩٠٦	٧٣٥	٥٣١ ر**
القلق	٢١	٨٨٧	٥٩٣	١١٦٠	٥٣٢	٥٤٦ ر**

* ذات دلالة احصائية على مستوى البينة ٠.٠١

** ذات دلالة احصائية على مستوى البينة ٠.٠٠١

*** الدرجة العليا للقائمة الفرعية = (عدد الفقرات \times ٣) أي ان المستجيب يحصل على الدرجة العليا اذا أجاب ان ذلك العرض اثر عليه بشكل شديد في كل الفقرات .



المصادر References

- خلف ، طاهرة عيسى ، « بناء اختبار جمعي للذكاء للمرحلة المتوسطة في العراق » ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٧ .
- الدباغ ، فخري وآخرون ، « اختبار المصفوفات المتتابعة لرافن - المقياس العراقي » ، الموصل ، دار الكتب بجامعة الموصل ، بلا تاريخ .
- سالم ، غسان حسين ، « الخصائص النفسية للمرأة ومدى اسهامها في تحديد اتجاهها نحو الانجاب » ، رسالة ماجستير ، ١٩٨٧ .
- عبدالفتاح ، قيس ، « تقنين اختبار المصفوفات المتتابعة الملون لتلاميذ الصفوف الرابعة والخامسة والسادسة الابتدائية ببغداد » ، منشورات مركز البحوث التربوية والنفسية - رونيو - ١٩٧٣ .
- عبدالفتاح ، قيس والسلمان ، عبدالعال محمد ، « محاولة لتقنين اختبار المصفوفات المتتابعة المستوى المتقدم لطلبة الصفوف الاولى بالكليات العلمية ببغداد » ، مقبول للنشر في مجلة العلوم التربوية والنفسية ، ١٩٨٨ .
- العبيدي ، شاملة شاكر ، « تقنين مقياس وكسلر لقياس ذكاء أطفال ما قبل المدرسة والمرحلة الاولى Wppsi - اختبارات الاداء لطفل الروضة العراقي » رسالة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- العبيدي ، سعد خضير ، « دراسة تجريبية لبعض متغيرات اتخاذ القرار » ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ .
- المغازجي ، حيدر اسماعيل والكبيسي ، طارق « تطبيق مقياس كراون - كرسب العرب على وحدات مختلفة من القوات المسلحة » ، طبع رونيو ، ١٩٨٦ .
- المهنتي ، خلف نصار وآخرون ، « الحالة النفسية لطلبة الجامعة المستنصرية في ضوء استبيان الصحة العامة » ، المؤتمر العلمي السنوي لكلية

الآداب ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ص ٤ - ٦ ، ١٩٨٦ .
الهييتي ، خلف نصار وحسين ، عامر عباس ، « الحالة النفسية لطلبة
الجامعات العراقية » ، قيد النشر ، مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة
الكويت ، الكويت .

Barton, Russell, "Ashort Practice of Clinical Psychi-
atry", Bristol, John Wright, 1975.

Bootzin, R.R. and Acogella, J.R. "Abnormal Psycho-
logy", N.Y., Random House, 1984.

Coleman, J.C. "Abnormal Psychology and Modern
Life", Glenview Illinois, Scott, Forman and
Company, 1976.

Derogatis, L.R. and Spencer, p. M., "The Brief
Symptom Inventory (BSI), administration,
scoring and procedures manual I., Baltimore,
John Hopkins University School of Medecine
(Privately Printed.)

Gottschalk and Uliana, Further Studies on the
Relationship of Nonverbal to Verbal Behavior, in
L.A. Gottschalk (ed.), "Verbal Behavior", New
York, S.P. Medical and Scientific Books, 1979.
Lynn, R., "Personality and National Character",
Creat Britain, A. Wheaton and Co., 1971.

Manual of the International Statistical Classification
of Diseases, Injuries and Causes of Death, Volume
I., Geneva World Health Organization, 1977.

Marks, I, "Cure and Care of Neuroses", N.Y. John
Wiley, 1981.

- Nathan, Peter, Differential Diagnostic Symptoms and Signs, in Solomon. Philip and Patch, Vernon (eds) "Handbook of Psychiatry", Los altos Calif. Lange Medical Publications, 1974.
- Sarason, I.G. "Abnormal Psychology, N.Y. Appleton, Century, Crofts, 1972.
- Sartorius, N. "Cross - Cultural Research on Depression Psychopathology. Vol. 19, Sep. 2. 1986.
- Seil, D.E., "College Psychiatry", in Solomon, P. and Patch, V. (eds) "Handbook of Psychiatry". Los Altos, Calif. Lange Medical Publication., 1974.
- Sim, Myre, "Guide to Psychiatry", London, Churchill Living Stone, 1974.
- Sethi, B.B. "Epidemiology of Depression in India", Psychopathology. Vol. 19, Sep. 2. 1986.

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

محتويات العدد

الصفحة	الموضوع
٩	دلالة السلاح في أدب الحرب الدكتور نوري حمودي القيسي
٣٥	ظاهرة القطع في العربية الدكتور فاضل السامرائي
٤٦	القيث الفاظه ومعانيه في الشعر العربي الدكتورة سهام الفريخ
٨٨	المرأة والعمل في المجتمع العراقي الدكتورة فوزية العطية
١٣١	التحليل الزماني - المكاني لأمراض الطفل في العراق الدكتور محسن عبدالساحب المظفر
١٨١	الضرورة الشعرية وأثرها في شرح ابن عقيل الدكتور عبدالجبار جعفر القزاز
٢١٤	دراسة نفسية لشخصية المتنبي من خلال شعره د. عبد علي الجسماني - عبد الخالق نجم
٢٤٦	المنشورات دراسة نفسية تحليلية كامل علوان الزبيدي
٢٦١	المضامين والابعاد الاجتماعية لتحويل العمال الى موظفين الدكتور احسان محمد الحسن

٢٨٦

الانطلاق والتحرر من قيد البيت العمودي

الدكتور حبيب حسين الحسن

اثر استخدام التمارين العامة والخاصة على بعض فعاليات

٣٠٧

الساحة والميدان

الدكتور الاستاذ قاسم حسن حسين

السيدة ايمان شاكر محمود

٣٢٨

سياسة التمييز العنصري في جمهورية جنوب افريقيا

٣٢٤

الدكتور عبدالعزيز محمد حبيب

٣٨١

قائمة الاعراض المختصرة لتشخيص بعض المظاهر العصائية

الدكتور موفق موقق الحمداني - السيدة نسرین العمر



مركز بحوث وتطوير علوم إمداد

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٩٧ لسنة ١٩٩٠